

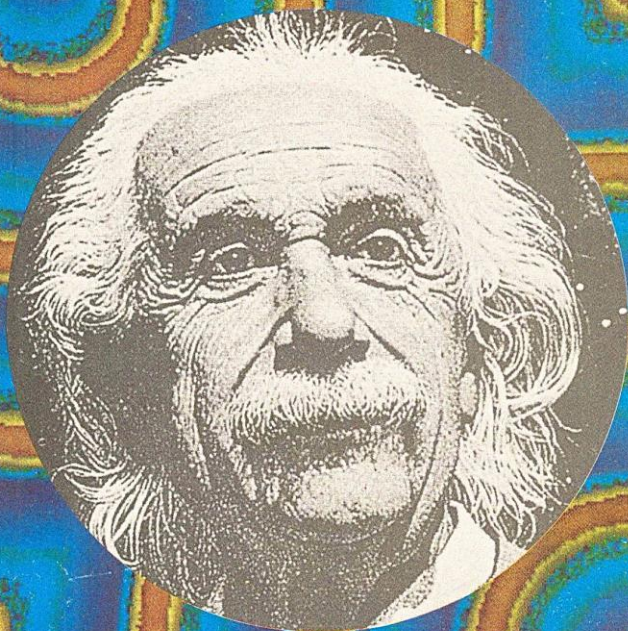
جوف جريين الكشف عن حافة الزمن

ترجمة: علي يوسف علي

المجلس
العلمي
القومي



الجمعية
والمؤسسة
للترجمة



266

المشروع القومي للترجمة

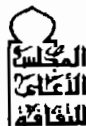
الكشف عن حافة الزمن

تأليف

جون جرين

ترجمة

على يوسف على



٢٠٠١

Unveiling The Edge of Time

John Gribin

مقدمة المترجم

عزيزى القارئ الكريم .

لا بأس ونحن نودّع القرن العشرين أن نعود بالذاكرة إلى ذلك اليوم فى مطلعته ، وبالتحديد فى السابع عشر من ديسمبر من عام ١٩٠٠ ، حيث كان العلم على موعد مع التاريخ ، فى هذا اليوم تقدم للجمعية العلمية الألمانية عالم شاب ببحث أراد به أن يحل لغزاً وقف أمامه المجتمع العلمى عاجزاً لفترة طويلة ، إنَّ تجارب الإشعاع الحرارى تأبى أن تطيع التحليل النظرى ، وهى الظاهرة التى أطلق عليها آنذاك : «الكارثة البنفسجية» ، وفى محاولته لإزالة هذا التناقض قُدِّم ماكس بلانك فكرة جديدة جريئة . إن منطقنا البديهى ينظر للطاقة على أنها سيال متصل ، فكان بحث بلانك مؤسساً على معالجتها على أنها مكونة من وحدات لا تقبل التجزئة ، أطلق عليها «كمّات quanta» ، المفرد كمّ quantum» ومن ثم فقد عرفت نظريته بالنظرية الكمّية . ولم يشفع لبلانك أن بحثه قد نجح فى حل التناقض حلاً جذرياً ، فالمجتمع العلمى كان يُبدى نفوراً من الأفكار التى تنظر للطبيعة على أنها مجزأة ، ولم يكن قد انقضى وقت طويل على انتحار لودفيج بولتزمان فى موقف مماثل . لقد رأى هذا العالم الفذ أن ظواهر الغازات تقطع بأن المادة مكوّنة من وحدات أولية ، وهى التى نعرفها اليوم باسم الذرة ، ورغم أن هذه الكلمة من مفردات قاموسنا العلمى الأولية اليوم ، فقد يعجب القارئ إذ يعرف أنها أيضاً كانت مجال جدل شديد فى مطلع هذا القرن ؛ لم يتحمل بولتزمان قسوته .

وانسحب بلانك ببحثه من الميدان ، ودخلت النظرية الكمّية طور النسيان إلى أن أحيائها موظف مغمور فى مكتب براءات جنيف بسويسرا ، لم يكن المجتمع العلمى قد سمع باسمه آنذاك ، عدا من تصادف منهم أن كان مدرساً له فى الجامعة أو فى المرحلة السابقة عليها ، حيث حاز منهم بشهرة الطالب الذى لا يبشر بخير ، إنه ألبرت آينشتاين ، وأظنه غنى عن التعريف .

لقد تصدى أينشتاين عام ١٩٠٤ لحل لغز ظاهرة أخرى ، وهى الظاهرة الكهروضوئية ، وبلغت به الجرأة أن يؤسس بحثه على النظرية التى رفضها المجتمع العلمى ، وهى النظرية الكمية ، ولولا هذا العمل الجسور لقضت النظرية فترة أخرى فى غياهب النسيان ، ومع تقدم العلم اتضح للعلماء أن قضية التجزئة لا تقف عند الطاقة والمادة ، بل إلى المادة والمسافة ، ومن ثم فكل عناصر الطبيعة تحوز ماهية غير متصلة ، إن العلم يتحدث اليوم عن مسافة بلانك ، وزمن بلانك كما يتحدث عن الذرة والكوانتا كوحداث أولية لا تقبل التجزئة .

ولكن أينشتاين كان له دوره الخاص فى معركة أخرى لا تقل قسوة فى تحديها للمنطق البديهى الإنسانى ، إنها قضية النسبية ، فالزمن والمسافة يتغيران بحسب سرعة المراقب لهما ، وما تراه أنت طويلاً قد يراه غيرك قصيراً ، وما يمر عليك دهوراً قد يمر على غيرك لحظة عابرة ، والأعجب من ذلك ، أن الزمن والمسافة قد تولدت بينهما صلة حميمة فى مضمار الكل الذى جمعهما معاً ، ألا وهو «الزمان» ، فليس من بأس على الإطلاق فى هذا المضمار أن يتحول أحدهما إلى الآخر .

وعلى دعامتين راسختين من مفهوى التجزئة والنسبية تشكّل العلم فى ثوبه الجديد ، وانفتح على البشرية بما يتجاوز أكثر خيالات البشر جرأة وغرابة . ويكاد المرء يعجز اليوم - وهو يتابع تداعيات هاتين الفكرتين - عن أن يحدّد أى الأفكار العلمية يقبل وأيها يرفض ، فالوسيلة الوحيدة التى يعرفها البشر للحكم على الأمور - ألا وهى المنطق البديهى - قد أثبتت فشلها الذريع ، إن الحقيقة الوحيدة فى هذا الخضم من المتاهات هى قول الله عز وجل : (وفوق كل ذى علم عليم) .

وحول هذه التداعيات يدور كتابنا هذا ، ومؤلفه ذو شهرة عريضة فى تبسيط هذه الموضوعات للقارئ غير المتخصص ، فيتناول فى كتابه أكثر ما أفرزه العلم الحديث من إثارة ، إنها الثقوب السوداء التى يثير ذكرها الذعر والهلع بقدرتها الهائلة على التهام كل من يقترب منها ، فهو يتتبع بزوغها كفكرةٍ نظريةٍ تأسست على نظرية نيوتن فى الجاذبية ، ثم أقلّ نجمها لتعود حقيقة علمية مؤسسة على نظرية أينشتاين فى النسبية . ولن نسبق الأحداث حتى لا نصادر على متعة القارئ وهو يجول فى غرائب الخيالات

العلمية التي يعرضها الكتاب ، كل ما نوصى به هو ألا ينسى أن الأمر لم يحُسم بعد لصالح فكرةٍ دون أخرى ، ولعله لن يحُسم على الإطلاق ، فما من باب يفتح الإنسان على الطبيعة بغية فهمها إلا وينفتح بدوره على أبواب من الألفاظ ، وهو ما عبر عنه أحدهم بالقول : «كلما ازدادت علماً ازدادت جهلاً» .

وسوف يظل الإنسان يكدح في هذه المطاردة مع الحقيقة إلى أن يلاقى ربه ، وإلى أن يحين هذا الحين عليه أن يقنع بالدور الذي اختاره الله له ، دور الباحث الدعوب في كون الله الرحب ، وأن يتعلم من هذا الكدح معنى الآية الكريمة : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مداداً) ، صدق الله العظيم .

على يوسف على

القاهرة ، يوليو ١٩٩٩

الفصل الأول

التاريخ القديم

تقابل فيه نيوتن، وتعلم كيف أن راعى قطع بائساً قد اكتشف
الجاذبية وانخرط في الحياة الأكاديمية. نقول وداعاً للقوة الخامسة،
وتعلم كيف نقيس سرعة الضوء، وكيف أن رجلاً من القرن العشرين قد
استخدم الجاذبية لاقتناص الضوء في الثقوب السوداء.

تنتج الثقوب السوداء بفعل الجاذبية ، لقد بدأ العلم الحديث بالسير إسحق نيوتن ^(١) ،
والذي - من بين أشياء أخرى - وضع أول نظرية عن الجاذبية، قبل ثلاثة قرون بقليل.
ولأول مرة استطاع العلماء - بتطبيق قوانين نيوتن - أن يفسروا حركة الأجرام
السماوية على نفس الأسس التي يفسرون بها حركة الأجسام على الأرض. وإشارة
للتماثل التقليدي الشهير ، فإن سقوط التفاحة ودوران القمر حول الأرض يفسران
بنفس المعادلات ، ولقد ضم أينشتاين جاذبية نيوتن في نظريته النسبية العامة، ويمكن
القول بصدق إن الثقوب السوداء هي أجسام تنتمي للنظرية النسبية ، على أن منزلة
نظرية نيوتن تظل مشهوداً لها من حقيقة أنه بعد أقل من مائة عام تالية على نشر
العمل الرائع Philosophiae Naturalis Mathematica (فلسفة الرياضيات الطبيعية)-
والذي يشار إليه اختصاراً (Principia البرنسيبيا، أو المبادئ) - أصبحت هذه النظرية

(١) يتجه الرأي الغالب في الفكر الغربي إلى أن العلم بصورته الحديثة يرجع إلى جاليليو، حين بدأ
تجاربه حول الحركة البندولية ، وإلى استخدام التلكسوب في دراسة الفلك ، ولكن رأياً أكثر إنصافاً يرى أن
الفضل في ذلك يرجع للحضارة الإسلامية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، بينما يقال إن مؤسس علم الميكانيكا
هو نيوتن ، لا ينكر أحد أن علماء الإسلام قد وضعوا علم "الحيل"، وهو ما يسمى حالياً "نظرية الآلات" ، وما
يقال عن علم الميكانيكا يقال عن أغلب العلوم الأخرى - المترجم

صالحة أن تفسر الثقوب السوداء. بطبيعة الحال لم يدرك نيوتن الذي درس الضوء كما درس الجاذبية ، أن معادلاته سوف تتنبأ بوجود أشياء معتمدة في الكون، أشياء لا يمكن للضوء الفرار منها، بسبب طغيان الجاذبية فيها .

فليكن نيوتن :

ولد نيوتن في وولستورب، لانكولنشاير، في ليلة عيد الميلاد من عام ١٦٤٢ ، نفس عام وفاة جاليليو جاليلي . (من المفارقات أن ألبرت أينشتاين ، بعد أكثر من قرنين، قد ولد في نفس عام وفاة العالم الكبير جيمس كلارك ماكسويل ، ١٨٧٩) كان إسحق طفلاً هزلاً ضئيل الحجم (كان والده يسمى أيضاً إسحق ، وقد توفي قبل مولده بثلاثة أشهر) ، أدهش والدته بإصراره على البقاء بعد ولادته ، وقد ظل على هذا الإصرار إلى أن بلغ الرابعة والثمانين من عمره . وتعبّر الأبيات التالية عن الإجلال الذي حظى به لما قام به من إسهامات في تأسيس العلم الحديث :

Nature and Nature's laws lay hid in night

God said, Let Newton be! and all was light

وهو ما نحاول ترجمته :

كانت الطبيعة بقوانينها قابعة في دياجير الظلماء

وإذ قال الرب: ليكن نيوتن؛ عم الجميع الضياء.

وقبل أن يبلغ نيوتن الثانية تزوجت أمه من جديد ، وانتقلت إلى قرية مجاورة، تاركة إياه في رعاية جدته إلى أن بلغ التاسعة ، حين توفي زوج أمه . وتفسر مأساة هذا الانفصال تقريباً كافة تصرفاته الشاذة عند البلوغ ، بما في ذلك السرية التي كان يضربها على أعماله العلمية ، والتوتر الشديد حول كيفية قبولها حين تنشر، والإنفعال العنيف غير الموضوعي تجاه ما يوجهه له أقرانه من نقد . وبعد وفاة زوج أمه خططت له والدته أن يتولى شئون المزرعة ، وهو عمل أبدى فيه إخفاقاً ، حيث كان يفضل القراءة على رعاية القطيع ، ولهذا السبب أعيد للمدرسة في جرانثام ، ومنها إلى كلية ترننتي بجامعة كامبريدج، والتي وصل إليها عام ١٦٦١ ، أكبر بقليل من أغلب أقرانه بسبب ما حدث لمسيرته التعليمية من انقطاع .

وثُبِّينَ مذكرات نيوتن أنه حتى وهو فى مرحلة الدراسة كان متقدماً على الأفكار الجديدة ، بما فى ذلك جاليليو ورينيه ديكارت ؛ وتمثل هذه الأفكار بداية النظرة الحديثة للكون كآلة دقيقة منضبطة ، وهى فكرة لم تكن قد اعترف بها فى جامعات أوروبا بعد . على أنه احتفظ بهذه الأفكار لنفسه ، واستمر يجرى الأبحاث على الأساس التقليدى المبني على فلسفة أرسطو ، وحصل على درجته العلمية الأولى فى ١٦٦٥ ، ولم يكن ذلك بتميز غير عادى فى نظر أساتذته ، وفى نفس العام تفجّر وباء الطاعون الشهير فى لندن ، فأغلقت الجامعة أبوابها ، وعاد نيوتن ليقضى جزءاً طيباً من العامين التاليين فى بلدته ، إلى أن استؤنفت الدراسة الجامعية .

وكان خلال هذين العامين أن وضع نيوتن قانون التربيع العكسى للجاذبية، ربما مستلهماً إياه من سقوط التفاحة ، والوصول إلى ذلك ابتدع نوعاً جديداً من الرياضيات؛ التفاضل والتكامل، والذي جعل الحسابات أكثر مباشرة. وكما لو كان هذا ليس بكاف على عبقريته ، طفق يُجرى تجاربه على الضوء ، ويُطلق الأسماء على المناطق المتتابعة لطيفه الذى يشبه قوس قزح المتكون حين يعرض الضوء إلى منشور زجاجى . ولم يكن لأى من هذه الاكتشافات تأثير على الوسط العلمى، حيث لم يُطلع نيوتن أحداً على أعماله . وحين فتحت الجامعة أبوابها من جديد عام ١٦٦٧ ، انتخب زميلاً فى ترنتى كوليدج . وبحلول ١٦٦٩ كان قد طور بعضاً من أفكاره العلمية بالقدر الذى يتيح لها أن تنشر فى مجلة كونيوسنتى . *cognoscenti* وفى هذا الوقت كانت مقدرته العلمية قد أخذت تلفت الانتباه ، على الأقل لدى الأساتذة فى كمبردج، وحين قرر الأستاذ إسحق بارو التقاعد عن كرسي رئاسة قسم الرياضيات فى ١٦٦٩ للتفرغ للنشاط الدينى أوصى بأن يخلفه نيوتن . وهكذا شغل نيوتن المنصب وهو فى السادسة والعشرين، ليكون له مدى الحياة (إذا رغب فى ذلك) ، متحرراً من أعباء التدريس، عدا محاضرة كل عام. وبالمناسبة ، فإن الذى يشغل هذا المنصب الآن هو ستيفن هوكنج . Stephen Hawking

وفى الفترة ما بين ١٦٧٠ و١٦٧٢ طُوّر نيوتن أفكاره عن الضوء لتكون الجزء الأول من عمله الملحمى "الضوئيات" *Optics* ، على أن هذا العمل لم ينشر إلا فى ١٧٠٤ ، تأخير نتج عن أكثر شجار شخصى تأثيراً فى مسيرة نيوتن العاصفة .

وقد ثارت المشكلة حين بدأ ينشر أفكاره الجديدة فى الجمعية الملكية Royal Society التى تأسست عام ١٦٦٠ لتكون المحفل الأساسى للتواصل بين العلماء، كان الشجار بينه وبين روبرت هوك Robert Hook، وقاد إلى أكثر ملاحظات نيوتن شهرة، والتى بيّنت الأبحاث الحديثة أنه قد أسىء فهمها على مدى ثلاثة قرون .

على أكتاف العمالقة :

كان بداية تعرف الجمعية الملكية على نيوتن بسبب أعماله عن الضوء، ليس لنظريته عن تكوين الألوان ، ولكن عن طريق أعماله التجريبية التى أدت إلى ابتكاره تلسكوبا يركز فيه الضوء عن طريق المرايا بدلاً من العدسات. ويستخدم التصميم إلى يومنا هذا، تحت اسم "عاكس نيوتن". Newton's reflector. ولقد أعجب هذا المحفل العلمى بالاختراع حين رأوه عام ١٦٧١ لدرجة انتخابه زميلاً للجمعية فى العام التالى ، وانفعلاً بهذا التقدير، قدم نيوتن بحثاً عن الألوان . كان هوك فى ذلك الوقت يعتبر مرجع الجمعية الأول فى مسائل الضوء ، فانبهر للبحث بنقد يثير أى باحث شاب، ناهيك عن نيوتن . ولما كان نيوتن غير مهيباً للتعامل مع النقد - ولم يصبح أبداً كذلك - فقد كانت هذه التجربة مع الطريق الشرعى للتواصل العلمى سبباً فى إثارة الانسحاب عن هذا الطريق ، ولما يمض على انضمامه للجمعية عام واحد، مكتفياً بالانزواء فى كرسية فى كامبردج .

ولكنه عند زيارته للندن عام ١٦٧٥ سمع أن هوك يقول بأنه أصبح متقبلاً لرأى نيوتن عن الألوان، فشجعه ذلك على أن يتقدم بورقة بحثية ثانية عن الضوء ، تضمنت وصفاً للحلقات الملونة التى تعرف الآن باسم حلقات نيوتن ، والتى تنتج حين تعترض الضوء الصادر من عدسة طبقة رقيقة من الهواء . وعلى الفور جأ هوك بالشكوى ، علانية وسراً ، بأن هذا البحث مسروق منه شخصياً ، وأنكر نيوتن ذلك ، ثم قام بهجوم مضاد بأن آراء هوك على أية حال مؤسسة أساساً على أفكار رينيه ديكارت .

وكان الموقف يتصاعد بسرعة إلى صدام حاد، إلى أن قام هوك (ربما بضغط من الجمعية) بكتابة خطاب يمكن للقارئ حسن النية أن يعتبره خطوة للتصالح، ولكنه كرر بين السطور ادعاءاته التى تقول بأن نيوتن، على أحسن الفروض، قد ربط بين أفكار مشتتة. هنا أعطى نيوتن ملاحظته التى تقول بأنه إذا كان يرى أكثر من غيره، فذلك لأنه يقف على أكتاف العمالقة On the shoulders of Giants .

وَفُسِّرَت الملاحظة طويلاً بأنها دليل على تواضع نيوتن ، وأنه يشير إلى أعمال كبلر وجاليليو وديكارت ، اعترافاً بكونها الأساس الذى بنيت عليه قوانينه عن الحركة ونظريته عن الجاذبية ، ولكن هذا التفسير ، رغم كونه قد لقى ارتياحاً لدى الأجيال التالية، يبدو غريباً ، حيث إن نيوتن لم يكن قد نشر هذه الأعمال بعد فى ذاك العام، كما أن إلصاق صفة التواضع إلى شخصية هجومية، بل ومتعالية ، أمر بعيد الاحتمال. ماذا كان المقصود إذن من تلك العبارة ؟

فى ١٩٧٨ أقامت جامعة كمبردج احتفالية بمناسبة مرور ثلاثة قرون على نشر البرنسيبيا ، وبهذه المناسبة نظمت لقاءً استمر أسبوعاً كاملاً دعت إليه لقيفاً من أشهر العلماء على مستوى العالم، بغرض تحديث قصة الجاذبية. وقد قدم الفيزيائى البريطانى جون فولكنر John Faulkner خلال ذلك الاجتماع رأيه المقنع حول المقصود بهذه العبارة بناء على تفحصه الدقيق لوثائق العداء الذى ثار بين نيوتن وهوك ، لقد ذهب إلى أن نيوتن لم يقلها عن تواضع ، بل عن غرور ، وأنه بكل تأكيد لم يكن يشير إلى أمثال جاليليو أو كبلر ، أو عن عمله بخصوص الجاذبية ، بل عن عمله فى موضوع الضوء .

وقد كانت الإشارة إلى العمالقة فى الواقع أمراً شائعاً فى عصر نيوتن، وكان المقصود بهم فى الغالب هم الإغريق، إذ كان علماء ذلك العصر (ومن المحتمل أن يكون من بينهم نيوتن نفسه) ينظرون لأعمالهم على أنها ليست إلا صياغة أكثر تفصيلاً لما قدمه الأوائل ، وقد بدا أن اختيار نيوتن لكلمات خطابه إلى هوك فى ٥ فبراير ١٦٧٥ كان دقيقاً للغاية ، أخذاً فى الاعتبار سوء التفاهم الذى كان بينهما من جهة ، ومن جهة أخرى أن هوك نفسه لم يكن يتميز بمظهر جذاب .

فمن واقع ما جاء على لسان معاصرى هوك ، ومنهم أصدقاء له ، كَوْن فولكنر صورة عنه تقترب من شخصية ريتشارد الثالث فى مسرحية شكسبير ، غريب الشكل بصورة ملحوظة ، بل أقرب إلى القزم فى الطول، وبإضافة بعض الخيال للموضوع، يمكن وصفه بأنه كان قميئاً .

ورأى فولكنر أن عبارة نيوتن التى يشير فيها للعمالقة يمكن فهمها على ضوء مخالف تماماً ، ولنضع فى الحسبان أن الخطاب لم يكن مكتوباً على عجل، بل مصاغاً بكل عناية إلى الجمعية الملكية من أجل إنهاء نزاع بين زميلين لها ، مما سبب لها الحرج

كثيراً ، وقد راعى نيوتن هذا الأمر تماماً ، إلا أنه فى نفس الوقت قد راعى ما بين السطور . وإليك الألفاظ كما يرى فولكتر تفسيرها :

"إن ما قام به ديكارت كان عظيماً" (التفسير : لقد قام بذلك قبل أن تقوم أنت به) وقد أضفت الكثير بطرق متعددة، خاصة فى الاعتبارات الفلسفية فى قضية الألوآن" (التفسير : كل ما قمت به هو السير على خطى ديكارت) "وإذا كنت قد رأيت ما هو أبعد فذلك لأننى وقفت على أكتاف العمالقة" (التفسير ، ومع ملاحظة أن كلمة Giants أى العمالقة قد كتب أول حرف منها كبيراً ، فإن المقصود يكون: إن أعمالى يعود الفضل فيها إلى أعمال القدماء ، وليس إلى قمىء مثلك) .

وإذا ما أخذنا الخطابات المتبادلة بظاهر القول فيها ، فقد أدت غرض الجمعية تماماً ، بإلقاء الماء على النار المشتعلة، وإعادة الاحترام لها .

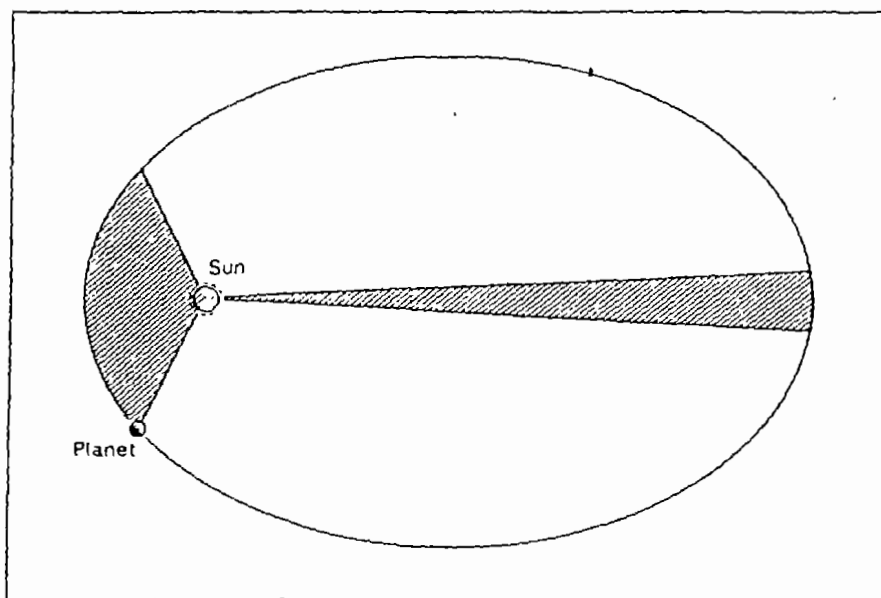
على أن الأثر المباشر كان انزواء نيوتن بدرجة أشد، وتفضيله الانتظار صابراً إلى أن توفى هوك عام ١٧٠٣ ، وقام بنشر كتابه عن الضوئيات فى العام التالي، مطمئناً أن تكون له الكلمة العليا فى الموضوع. وأما نشر كتابه الثانى؛ البرنسيبيا عام ١٦٨٢ ، فلم يحدث إلا بإلحاح من صديقه إدmond هالى ، ذى الشهرة بالمذنب المسمى باسمه ، وكان لب العمل قد بلغ حينئذ عشرين عاماً من القدم .

قوانين ثلاثة ، ونظرية عن الجاذبية :

تضمنت برينسيبيا نيوتن ما أصبح يعرف بأسس الميكانيكا الكلاسيكية، ثلاثة قوانين عن الحركة ، ونظرية عن الجاذبية . وكانت الاكتاف التى وقف عليها فى الواقع هى لجوهانز كبلر Johannes Kepler ، فلكى ألمانى نشر قانونين يعرفان باسمه عام ١٦٠٩ . وقد صاغ كبلر نفسه هذه القوانين بعد تمحيص شاق لجداول وضعها دان تيكو براهى Dane Tycho Brahe الذى كان مستقراً فى براغ ، وكان كبلر مساعداً له، وقد توفى عام ١٦٠١

وينص قانونا كبلر الأول والثانى على أن مدار الكواكب حول الشمس ليس دائرياً، بل إهليلجياً تقع الشمس عند أحد قطبيه ، وأن المساحة التى يقطعها الخط الواصل بين الشمس وأى كوكب يسمح مساحات متساوية فى الأزمنة المتساوية ، وعلى هذا الأساس يكون الكوكب أكثر سرعة حين يكون أقرب من الشمس، منه حين يكون فى

الجانب الأبعد عنها ، أى مقابل القطب الآخر، كما هو مبين فى (شكل ١ - ١) ويربط قانون ثالث نُشر بعد عدة سنوات بين زمن دورة الكوكب وقطر مساره .



(شكل ١ - ١) كوكب يدور فى مسار إهليلجى حول الشمس ، فتكون سرعته أكبر وهو بالقرب منها ، عنه حينما يبتعد عنها ، طبقاً لقاعدة المساحات المتساوية التى وضعها كبلر .

كانت كل هذه الحقائق تدعو للاندهاش والحيرة عند علماء القرن السابع عشر ، الذين حاولوا دون جدوى فهم الأساس الذى تقوم عليه . وقد تمت مراسلات بين نيوتن وهوك حول تصرف الأجسام تحت تأثير الجاذبية ، وهو ما دفع هوك بعد ذلك إلى اتهام نيوتن بأنه قد سرق منه قانون التربيع العكسي. ويمكننا بسهولة تصور دهشة هالى حين زار نيوتن فى كامبريدج فى أغسطس ١٦٨٤ وأخبره بأنه مهتم بمسألة حركة الكواكب حول الشمس ، ففاجأه نيوتن بأنه قد حل المشكلة منذ عدة سنوات ، وتحت إلحاح من هالى بأن هذا الكشف لابد أن يعلن ، أرسل نيوتن بعد ثلاثة أشهر بحثاً موجزاً عن الموضوع له ، اعتبره هالى غير كاف بالمرّة . وما أن اقتنع نيوتن بنشر

أفكاره حتى انكب على ذلك البحث تنقيحاً وتعديلاً لعامين كاملين ، حتى تطور الأمر إلى وضع كتاب ضخم، نشر باللغة اللاتينية عام ١٦٨٧ (غالباً على نفقة هالي) ، أما نشره باللغة الإنجليزية فلم يتم إلا بعد وفاة نيوتن بعامين ، أى فى ١٧٢٩

على أن نيوتن لم يكشف حتى فى هذا الكتاب عن كل أسرارهِ ، فرغم أنه من المتفق عليه أنه قد استخدم رياضيات التفاضل والتكامل التى وضعها من قبل ، إلا أن عرضه للموضوع كان على أساس الرياضيات التقليدية - ربما كان ذلك لعدم ثقته فى قدرة زملائه على فهم هذا النوع الجديد من الرياضيات - على أن ذلك قد تسبب فى عاصفة أخرى من الشجار ، هذه المرة مع عالم الرياضيات فيلهلم لايبنز Wilhelm Leibnitz الذى توصل أيضاً إلى هذا النوع الجديد من الرياضيات ، ونشر عنه كتاباً عام ١٦٨٤ . وليس لدى أحد شك اليوم لا فى سبق نيوتن له ، ولا فى أن لايبنز لم تكن له أية دراية بما توصل إليه نيوتن، وعلى ذلك فإن الفضل ينسب لهما معا فى وضع رياضيات التفاضل والتكامل ، إلا أن الموقف قد تمخض عن إحدى العداءات الحادة الأخرى التى انخرط فيها نيوتن .

على أن قصتنا الحالية تُعنى بما قدمه نيوتن لا ما أغفله ، فقبل ذلك تقبل العلماء نظرة أرسطو بأن مآل كافة الأجسام هو السكون ، وأن الحركة أمر عارض يكون بسبب قوة خارجية . وقد بين نيوتن أن هذا مقصور على حالة الأجسام الموجودة على سطح الأرض، لكونها تحت تأثير جاذبيتها ، وقد صاغ قانونه الأول بأن الأجسام تظل على حالتها ، إما ساكنة أو متحركة بسرعة ثابتة فى اتجاه ثابت ما لم تؤثر عليها قوة خارجية ^(١) . وينص قانونه الثانى على أن معدل التغير فى مقدار السرعة أو اتجاهها، والذى يطلق عليه "العجلة، أو التسارع" acceleration يتناسب طردياً مع القوة المسلطة عليه ، كما ينص القانون الثالث على أنه لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه ؛ فإذا ما دفعت قلماً بإصبعى على سبيل المثال، أو ضغطت بإصبعى على سطح المكتب ، فإن إصبعى سوف يشعر برد الفعل عليه كقوة تدفع به فى الاتجاه المضاد . وعلى ذلك فإذا كانت قوة الجاذبية تجذب الأجسام إلى منتصف الأرض، فإن ثقل الأجسام على سطح الأرض يتسبب فى رد فعل من الأرض تدفع بالأجسام الواقفة عليها فى الاتجاه المضاد بنفس القيمة ، والقوتان متعادلتان ، فتلغى

(١) يسمى ذلك بقانون القصور الذاتى inertia - المترجم .

كل واحدة منهما الأخرى ، ولا يتمخض عنهما حركة، إلا إذا سقطت من مكان مرتفع ، أو قفزت من النافذة ، فإذا ما حدث شيء من ذلك فإن الألم الذي تشعر به ليس بفعل الجاذبية، بل بسبب رد فعل الأرض الذي يلغى تأثير الجاذبية ويوقفك عند سطحها .

وباستخدام قوانينه وقوانين كبلر، فسّر نيوتن حركة الكواكب حول الشمس، وحركة الأقمار حول كواكبها كالأرض والمشتري ، نتيجة للتجاذب بين الجسمين طبقاً للقانون الشهير ، قانون التربيع العكسي . فالكوكب حينما يكون أقرب للشمس تزداد سرعته بسبب تعرضه لقوة جذب من الشمس أكبر مما يتعرض لها حين يبتعد عنها ، الأكثر من ذلك أن نيوتن بيّن أن هذه العلاقات ليست قاصرة على النظام الشمسى ، بل سارية على كافة أرجاء الكون ، وأفضل مثال لهذا هو ما ضربه نيوتن نفسه .

حينما أشرت لشيء ساقط بفعل الجاذبية كنت بالفعل أفترض أن الجاذبية تقوم بتأثيرها بنفس الصورة بالنسبة للكواكب والأشياء الساقطة على الأرض على حد سواء ، وفى حين أن هذا يعتبر من الأمور المألوفة اليوم ، فإن الأمر لم يكن على هذه الشاكلة وقت نيوتن ، فقد كانت فكرة كهذه تتسم بالثورية . كما أننى ذكرت أن قوة الجاذبية الأرضية تعمل كما لو كانت كتلة الأرض مركزة فى مركزها، وبالفعل فالمسافة التى تقاس تطبيقاً لقانون التربيع العكسى تؤخذ من مركز ثقل الأشياء المتجاذبة ، سواء أكان الشيطان المتجاذبان هما الشمس وكوكب فى نظامها ، أو الأرض وشيء فوق سطحها، أو أى جسمين متجاذبين فى الكون ، ولقد أثبت نيوتن ذلك، جاعلاً منه حجر الزاوية فى نظريته عن الجاذبية ، وأصعب شيء إثباتاً ، خاصة بالمنهج الذى اتبعه فى كتابه، أى بدون استخدام المعادلات التفاضلية . كما أن نيوتن قد علم أيضاً أن الجاذبية الأرضية سوف تجعل الأجسام الساقطة تقطع مسافة ستة عشر قدماً خلال الثانية الأولى من سقوطها (لقد استخدمت المقاييس الإنجليزية العتيقة لأنها التى استخدمها نيوتن بالفعل) . ويعتبر القمر على مسافة من مركز الأرض أكبر من مسافة تفاحة على سطحها بستين مرة ، وطبقاً للقانون الأول ومفهوم القصور الذاتى فإن القمر "يود" لو يظل منطلقاً بسرعة ثابتة وفى اتجاه ثابت ، أى فى خط مستقيم . فتغيير اتجاه حركته ، حتى ولو ظلت السرعة ثابتة فى مقدارها ، يتطلب قوة خارجية ، وطبقاً لقانون التربيع العكسى فإن قوة جاذبية الأرض للقمر تسبب فى تغيير اتجاهه بحيث تحرفه كل ثانية بمقدار الستة عشر قدماً مقسومة على مربع العدد المذكور، أى

على ٣٦٠٠ . هذا الحيود يتسبب - حين يُؤخذ في الاعتبار بُعد القمر عن الأرض - في دورانه مرة كل شهر .

هكذا فسر نيوتن سقوط التفاحة ودوران القمر حول الأرض بنفس القوانين، وحين فعل ذلك أزال الغموض الذي كان يحيط بحركة الأجرام السماوية ، وفتح أعين العلماء على أن القوانين التي تُطبق على كافة أرجاء الكون هي من نفس جنس القوانين التي تُكتشف في المعامل على سطح الأرض . ويعتقد العديد من العلماء اليوم أنه من المحتمل وضع نظرية جامعة ، بمعنى أنها تضم مجموعة من القوانين تفسر كافة الجسيمات والقوى المعروفة في الطبيعة . ولو تحقق ذلك فسوف يعتبر تنويعاً للمسيرة التي بدأها نيوتن منذ ثلاثة قرون . وبمعنى معين ، يمكن القول بأن ذلك سيعني اكتمال طريقه ، ووصول الفيزياء النيوتنية إلى آخر مطافها ، ولكننا سوف نبين أن ذلك لا يعنى بالضرورة القدرة على تفسير كل شيء في الكون .

وحتى في عصر نيوتن ، كان من المعروف أنه لا بد من وجود مستوى من الفهم كأساس لقانون التربيع العكسي الشهير . لقد بين نيوتن أن القوة تتضاؤل بمعدل يتناسب مع تربيع المسافة التي تفصل الجسمين المتجاذبين ، ولكن ، لماذا هذه الصورة من العلاقة التربيعية بالذات ؟ لماذا لم تكن تكعيبية ، أو أية صورة أخرى من العلاقات ؟ لم يكن نيوتن يملك الإجابة ، ويبدو أنه لم يكن يعنيه تعليل ذلك ، لقد كان سعيداً أن يفسر كيف تعمل الجاذبية ، دون أن يعنيه لماذا تقوم بعملها بهذه الكيفية بالذات . لقد استغرق الأمر قرنين من الزمان بعد نشر البرنسيبيا لحل هذا اللغز ، ولكن مهما كانت طبيعة التعليل ، فإنه لا جدال أن الجاذبية تخضع بالفعل لقانون التربيع العكسي .

اختبار الزمن :

تناسب قوة التجاذب عكسياً مع تربيع المسافة بين الجسمين المتجاذبين، مقاسة من مركز كل منهما ، كما تتناسب هذه القوة طردياً مع كتلة الجسمين ، والقوة التي تمارسها الأرض على الأجسام الموجودة فوقها هي التي نطلق عليها ثقل الجسم، أو الوزن . فكل جرام على سطح الأرض يتعرض لنفس القوة في جذبها له ، ومن ثم فكلما احتوى الجسم على كمية أكبر من الجرامات زاد جذب الأرض له ، بمعنى أنه كلما زادت الكتلة زاد الوزن ، ولكن الأمر سوف يختلف بالنسبة لهذا الجسم في مكان آخر خلاف الأرض ؛ فعلى سطح القمر ، وعلى الرغم من كون الجسم له نفس الكتلة، أي

نفس عدد الجرامات ، فإنه سوف يتعرض لقوة جذب أقل ، بسبب قلة كتلة القمر ، وبالتالي سيكون وزنه أقل . ولما كانت كتلة القمر أقل بمقدار السدس عن الأرض ، فإن أوزان الأشياء سوف تكون أقل بنفس المقدار .

ولقد وُضعت هذه الفكرة محك الاختبار المباشر فعلاً ، فقد هبط الإنسان على سطح القمر ، وشوهد هذا التغير فى الوزن عياناً . ولم يكن هناك أدنى شك فى ذلك ، فالمركبة الفضائية ذاتها قد خضعت لقوانين نيوتن فى مسارها للقمر ، ولولا صحة هذه القوانين لما وصلت لهدفها .

ورغم ذلك فقد سرت فى الثمانينات موجة من التشكيك فى صحة قانون نيوتن ، تسربت أنباء منها لوسائل الإعلام ، فقد ذهب رأى إلى أنه عند مستوى أدق يُحتمل ألا يكون نيوتن محقاً تماماً ، وأن حيوداً ضئيلاً عن قانون التربيع العكسى يمكن أن يتسبب فى فرق ضئيل فى حساب المسافات ، حتى ولو كان هذا القانون ناجحاً بصورة مرضية فى حساب مسارات الكواكب . ولقد اتضح أن هذه الإثارة كانت على غير أساس ، على أنه بسبب كل هذا الضجيج فإن قانون نيوتن للجاذبية قد مُحَصَّ أكثر من دى قبل ، وقد أتى ذلك به متعدد الألوان .

من الزوايا التى يمكن أن ينظر منها للأمر موضوع "ثابت التناسب" والذى سوف نعطيه الرمز "ث" ، فإذا كانت قوة الجاذبية تعمل بنفس القدر على كل جرام من الأجسام ، فإن قوة الجذب الكلية على جسم ما يمكن حسابها بضرب كتلة الجسم فى هذا المقدار الثابت الذى يعبر عما تمارسه الأرض من جاذبية على كل جرام ، ويقسمة الناتج على مربع المسافة بين الجسم والأرض . إن أحد مظاهر نفاذ بصيرة نيوتن هو ما قرره من أنه رغم أنه يتعامل مع كتل مختلفة ومسافات مختلفة (كحالة كتلة الشمس فى تجاذبها مع الأرض على مسافة مائة وخمسين مليوناً من الكيلومترات) ، فإن ثابت التناسب هو ذاته فى كافة الأحوال . على أن نيوتن لم يقم بالحديث عن هذا الثابت مباشرة فى مؤلفه ، إذ كان عرضه للموضوع عن طريق النسب ، وهو ما يلغى ثابت التناسب .

وفى الثلاثينيات من القرن الثامن عشر قام عالم فرنسى هو بيير بوجوى Pierre Bouguer بقياس كثافة الأرض عن طريق قياس انجذاب ثقل إلى جبل ، ولكن القياسات الدقيقة حقاً أُجريت خلال التسعينات من نفس القرن ، بعد حوالى مائة عام من نشر البرنسيبيا ، قام بها عالم الفيزياء البريطانى هنرى كافنديش Henry Cavendish الذى كان أكثر تحفظاً من نيوتن فى نشر أبحاثه .

كان كافنديش إنساناً غريب الأطوار يميل للعزلة ، نشر القليل خلال حياته (توفى عام ١٨١٠ عن سبعة وثمانين عاماً) . وقد كان باستطاعته تدبير أموره فى هذه الظروف بسبب ثرائه و ثراء أسرته الفاحش ، والذي مكّنها بعد وفاته من إقامة العمل المنسوب إليه فى كمبردج تخليداً لذكراه . وبدراسة أوراقه العلمية بعد حين من وفاته اتضح أنه قام بأبحاث فى الكهرباء ، قام بها علماء من بعده، من ذلك المقاومة الكهربائية . وقد قام بنشر أبحاثه العالم جيمس ماكسويل James Maxwell أول مدير لمعمل كافنديش ، وذلك عام ١٨٧٩ . على أن أبحاث قياس الجاذبية نشرت خلال حياة كافنديش ، عام ١٧٩٨ . وكمثل أعمال بوجوى من قبله ، كان الأساس هو قياس كتلة وكثافة الكرة الأرضية ، دون إشارة مباشرة لثابت الجاذبية ، والذي يمكن حسابه من نتائج تلك القياسات ، وهو ما يبرر اعتبارها الطريقة الكلاسيكية لحساب هذا الثابت ، لا تزال متبعة إلى اليوم ، بالقليل من التعديلات .

يتكون الجهاز المستخدم ، والمسمى "ميزان اللي torsion balance" (والذى يرجع تصميمه الأصلي إلى جون ميتشيل الذى سوف نلتقى به بعد قليل) من قضيب دقيق ، معلق من منتصفه بخيط، وثقلين عند طرفيه (استخدم كافنديش لذلك كرتين من الرصاص) ، وضعت كرتان أكبر حجماً (من الرصاص فى جهاز كافنديش) على زاوية من القضيب، بحيث تؤدي قوة التجاذب بين الكرات الصغيرة والكبيرة إلى دوران القضيب . وقد قاس كافنديش زاوية الدوران عن طريق نظام من المرايا ، واستنتج من ذلك قوة الجذب الواقعة على الكرتين الصغيرتين نتيجة الكبريتين ، وقد اتضح أن قوة جاذبية الأرض للكرات الصغيرة أكبر بخمسائة مليون مرة قدر قوة الجذب للكرات الكبيرة . وبمقارنة هذه النتائج توصل كافنديش إلى حساب كتلة الأرض، فكانت 6×10^{24} (رقم ٦ متبوعاً بأربعة وعشرين صفراً) كيلوجراماً ، وكثافتها خمس مرات ونصف قدر كثافة الماء ، وهو ما أراد معرفته ، وبالصبط كما فى حالة مقارنة القمر بالتفاحة ، فإن ثابت التجاذب يلغى فى هذه القياسات . على أن المعادلة تبين أيضاً ، بعد تحويل بسيط ، أن قيمة الثابت هى 7×10^{-8} (عدد عشري مكون من رقم سبعة إلى يساره ثمانية أصفار) بالوحدات المترية ؛ جم ، سم ، ثانية .

ومرت مائة عام أخرى قبل أن يُجرى التحسين على جهاز كافنديش ، وفى التسعينات من القرن التاسع عشر وصل العلماء للقيمة المعتمدة إلى اليوم . وتتضافر الأدلة على أنه ثابت بمعنى الكلمة ، بالنسبة لكافة الأجسام مهما كانت طبيعة المادة

المكونة منها ، بالضبط كما تتضافر تجارب المعامل الأرضية والفلكية على أن قانون التربيع للجاذبية عام لكافة أرجاء الكون . على أنه منذ عهد نيوتن لم يحدث إلا القليل من التجارب لقياس الجاذبية على أبعاد صغيرة تتراوح بين عدة أمتار وعدة مئات من الأمتار- لصعوبة إجراء مثل هذه التجارب - ومن جهة أخرى لعدم الشعور بضرورة لذلك، فما دام قانون نيوتن قد ثبت أنه سارٍ على مستوى المسافات الغاية فى الكبر والغاية فى الصغر ، فهو لا بد سارٍ فى المسافات التى تقع بين هذا وذاك . وكانت هذه هى الثغرة التى تسببت فى الإثارة التى ذكرتها آنفاً .

وقد نتج الشك أن يكون هناك خطأ ما فى قانون نيوتن من التجارب التى أجريت للقياس الدقيق لوزن أجسام على أعماق مختلفة من المناجم، ومتابعة التغير فى هذه القيم كلما ابتعد الجسم عن سطح الأرض . فلو كانت الكرة الأرضية متجانسة تماماً لكانت قوة الجاذبية كما لو كانت مركزة فى المركز ، إذ أن الجذب فى الطبقات العليا سيكون متوازناً فى كافة الاتجاهات ، ولما حدث تغير فى وزن الجسم على الأعماق المختلفة .

على أن الحادث عملياً هو أنه لا بد من أخذ التشكيل الجيولوجى للأرض أثناء هذه القياسات ، سواء فى أعماق الأرض أو حتى على سطحها ؛ فالصخور المختلفة لها كثافات مختلفة ، مما يجعل الجذب فى اتجاه ما لا يتعادل مع الجذب فى الاتجاهات الأخرى . لكن القياسات التى أجريت فى منجم بأستراليا قد أدت إلى فكرة أنه على مسافة عدة مئات من الأمتار لن يكون قانون نيوتن دقيقاً تماماً ، وأن مقدار ثابت الجاذبية سيحدد عن الذى يقاس فى المعامل وفى القياسات الفلكية بمقدار واحد بالمائة. ولقد بدا من القياسات التى أجريت هبوطاً فى العمق ، وأيضاً على ارتفاعات مختلفة من سطح الأرض ، أنها تؤكد هذه الشكوك ، الأمر الذى دفع ببعض الفيزيائيين إلى الاعتقاد فى وجود قوة خامسة ^(١) ، تمثل قوة طاردة (جاذبية مضادة) ، بل وربما توجد قوة سادسة أيضاً . ولكن كانت كل هذه الأفكار من قبيل الحرث فى البحر ، فنيوتن كان على حق ، واتضح أن كافة الظواهر التى تخيلها البعض مناهضة له لها تعليقات على أساس من نظريته ذاتها ، إذا أخذ فى الاعتبار التوزيع غير المتماثل للصخور والترسبات الجيولوجية الأخرى المحيطة بمكان إجراء القياسات . فبالنسبة

(١) القوى المعروفة فى الطبيعة أربع ، الجاذبية ، والكهرومغناطيسية ، والقوة النووية الضعيفة ، والقوة النووية الكبيرة ، وتعمل القوتان الأخيرتان على المستوى دون الذرى ، الأولى هى المسئولة عن النشاط الإشعاعى ، والثانية هى المسئولة عن ترابط الجسيمات داخل النواة ضد قوى التنافر فيما بينها - المترجم .

للسواهد التي تمخضت عنها قياسات أستراليا على سبيل المثال اتضح أن سببها فعل الجاذبية لمجموعة من التلال الصخرية على بعد ثلاثة كيلومترات من المنجم ، وهو ما يدل على دقة هذه القياسات .

ولكن تخيل القوة الخامسة قد حقق فائدة علمية من جهة أخرى ، إذ كان مناسبة لإجراء المزيد من التجارب الدقيقة في النصف الثاني من الثمانينات ، وما بذل من جهد خارق لتحسين دقة الأجهزة لتكون التجارب في مثل تلك الحدود الضيقة . وكانت النتيجة النهائية هي المعرفة بدرجة أكبر بمدى ثبات ثابت الجاذبية وصحة قانون التربيع العكسي على مستوى كافة المسافات بلا استثناء ، من تجربة تُجرى على سطح مكتب إلى أخرى تُجرى على المستوى الفلكي . إننا نعلم حالياً بعمومية قانون نيوتن للجاذبية بصورة لم نتح لنيوتن نفسه .

ولكن على الرغم من نقص الدليل التجريبي لديه ، فقد كان نيوتن بالقطع يعتقد بعمومية قوانينه ، وحيث إن عمله العظيم الآخر كان في أبحاث الضوء ، والذي تخيله جسيمات تصدر من مصدره لتنعكس على ما يقابلها من مرايا أو تحيد عن مسارها عند اختراقها للمنشورات والعدسات ، فلنا أن نتصور أنه لم يكن ليتعجب بالمرّة من فكرة تأثر الضوء بالجاذبية . ولكن كان على بحث ينشر عن هذه الأعجوبة أن ينتظر لقرن آخر بعد نشر البرنسيبيا ، حين تصور نفس الشخص الذي صمم تجربة ميزان اللى ، جون ميتشيل John Michell ، فكرة النجوم السوداء .

عبر النظام الشمسى :

الفكرة المحورية في هذا الموضوع ، بجانب قانون نيوتن للجاذبية ، هي أن للضوء سرعة محددة ، ومن أكثر الحقائق إدهاشاً لأغلب الناس أن يكون قياس سرعة الضوء قد تم بالفعل قبل نشر البرنسيبيا .

لقد أُجريت الحسابات في السبعينات من القرن السابع عشر ، بواسطة العالم الهولندي أول رومر Ole Romer الذي ولد عام ١٦٤٤ وكان يعمل في مرصد باريس ، بالإضافة إلى أشياء أخرى ، كان رومر يقوم بدراسة أقمار المشتري ، والتي كانت تشغل اهتمام الفلكيين بصفة خاصة لكونها تعتبر نظاماً مصغراً من النظام الشمسى الذي وصفه كوبرنيكس وكبلر . فهذه الأقمار تدور حول كوكب المشتري بنفس الصورة

التي تدور بها الكواكب حول الشمس. وكان أحد رؤسائه هو الفلكي الإيطالي المولد جيوفاني كاسيني Giovanni Cassini الذي قدم إلى باريس في الرابعة والأربعين من العمر عام ١٦٩٩ ليتولى مسئولية الإشراف على هذا المرصد الجديد ، ثم ليكون مواطناً فرنسياً ويغير اسمه إلى جين. كان كاسيني مراقباً ماهراً ، يستخدم أحدث أجهزة الرصد آنذاك ، وقد اكتشف عام ١٦٧٥ الفجوة التي تقسم نظام الحلقات حول المشتري ، والتي تعرف باسمه . على أن أهم مساهماته كانت في مراقبة أقمار زحل ، وقام بأول حساب معقول للمسافة بين الأرض والشمس ، وكان هذان العملان هما ركيزة رومر في حساب سرعة الضوء .

من أهم المشاهد وأكثرها إثارة الانتظام الذي تنخسف به أقمار المشتري حين تدخل مناطق ظل هذا الكوكب ، وحتى قبل أن يغادر إيطاليا قام كاسيني بوضع جداول لمواقيت خسوف الأقمار الأربعة - التي اكتشفها جاليليو عام ١٦١٠ مستخدماً أول تلسكوب فلكي - وهي Io وأوروبا Europa وجانيميد Ganymede وكاليسثو Callisto . كانت تلك الجداول أقرب لمواعيد القطارات ، إذ قام كاسيني بوضعها مستخدماً قوانين كبلر ، مما مكّنه من عمل توقعات لفترات تالية .

على أن رومر لاحظ اختلافات طفيفة لمواعيد الخسوف عن هذه التوقعات ، وحين ركز على القمر يو ، وجد انتظاماً في تصرفه ، فخسوفه يحدث سابقاً على مواعده في الجدول الخاص به حين تكون الأرض متحركة في اتجاه أقرب موضع لها من المشتري (الكوكبان في نفس الناحية من الشمس) ، ولاحقة للموعد حين تكون الأرض متحركة إلى أبعد نقطة عنه (الكوكبان في ناحيتين متقابلتين من الشمس) .

وحتى بدون معرفة سبب حدوث ذلك ، فقد كان بإمكان رومر أن يقوم بالتنبؤ على أساس الأنماط التي اكتشفها، ففي سبتمبر من عام ١٦٧٩ تنبأ بأن يكون خسوف القمر يو الذي يحل ميعاده في ٩ نوفمبر متأخراً بمقدار عشر دقائق عن الموعد المقترح طبقاً للحسابات الكلاسيكية ، وهو ما تحقق بالفعل . وقد أدهش رومر زملاءه ببيان أن السبب هو الوقت الذي يقطعه الضوء للوصول للأرض .

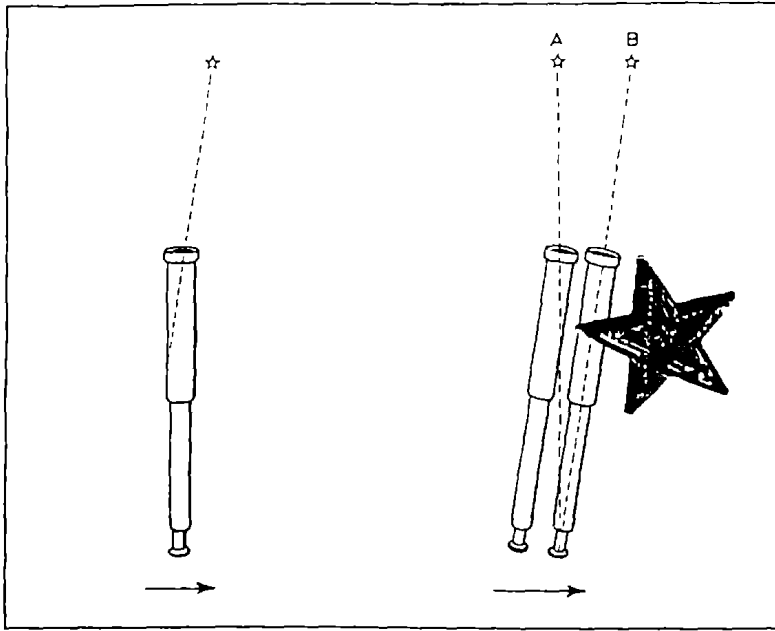
ففي الأشهر السابقة على حدوث الخسوف كانت الأرض تمضي في مسارها مبتعدة عن المشتري ، ومن ثم فإنه عند حدوث الخسوف السابق ، وإن كان قد حدث في مواعده طبقاً للحسابات، فإن الضوء المنبئ بحدوث ذلك كان أمامه عشر دقائق لاختراق التلسكوب الأرضي في مرصد باريس .

هنا كان أهم مساهمات كاسيني، دراسة حجم النظام الشمسي . فى عام ١٦٧٢ راقب كاسيني بدقة موضع المريخ أمام خلفية من النجوم فى باريس ، بينما قام زميله جين رتشار Jean Richer بنفس الشيء فى كاين Cayenne ، على الشاطئ الشمالى الشرقى من أمريكا الجنوبية . من هذه القياسات تمكن العالمان من تطبيق قواعد هندسة المثلثات على المثلث الغاية فى النحافة والذى قاعدته تمتد بطول عشرة آلاف كيلومتر من باريس إلى كاين ، ورأسه عند المريخ . ومن ذلك توصل كاسيني إلى بعد المريخ عن الأرض ، ومنه تمكن من حساب مسافات الكواكب الأخرى ، بما فيها الأرض عن الشمس ، مستخدماً قوانين كبلر وزمن دوران كل كوكب حولها .

وكان تقدير كاسيني لبعد الأرض عن الشمس (والذى يعرف اليوم بالوحدة الفلكية) ١٣٨ مليوناً من الكيلومترات ، أدق حساب تحقق فى عصره . فتيكو براهى قدر هذه المسافة بثمانية ملايين من الكيلومترات ، وكبلر نفسه قدرها ٢٤ مليون من الكيلومترات ، بينما مقدارها طبقاً للحسابات المعاصرة ١٤٩٥٩٧٩١٠ كيلومتر . ومن تقدير كاسيني لمسافات الكواكب عن الشمس، ومن زمن رحلة الضوء من المشتري إلى الأرض الذى قدره من خسوف عام ١٦٧٩ ، حسب رومر سرعة الضوء، ليجدها فى حدود ٢٢٥٠٠٠ كيلومتر فى الثانية. ولو أننا استخدمنا حسابات رومر مع التقدير الحالى لبعد الأرض عن الشمس لوصلنا إلى قيمة ٢٩٨٠٠٠ كيلومتر فى الثانية، والرقم الحالى هو ٢٩٩٧٩٢ ، والذى يغرى بتقريبه إلى القيمة المشهورة : ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية . ومهما كانت الأرقام التى تمخّضت عنها حسابات رومر ، فإن الواقع الحقيقى لعمله كان فى إظهار أن الضوء يحتاج إلى زمن لانتقاله ، وأن الإشارات الضوئية لا تنتقل لحظياً عبر الفضاء . كان هذا الرأى درامياً آنذاك لدرجة أن العديد من علماء ذلك العصر رفضوا تصديقه ، ولم يحظ بالاعتناع العام إلا بعد وفاة رومر. لقد توفى رومر عام ١٧١٠ ، وفى ١٧٢٠ قام الفلكى الانجليزى جيمس برادلى James Bradley بقياس سرعة الضوء مستخدماً أسلوباً آخر ، ولم يعد مجال للشك بعد ذلك فى هذا الأمر .

وقد وجد برادلى (الذى أصبح ثالث مدير للمرصد البريطانى الملكى بعد وفاة هالى فى ١٦٤٢) أنه حين درس الضوء القادم من النجم البراق جاما دراكونيس Gamma Draconis فى سبتمبر كان عليه أن يدير التلسكوب قليلاً ليحصل على رؤية أفضل؛ كذلك التى يحصل عليها فى مارس . بدا الأمر كما لو كان النجم يتأرجح بين موضعين

خلال العام ، وهى ظاهرة تسمى "الزيج" aberration ، وهى عامة لجميع النجوم. وقد ربط برادلى بين هذه الظاهرة وبين حركة الأرض فى الفضاء ، فالإدارة للتلسكوب مطلوبة للسماح للضوء بأن يقطع الزمن الإضافى ، والذي يبلغ جزءاً ضئيلاً من الثانية (شكل ١ - ٢) . قاس برادلى الإزاحة الزاوية للنجم والتي تنتج عن هذه الظاهرة ، وهى لا تزيد عن قوس مقداره ٢٠ ثانية . وبقياس هذه الإزاحة الضئيلة ، تمكن من قياس سرعة الضوء مقدراً إياها ٣٠٨٣٠٠ كيلومتر، قيمة قريبة للغاية من تقدير رومر ، وكافية للإقناع بمحدودية سرعة الضوء. وبنهاية ذلك القرن قام مفكران، كل على استقلال، بطرق الفكرة المتمخضة عن قانون نيوتن للجاذبية ، ومفهومه عن الضوء ، وآخر تقدير لسرعة الضوء، لحساب كيف يمكن للجاذبية أن تؤثر فى حركة الضوء .



(شكل ١ - ٢) بسبب حركة الأرض فإن التلسكوب يجب تحريكه بزاوية صغيرة لإمكان الحصول على صورة واضحة للنجم ، فهو وإن كان موضعه الحقيقى هو (أ) ، يبدو فى الموضع (ب) ، وهى ظاهرة يطلق عليها "الزيج" ، ويمكن الاستفادة منها فى قياس سرعة الضوء .

يدرك أى إنسان أتبع له مشاهدة عملية إطلاق مركبة فضائية، حتى لو كان ذلك على شاشة التلفاز، مدى الجهد الخارق الذى يتطلبه وضع شىء فى مدار مستقر فى الفضاء حول الأرض. ويحتاج الأمر لجهد أكثر لتحرير الأشياء كلية من قبضة جاذبية الأرض لتنتقل فى النظام الشمسى ، كمثال المركبة فوياجير التى أمدتنا بكم هائل من المعلومات عن كوكب المشترى وغيره من الكواكب الخارجية . وأفضل طريقة لتصوير الجهد المطلوب للتحرر من الجاذبية هو بيان السرعة الأدنى التى يلزم أن ينطلق بها جسم لكى يتحرر منها ، فلكل مصدر للجاذبية (وهو ما يعنى كل جرم فى الكون) سرعة حرجية يجب الوصول إليها لكى يمكن التغلب على جاذبيته، يطلق عليها "سرعة الهروب" *escape velocity* وتعتمد هذه السرعة على كثافة الجرم، فالكثافة تزيد من هذه السرعة ، لكن زيادة الحجم يقلل منها، لكون السطح أبعد مسافة من المركز (لا تنس أن الجاذبية تتناسب طردياً مع الكتلة ، وعكسياً مع مربع المسافة) ، فلو أننا ضغطنا الأرض بقوة سحرية لتكون أقل حجماً مع نفس الكتلة ، فسوف ترتفع سرعة الهروب ، حيث ستكون الجاذبية على سطحها أكبر . وفى المقابل لو أننا نظرنا لجرم أكبر من الأرض كالشمس أو المشترى ، فإن زيادة الكتلة تجعل سرعة الهروب أعلى منها للأرض ، ولكن كبر الحجم سيكون عاملاً مقللاً بقدر ما من هذه الزيادة ، لتكون المحصلة الكلية هى الفرق بين تأثير الزيادة وتأثير النقص .

وتصمم وسائل الإطلاق للمركبات الفضائية بحيث تكتسب سرعة كلما زادت ارتفاعاً ^(١) ، ولكن لو تصورنا أن قذيفة سوف تطلق من الأرض مباشرة، فإن وسيلة الدفع يجب أن تكون من القدرة بحيث تعطيها سرعة تساوى ٤٠ ألف كيلومتر فى الساعة، أو ١١ كيلومتراً فى الثانية الواحدة، لكى تهرب من الأرض. ولو قلت سرعة الجسم عن ذلك فسوف ترتفع إلى حد معين ثم تسكن ، لتعود للأرض مرة أخرى . أما عند اكتسابها سرعة تساوى أو أكبر من سرعة الهروب ، فإن سرعتها ستقل شيئاً ما ، ولكن القذيفة لن تتوقف ، بل ستواصل انطلاقها بعد التحرر من جاذبية الأرض إلى أن

(١) من الصعب عملياً إعطاء جسم سرعة تساوى سرعة الهروب وهو على سطح الأرض مباشرة، وقد حلت هذه المشكلة بأسلوب تعدد المراحل فى الإطلاق ، فالمرحلة الأولى تعطى المركبة سرعة معينة ، ثم تقوم المرحلة الثانية بزيادة هذه السرعة إلى مستوى أكبر ، فقط عند المرحلة الثالثة يكتسب الجسم سرعة الهروب - المترجم .

تقع فى قبضة جاذبية جرم آخر . وتبلغ سرعة الهروب للقمر ٨٥٧٠ كيلومتر فى الساعة ، وللمشتري ٢٢٠ ألف كيلومتر فى الساعة (أكبر بقليل من ٦٠ كيلومتر فى الثانية !) .

ماذا لو أمكننا أن نصعد بقذيفتنا إلى سطح الشمس ؟ سوف تكون سرعة الهروب فى حدود مليونى كيلومتر فى الساعة ، وهى سرعة ليست هينة بكل تأكيد، حوالى ٥٧ مرة أكبر منها للأرض ، ولكن من جهة أخرى فهى لا تزيد عن ٢ بالمائة من سرعة الضوء ، ولذا لن يجد الضوء مشكلة فى التحرر من جاذبية الشمس والانطلاق فى الفضاء .

وكان تصور العلماء فى القرن الثامن عشر للضوء هو تصور نيوتن له ، جسيمات تنبعث من مصدره ، فكان أمراً بديهياً أن يعتبر متأثراً بالجاذبية ، شأنه فى ذلك شأن الأجسام الأخرى ، وأن يجذب تأثير سرعة الهروب على الإشعاع الضوئى للنجوم اهتمامهم . لنفرض أن هناك من النجوم ما هو أكبر كثافة من الشمس ، لدرجة أن تكون الجاذبية على سطحه بحيث تكون سرعة الهروب من جاذبيته أكبر من سرعة الضوء ، إن نجماً كهذا سوف يكون غير مرئى على صفحة السماء ، هذا المنطق القوي هو ما قدمه جون ميتشيل فى بحثه عام ١٧٨٣ ، وسبب ضجة بين زملاء الجمعية الملكية .

ولد ميتشيل عام ١٧٢٤ ، فكان أصغر من هنرى كافنديش بسبعة أعوام . وكان تقديره بين العلماء الإنجليز تالياً لكافنديش مباشرة ، ولا يزال يذكر إلى اليوم بصفة الأب الروحى لعلم الزلازل ، والذي كان أول من خاض فيه بعد زلزال مدمر ضرب مدينة لشبونة عام ١٧٥٥ ، وقد اختير زميلاً للجمعية الملكية عام ١٧٦٠ ، ووصل لمنصب أستاذ للجيولوجيا فى جامعة كامبردج عام ١٧٦٢ ، ثم اتجه للنشاط الدينى عام ١٧٦٤

وليتشيل العديد من المساهمات فى علم الفلك ، تضمنت أول قياسات واقعية للمسافات بين النجوم ، والرأى بأن بعض أزواج النجوم التى ترى فى السماء ليست وليدة الصدفة ، بل هى ما يطلق عليه "النظام النجمى الثنائى" binary stars ، حيث يدور نجمان حول بعضهما البعض . وأيضاً ، كما قدمت أنفاً ، التصميم الأولى لميزان الى لقياس ثابت الجاذبية ، وهى التجربة التى توفى قبل أن يرى نتيجتها ، عام ١٧٩٣ . وقد ضاع اسم ميتشيل تقريباً من الذاكرة العلمية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، لدرجة أن مدخله فى الموسوعة البريطانية لا يتضمن ما يعتبر أكثر أعماله أهمية .

وقد ورد أول ذكر للنجوم السوداء فى بحث لميتشيل قرأه كافنديش على الجمعية الملكية فى ٢٧ نوفمبر عام ١٧٨٣ ، وطبع فى العام التالى فى مجلة الجمعية "Philosophical Transactions of the Royal Society" تضمن البحث شرحاً مسهباً عن خصائص النجوم من حيث أحجامها وأبعادها وكتلتها ، بقياس تأثير جاذبيتها على الضوء المنبعث من أسطحها . كان البحث مؤسساً كلية على النظرية الجسيمية للضوء التى وضعها نيوتن، وقد عرض ميتشيل للموضوع بما نصه :

لو وجدت أجسام فى الطبيعة لها كثافة لا تقل عن كثافة الشمس ، وأقطارها أكثر من خمسمائة مرة قدر قطرها ، فإن ضوعها لا يمكن أن يصل إلينا ، على أنه لو أن نجما مضيئاً وقع فى مجال تلك الأجسام ، فإننا يمكن أن نستشعر وجودها بتأثيرها على حركته .

إن ما أدركه ميتشيل بلغتنا هو أن نجماً يبلغ قطره خمسمائة مرة قدر قطر الشمس (أى قطر النظام الشمسى بأكمله) وكثافته قدر كثافة الشمس تكون سرعة الهروب على سطحه هى سرعة الضوء . وعلى الرغم من الإثارة التى سببها هذا البحث بين أعضاء الجمعية ، فيبدو أنها لم تنتشر خارجها بالقدر الكافى . ذلك أن بيير لابلاس Pierre Laplace قد نشر بحثاً مشابهاً فى كتابه "Exposition du systeme du monde" بباريس عام ١٧٩٦ ، يستفاد منه جهله التام بما قام به ميتشيل .

ليس من المستغرب ألا يكون لابلاس متابعاً لما ينشر فى الجمعية الملكية بلندن ، أخذاً فى الاعتبار الأحداث الدموية للثورة الفرنسية التى كانت تمر بفرنسا آنذاك ، والتى كان لابلاس مشغولاً خلالها بشق طريقه فى الحياة ، وهو أمر أبدى فيه مهارة فائقة . كان مولده فى نورماندى عام ١٧٤٩ ، لوالد مزارع ، ورحل إلى باريس عام ١٧٦٨ حيث أدهش الرياضى الشهير جيم دالمبيرر Jean d'Alembert بإمكانياته ، فعين أستاذاً للرياضيات بالمدرسة العسكرية ، واختير زميلاً بالأكاديمية الفرنسية للعلوم عام ١٧٧٣ . وقد عمل فى خدمة الحكومة قبل الثورة وبعدها ، وانضم ثم رأس لجنة الموازين والمقاييس التى أدخلت النظام المترى (مكرراً فى ذلك مسيرة نيوتن الذى ترأس دار سك النقود الملكية) . وفى عام ١٨١٤ تشتم لابلاس اتجاه رياح التطور السياسى ، فوضع رهانه على الملكية، وكوفئ على ذلك بتقليد لويس السابع عشر له

لقب ماركيز ، وظل نشطاً في الحياة العامة إلى وفاته عام ١٨٢٧ (قبل شهر واحد على مرور قرن على وفاة نيوتن) ، ومن عجب أن يقوم مثله بأى إنجاز علمى على الإطلاق وسط خضم تلك الأحداث، ولكن الواقع أن إنجازاه العلمى كان غزيراً لدرجة ترشحه أن يكون القرن الفرنسى لإسحق نيوتن . وقد قام من وجهة نظر معينة بوضع النقاط على الحروف لتطبيق نظريات نيوتن على النظام الشمسى .

كان نيوتن ذاته متحيراً بشأن مسلك كواكب النظام الشمسى . إن تطبيق قوانينه على جسمين متجاذبين أمر لا يثير مشكلة ما ، ولكن نظاماً يجمع عدة أجسام تتفاعل جاذبياتها ليس بتلك البساطة ، لقد خشى نيوتن أن يؤدي ذلك التفاعل إلى أن تحيد الكواكب عن المسار الذى قال به كبلر لها ، إلى أن تبتلعها الشمس ، أو أن يُقذف بها فى الفضاء الخارجى . لم يكن لديه إجابة شافية عن الموضوع ، ولعله كان يتوقع أن الأمر يتطلب تدخل يد الله القديرة بين الحين والآخر لإعادة الأمور إلى نصابها .

وقد أثبت لابلاس فى منتصف الثمانينات من القرن الثامن عشر أن الحيود فى مسارات الكواكب تتعدل تلقائياً ، بحيث تتذبذب فى مسار حول المسار النظرى الذى قال به كبلر ، وأنه لا خوف من أن يلقي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية أحد المصيرين المذكورين ، ويعتبر ذلك من أهم إنجازات لابلاس .

وكان بحث لابلاس عن "النجوم غير المرئية" كما أسماها قريب الشبه ببحث ميتشيل، عدا أنه قد اتخذ الأرض معياراً لمقارنته بدلاً من الشمس ، فجعل كثافة النجم غير المرئى تبلغ مثل كثافة الأرض ، وقطره ٢٥٠ مرة مثل قطرها .

وقد ظهرت فكرة النجوم غير المرئية فى أول طبعات الكتاب عام ١٧٩٦ ، ثم فى الطبعة الثانية عام ١٧٩٩ . وفى عام ١٨٠١ قام الفلكى الألمانى يوهان فون زولدر Jovan von Soldner بحساب انحناء الضوء خلال مروره قرب نجم ما نتيجة تأثير الجاذبية ، بل واقترح أن تكون نجوم مجرة درب التبانة فى دوران حول "نجم غير مرئى" كالذى قال به لابلاس .

ولكن فكرة النجوم غير المرئية اختفت من طبعة كتاب لابلاس لعام ١٨٠٨ ، ومن كافة الطبعات التالية ، فما الذى أدى به إلى نبذ الفكرة ؟

لقد جاءت أبحاث توماس يونج Thomas Yong الإنجليزى وأوجستين فرزنل Augustin Fresnel الفرنسى تقطع بأن الضوء عبارة عن موجات ، بما لا يدع مجالا للشك فى عدم صحة فرض نيوتن من كون الضوء ذا طبيعة جسيمية .

الموجات والجسيمات ، الاقترب من علم القرن العشرين :

كان الأساس الذى أوحى لنيوتن بفكرة الطبيعة الجسيمية للضوء هو كونه يسير فى خطوط مستقيمة ، أما الموجات فهى تتذبذب فى مساراتها كما نشاهد عند إلقاء حجر فى بركة ماء ساكنة . ويعتبر تكون الظلال أكبر شاهد على سير الضوء فى خطوط مستقيمة، فحتى على المستوى الكونى يتسبب ذلك فى ظاهرتى الخسوف والكسوف ، فالضوء ليس بإمكانه أن يحيد عن مساره ليمحو ظلا لجسم اعترضه .

على أن يونج وفرزنل اكتشفا أن الضوء بالفعل عبارة عن موجات ، ولكن على مستوى أكثر دقة من الأمثلة المضروبة ، وكانت التجربة الحاسمة هى إمرار الضوء عبر ثقبين صغيرين متجاورين . إن الصورة الناتجة حين تستقبل على حائل تكون عبارة عن أشرطة متتابعة مظلمة ومضيئة ، تعرف بحزوز التداخل، فالموجتان العابرتان للثقبين قد تداخلتا، بحيث تعزز إحدهما الأخرى فى بعض المناطق، بينما يتعارضان فى مناطق أخرى ، لتكون المناطق الأولى مضيئة ، والثانية مظلمة. إن صورة لهذا التداخل يمكن الحصول عليها عند إلقاء حجرين صغيرين متجاورين فى بركة ماء فى نفس اللحظة .

إن عدم الإحساس بظاهرة تداخل الضوء هو احتياجها لمستوى يتلاءم مع الطول الموجى له ، فى حين أن الظواهر التى اعتمد عليها نيوتن تفوق ذلك آلاف المرات. إن الضوء ينحني بالفعل عن مساره ، ولكن ذلك يحتاج لأبعاد غاية فى الدقة للجسم الذى يعترضه ، كحرف موسى حادة مثلاً .

وعلى ذلك ، فبينما كان كل العلماء تقريباً مقتنعين بفكرة نيوتن عن الضوء عند وفاته فى العشرينات من القرن الثامن عشر ، فإنهم كانوا جميعاً تقريباً عند وفاة لابلاس فى العشرينات من القرن التالى قد تخلوا عن هذه الفكرة ، واقتنعوا بالفكرة الموجية للضوء . وقرب نهاية القرن قام جيمس كلارك ماكسويل James Clark Maxwell بأبحاث تنبأ بوجود الموجات الكهرومغناطيسية . فالمجال الكهربى المتولد عن تيار متردد ينتج مجالاً مغناطيسياً ، وهذا المجال يتسبب فى خلق مجال كهربى ، وهكذا وبالبك . وقد بينت معادلات ماكسويل سرعة هذه الموجات ، وأنها بالفعل هى سرعة

الضوء كما قيست من قبل ، وهكذا أكتشف أن الضوء نوع من هذه الموجات ، والتي تضم أيضا موجات الراديو وموجات أخرى .

وعلى ذلك فقد كانت مفاجأة قاسية للعلماء فى بداية القرن العشرين أن يفسر أينشتاين الظاهرة الكهروضوئية على أساس أن الضوء مكون من جسيمات أسماها "فوتونات" photons فهذا هو التعليل الذى وضعه فى عام ١٩٠٥ لانبعاث الإلكترونات من سطح بعض الأجسام المعدنية حين يسقط الضوء عليها ، فهى تنطلق بفعل اصطدام جسيمات الضوء بها ، وليس فى النظرية الموجية للضوء ما يفسر ذلك . وفتح هذا الرأى الباب لإعادة طرح موضوع ماهية الضوء، حتى استقر الاقتناع بأنه ذو طبيعة مزدوجة ، تجمع بين الخصائص الجسيمية والخصائص الموجية ، ونال أينشتاين جائزة نوبل عام ١٩٢١ عن بحثه الذى فسر فيه الظاهرة الكهروضوئية. وهكذا بعد مرور قرنين من الزمان ، أضحى العلماء مقتنعين بصحة رأى كل من نيوتن ويونج عن الضوء .

وتعتبر ازدواجية الماهية بحيث تجمع بين خصائص الجسيمات والموجات أوسع مجالا من دراسة الضوء ، فهى حجر الزاوية فى النظرية الكمية التى تدرس الظواهر فى العالم دون الذرى . وقد بينت الأبحاث فى العشرينيات من القرن العشرين أن الجسيمات دون الذرية ، كالإلكترونات، لها أيضاً طبيعة مزدوجة تجمع بين خصائص الجسيمات وخصائص الموجات . وقد أصبح من المستقر أن كافة الكينونات لها هذه الطبيعة المزدوجة ، على أنها لا تظهر بصورة ملموسة إلا فى العالم دون الذرى . ومن جهة أخرى ، وكما سوف نبين لاحقا ، فقد وجد أن التأثيرات الكمية لها آثارها على الثقوب السوداء .

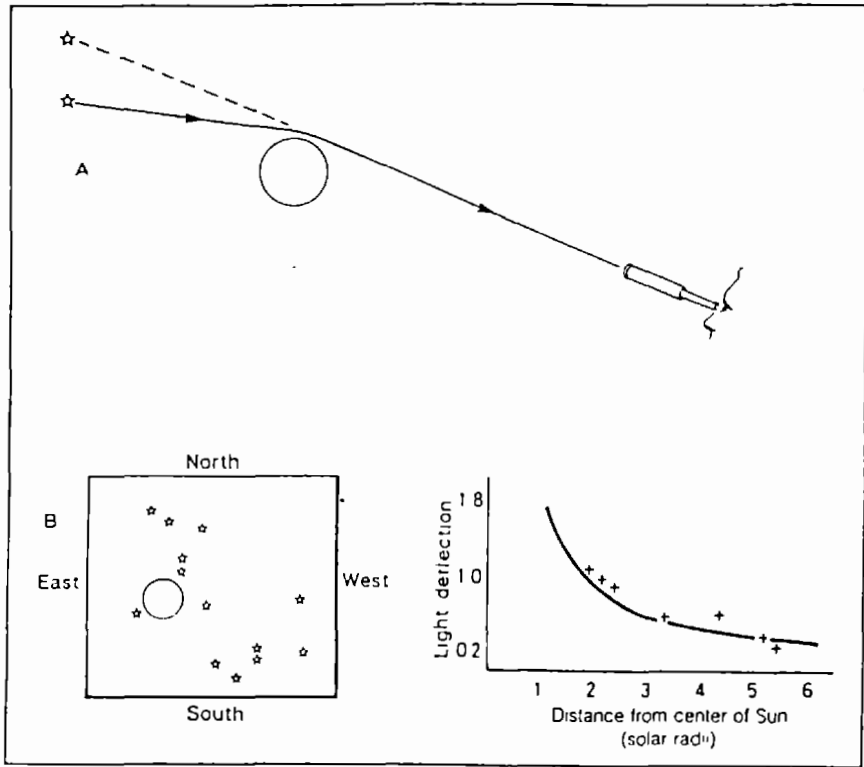
ولم تعصف فكرة أينشتاين عن الضوء بنظرية ماكسويل ، فلا يزال الضوء نوعاً من الموجات الكهرومغناطيسية ، كما أنه نوع من الجسيمات ، كل ما فى الأمر أن تفسير الظاهرة الكهروضوئية يتطلب التركيز على هذا الوجه من طبيعة الضوء ، فالفوتونات تنبعث من الأجسام بسرعة الضوء ، كما تقضى بذلك نظرية ماكسويل .

ولكن ليس فى نظرية ماكسويل مجال لإمكانية انخفاض سرعة الضوء تأثيراً بالاجاذبية ، وهكذا وجد أينشتاين صعوبة فى التوفيق بين ماكسويل ونيوتن ، الأمر الذى حدا به إلى وضع النظرية النسبية الخاصة لحل هذا التعارض ، والفكرة الرئيسية فى هذه النظرية هى ثبات سرعة الضوء ، بصرف النظر عن سرعة المراقب له أو اتجاه حركته . فهى النظرية التى تقول بأن الأبعاد تنكمش وأن الزمن يبطئ وأن الكتلة تزداد ، كل ذلك بنسبة سرعة الأجسام إلى سرعة الضوء ، وأن الكتلة والطاقة يمكن لكل منهما

أن يتحول إلى الآخر ، والشئ الهام بالنسبة لبحثنا ، أن النظرية قطعت باستحالة تحرك شيء فى الكون بأسرع من سرعة الضوء ، فلو أن جرماً سماوياً مما تنبأ به ميتشيل أو لابلاس موجود بالفعل ، فإنه ما من شئ على الإطلاق بإمكانه الفرار من قبضته . ومن المهم أن نعلم أن كل هذه التأثيرات قد ثبتت بالتجارب العملية المباشرة المتعلقة بالجسيمات فائقة السرعة . وإذا كانت نتائج النظرية النسبية تتعارض مع منطقنا البدهى ، فما ذلك إلا لأنها لا تظهر إلا عند سرعات ملموسة بالنسبة لسرعة الضوء ، والسرعات التى نعيشها تقل كثيراً عن ذلك .

على أن أينشتاين كان مدركاً أنه لم يوفق بعد إلى وضع نظرية متكاملة عن الكون ، حيث إن النسبية الخاصة لم تكن تتحدث إلا عن السرعة المنتظمة ، بمعنى أنها لم تكن تغطى حالة التسارع (العجلة) للأجسام ، ولتحقيق ذلك قام بوضع نظرية النسبية العامة ، عام ١٩١٦ . إنها النظرية التى تصف انحناء الزمكان، وتشرح (بل وتتطلب) وجود الثقوب السوداء فى الكون . لقد بينت النظرية النسبية العامة أنه رغم كون الضوء ينطلق بسرعة ثابتة على الدوام، فإن أجساما كالتى وصفها كل من ميتشيل ولاپلاس من شأنها أن تحبسه عن الانطلاق .

وكانت هذه التنبؤات تديداً لصدى افتراض قدمه فون زولندر منذ قرن مضى ، على أن تفسير انحناء الضوء بسبب الجاذبية عند مروره بجوار جرم كالشمس يختلف طبقاً للنظرية النسبية عنه طبقاً لنظرية نيوتن . ولم يعن أحداً أن يجرى تجربة تمحص رأى فون زولندر فى ذلك، ربما لأن العلماء فى ذلك الوقت كانوا على اقتناع تام بالنظرية الموجية للضوء ، فنظروا لهذه التجربة على أنها بلا جدوى . لقد بين أينشتاين أن انحناء الفضاء بجوار الشمس يتسبب فى انحناء مسار الجسيمات والموجات على السواء ، ولكن كيف يمكن أن يرى شعاع نجم خلال النهار ؟ كان الحل هو انتظار لحظة كسوف كلى للشمس، يمكن خلالها تصوير النجوم التى تقع فى اتجاهها . فلو أن الشمس تعمل بالفعل على انحناء الضوء كما تفعل العدسات ، فإن النجوم سوف تبدو مزاحة عن موقعها بعد ستة أشهر ، حينما تكون الشمس فى الناحية الأخرى من السماء بالنسبة لتلك النجوم . وقد انتهزت فرصة كسوف عام ١٩١٩ وأجريت هذه التجربة التى أثبتت صحة نظرية أينشتاين ، وجعلت منه اسماً عالمياً (شكل ١ - ٣) . لقد كان هذا النجاح حدثاً اهتزت له وسائل الإعلام، وظن الناس على غير الحقيقة أن قوانين نيوتن قد انهارت من أساسها .



(شكل ١ - ٣) أ - حينما يمر شعاع نجم بجوار الشمس ، فإنه ينحني بسبب جاذبيتها . ب - أثناء الكسوف الكلى لعام ١٩١٩ ، قام فريق من العلماء تحت رئاسة آرثر أدنجتون بإجراء قياسات لمواضع النجوم ، وقد أيدت النتائج نظرية أينشتاين تماماً .

وأعاد اكتشاف انحناء الضوء الحديث عن الثقوب السوداء ، ولكن الحديث هذه المرة كان حول انكماش نجم كالشمس إلى قطر أصغر من قطرها ، بحيث تصغر المسافة بين السطح والمركز . ففنى أ. أندرسون من University Collage, Galway يقول :

لعلنا نلاحظ ، رغم قسوة التخیل، أنه لو أن الشمس انكمشت إلى قطر ١,٤٧ كيلومترا ، فإن سرعة الهروب على سطحها سوف يكون من الكبر بحيث لا تشع شيئا

من الضوء . وقتها ستكون الشمس غارقة في الظلام
الدامس ، ليس بسبب افتقادها للضوء ، ولكن لعدم
قدرتها على الإشعاع .

ويقول سير أوليفر لودج الذى تقاعد مؤخراً من رئاسة جامعة برمنجهام :

إن جسماً ذا كتلة هائلة مركزة يمكن أن يمنع الضوء
من الانفلات منه ، ولا يشترط أن يحدث ذلك لجسم منفرد ،
فيمكن أن يحدث لنظام نجمى ملئ بالفراغات .

إن ما يشير إليه سير لودج فى الواقع هو أن الأجسام إذا تساوت فى كثافتها ،
فإن سرعة الهروب تزيد بزيادة الحجم . فليس البعد عن المركز هو العامل الوحيد
لزيادة سرعة الهروب ، بل أيضاً مقدار كتلة الجسم . فبمضاعفتك الكتلة ، والتي هى
حاصل ضرب الحجم فى الكثافة ، تتضاعف سرعة الهروب فى تناسب طردى .

إن هذا يعنى أنه بإمكان الثقب الأسود أن يتكون من أى شيء على الإطلاق،
أجسام مركزة أو ضخمة الحجم، طالما أن علاقة الكثافة بالحجم تبقى بالغرض. وعلى
ذلك، فيمكن لنظام شمسى كمجرة درب التبانة الذى نعيش بداخله أن يلعب دور ثقب
أسود ، حتى وإن كان الضوء خلاله يمشى حراً . ومن جهة أخرى، يمكن أن تكس
نواة الذرة ذاتها لتصنع ثقباً أسوداً .

كل هذه الأفكار كانت متقدمة عن موعدها بنصف قرن ، إذ لم يكن أحد من علماء
العشرينات من القرن العشرين مستعداً لأخذ فكرة الثقوب السوداء ، ناهيك عن
المجرات السوداء ، مأخذ الجد . لقد كان العلماء آنذاك منشغلين بأبحاث ميكانيكا الكم ،
وبتفسير طاقة النجوم عن طريق تحول الكتلة إلى طاقة طبقاً لنسبية أينشتاين ، على أن
الأسس الرياضية التى تتطلبها فكرة الثقوب السوداء كانت جاهزة ، بل لقد كانت
جاهزة فى الواقع منذ مطلع القرن التاسع عشر ، فى أعمال كارل جاوس ونيكولاى
لوباشفسكى وجانوس بوليا .

ويعد أن سردنا مسيرة العلم منذ عصر نيوتن إلى أينشتاين ، ووطننا بأقدامنا
أرض علم القرن العشرين ، يجدر بنا أن نرجع خطوة لنرى رياضيات القرن التاسع
عشر المتعلقة بالهندسة غير الإقليدية ، والتى وضع أساسها برنارد ريمان Bernhard
Rieman ، لتكون حجر الزاوية فى عمل أينشتاين المتعلق بالنظرية النسبية العامة .

الفصل الثانى

التواء الزمان والفضاء

**المشاكل المتضمنة خطوطا متوازية ، كيف أن نبابة ألهمت
فيلسوها كسولا بمفتاح دراسة المنحنيات ، إحناء الهندسة لتحنى
الفضاء وتطلق الكون ، واضعة الهندسة فى نطاق النسبية ، كيف
يشرح قضيب النظرية النسبية ، الكون المصنوع من مسطح مطاطى ،
وإعادة اكتشاف الثقوب السوداء .**

بالنسبة للفيزيائى يبدأ العلم الحديث من نيوتن فى القرن السابع عشر ، أما بداية الهندسة فتبدأ إما قبل ذلك أو بعد ذلك . فهي تبدأ أبعد من ذلك بالنسبة للهندسة الإقليدية التى ألفناها ، والتى تقول إن مجموع زوايا المثلث ١٨٠ درجة ، وإن الخطوط المتوازية لا تتلاقى مهما امتدت ، هذه الهندسة تعود إلى الإغريق. ولكن تاريخ الهندسة أقصر من ذلك بالنسبة لنوع من الهندسة تصف التواء الزمكان، وتشرح لماذا تتبع الجاذبية قانون التربيع العكسي. حتى علماء الرياضيات لم يدركوا احتمال هذا النوع من الهندسة إلا فى القرن التاسع عشر، ولم يمكن استغلال هذه الهندسة عملياً إلا فى القرن العشرين، لتطبق على الكون الذى نعيش فيه .

من إقليدس إلى ديكارت :

يشتهر اسم إقليدس الذى عاش حوالى عام ٣٠٠ ق.م، بالهندسة المنسوبة إليه ، ليس لكونه وضعها على الإطلاق ، ولكن لكونه قد ضمنها مؤلفاً جامعاً يتكون من ثلاثة عشر جزءاً أسماه "العناصر". Elements كان يعيش فى الإسكندرية ، ومن المحتمل أن يكون قد تتلمذ فى كلية أفلاطون بأثينا ، ولكن ربما ليس قبل وفاته عام ٢٤٠ ق.م. لم يكن رياضياً يشار إليه بالبنان كأرشميدس ، ولكنه عاش فى نهاية عصر جلائل أعمال الرياضيات الإغريقية ، وأوتى موهبة فى تسجيلها بدقة وعناية ، مستخدماً

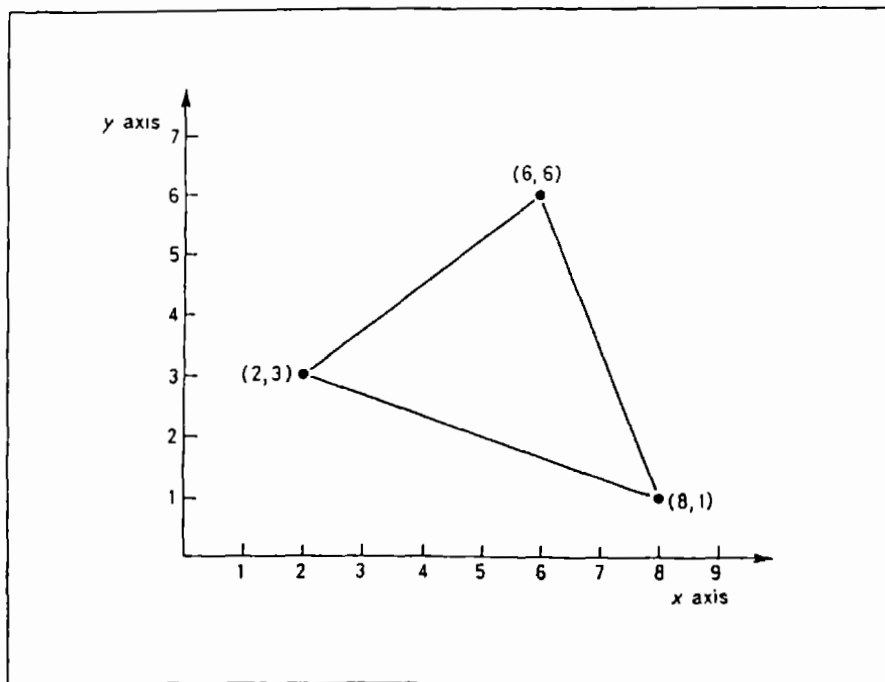
المنطق فى إثباتها، بدءاً من تعريفات وبيدييات أولية ، كتعريف النقطة والخط المستقيم وما إلى ذلك ، وترجم مؤلفه إلى العربية وإلى اللاتينية ، وظل مرجعاً للهندسة طوال عشرين قرناً من الزمان .

على أن نظرية إقليدس حول الخطوط المتوازية نجم عنها مصاعب شتى. تقول هذه النظرية إنه لا يمكن رسم سوى مستقيم واحد مواز لمستقيم آخر من نقطة خارجة عنه. وعلى الرغم من أن هذا المفهوم يتطابق مع البدييات التى نلمسها، إلا أنه من الصعب إثباته بناء على البدييات الأولى لإقليدس. وقد قام بذلك الرياضى الإيطالى جىرولامو ساكييري Girolamo Saccheri الذى أسس برهانه على أنه لو لم يكن هذا صحيحاً لأمكن رسم مثلث من المستقيمين المتوازيين ونقطة التقائهما تزيد مجموع زواياه عن ١٨٠ درجة ، وهو أمر مستحيل ، وكان قوله باستحالة ذلك سبباً فى فوات فرصة عليه باكتشاف هندسة غير إقليدية . وقد جرى على هذه الهندسة تحويلاً على يد رينيه ديكارت فى القرن السابع عشر .

ولد ديكارت عام ١٥٩٦ ، ابن لمستشار فى برلمان مقاطعة بريتانى بفرنسا. كان طفلاً مريضاً، فكان من عاداته الاستلقاء فى السرير مفكراً ، وقد تخرج من كلية القانون بجامعة بواتييه Poitiers عام ١٦١٦ ولكن بدلاً من أن يستقر كأكاديمى ينعم بحياة علمية هادئة ، خدم لاثنتى عشرة سنة فى ميادين القتال ، واضعاً موهبته الهندسية فى خدمة العمليات الحربية . وفى العاشر من نوفمبر عام ١٦١٩ كان يستلقى مسترخياً بعد كسب الجيش الذى يخدمه المعركة ، حين هبط عليه إلهام الثورة التى قام بها فى مجال الهندسة. وسبب معرفتنا بالتاريخ محددًا هو أن ديكارت قد كشف عنه فى كتابه "مقالة حول طرق الاستنباط المنطقى السليم والبحث عن الحقيقة العلمية A discourse on the Method of rightly conducting the Reason and seeking Truth in the Sience" . وقد نشر الكتاب عام ١٦٣٧ ويشار إليه اختصاراً باسم "الطرق The Methods" .

كان ديكارت وقتها مستقراً فى هولندا بعد تركه الخدمة العسكرية عام ١٦٢٩ ، على أنه لم يستطع مقاومة إغراء عرض الملكة كرسستينا ملكة السويد لأن يكون فى بلاطها ، وأن يؤسس الأكاديمية السويدية للعلوم ، وأن يعلمها الفلسفة . على أنه فزع عند وصوله حين علم أنه بدلاً من استرخائه فى السرير كان عليه أن يشارك الملكة طقوسها فى الخامسة صباحاً فى برد السويد ، رغم كونه قد تجاوز الخمسين من عمره. وكانت النتيجة إصابته بنزلة برد سرعان ما تطورت (بفضل حماس الأطباء فى عملية الحجامة) إلى التهاب رئوى قضى نحبه بسببه فى عام ١٦٥٠ ، بعد قليل من بلوغه الرابعة والخمسين .

على أن أعماله ظلت باقية من بعده، واضعة إياه في مصاف أعظم الفلاسفة والعلماء. كان في كثير من المواضع مجدداً ، رافضاً أى علم ينبني على الغيبيات لا الإقناع . على أن الأمر المتعلق بقصتنا يتضمن مراقبته وهو مستقل في استرخاء لذبابة تحوم في فضاء غرفته، حين انتبه إلى أن موضعها في أى مكان يمكن تحديده بثلاثة أرقام، هي البعد عن ثلاثة مسطحات ، حائطين متجاورين وسقف الغرفة، بحيث تتقابل الثلاثة في ركن واحد. نعرف جميعاً هذا النظام الذي نطلق عليه نظام الإحداثيات، والذي ينسب لديكارت تشريفاً له فيسمى "الإحداثيات الكارتيزية". على أننا غالباً ما نعرف هذا النظام في الخرائط الجغرافية التي تتعامل مع إحداثيين فقط لا ثلاثة، خطوط الطول التي تحدد الشرق والغرب ودوائر العرض التي تحدد الشمال والجنوب (شكل ٢ - ١) .



(شكل ٢-١) تحديد ثلاث رؤوس لمثلث عن طريق إحداثياتها

ويمكن توصيف أى شكل هندسي بواسطة نظام الإحداثيات ، بعد اختيار محورين يطلق عليهما الإحداث السيني والإحداث الصادي ، ويؤخذان متعامدين عادة. فلو كان الشكل مثلثاً مثلاً يمكن تحديد مواضع رؤوسه كما في (الشكل ٢ - ١) . وهكذا

فتح ديكارت الباب أمام دمج علمى الهندسة والجبر ، باستخدام المعادلات الجبرية لتمثيل الأشكال الهندسية ^(١) . وليس هذا مقصوراً على الأشكال المكونة من مستقيميات كالمثلث، بل إن أى منحَن قابل للتمثيل كمعادلة كارتيزية تمثل جميع نقاطه ببُعديها السيني والصادي ، وينطبق نفس الشيء على المجسمات الفراغية ، حيث تتحدد النقاط بثلاثة أبعاد، كتحديد موقع طائرة مثلاً ^(٢) ، حيث يضاف الارتفاع إلى إحداثيات خطوط الطول والعرض .

وتبدأ قياسات الإحداثيات من نقطة مرجعية تسمى نقطة الأصل ، ومنها تتفرع المحاور التى منها تقاس الإحداثيات ، ويمكنك اختيار نقطة الأصل فى أى مكان يروق لك، كما يمكنك تغيير الزاوية بين المحاور فلا تكون متعامدة بالضرورة. سوف تظل الإحداثيات الكارتيزية موجودة لتصف المستقيميات والمنحنيات على الأسطح المستوية ، والمجسمات الفراغية كالكرة الأرضية ، أو علبة شراب، أو ، وهو الأهم، قطعة مجمعة من الورق . هذا بالضبط ما تم إنجازه فى القرن التاسع عشر على يد رياضى ذلك القرن الذين مضوا فيما وراء إقليدس ، متسلحين بما قدمه لهم ديكارت .

فيما بعد إقليدس :

أول من أبحر فيما وراء إقليدس واعياً لمضمون ما يفعل كان الرياضى الألمانى كارل جاوس، أحد عظماء الرياضيات فى العالم . ولد جاوس عام ١٧٧٧ فى برونسفاك Brunswick لعائلة فقيرة الحال ، ولكنه أبدى نبوغاً فى الرياضيات لفت إليه انتباه دوق برونسفاك الذى تولى تدعيمه وإحاطته بالرعاية إلى أن قتل متأثراً بجراحه فى معركة جينا ضد نابليون عام ١٨٠٦ . عندئذ لم يكن جاوس فقط قد وقف على قدميه، بل كان قد أتم - وهو فى التاسعة والعشرين- أغلب أهم مساهماته فى الرياضيات قبل أن يتحول للفلك ، على أن القدر الأعظم من هذه الأعمال لم يكن معروفاً لغيره من العلماء، ناهيك عن العالم بأسره .

هناك سببان لذلك ، الأول أن قدرأ كبيراً من أعماله أنجزها بين عمرى الرابعة عشرة والسابعة عشرة ، ولم يكن هذا العبقرى الناشئ فى أسرة فقيرة يعرف كيف

(١) أخبرنى والذى أنه كان يتلافى الحلول الجبرية (فى الثلاثينات) بتحويل أى معادلة إلى شكل بيانى ويقيس النتيجة ، بذلك فإن الفضل يرجع لديكارت أن مكته من النجاح فى مادة الرياضيات .

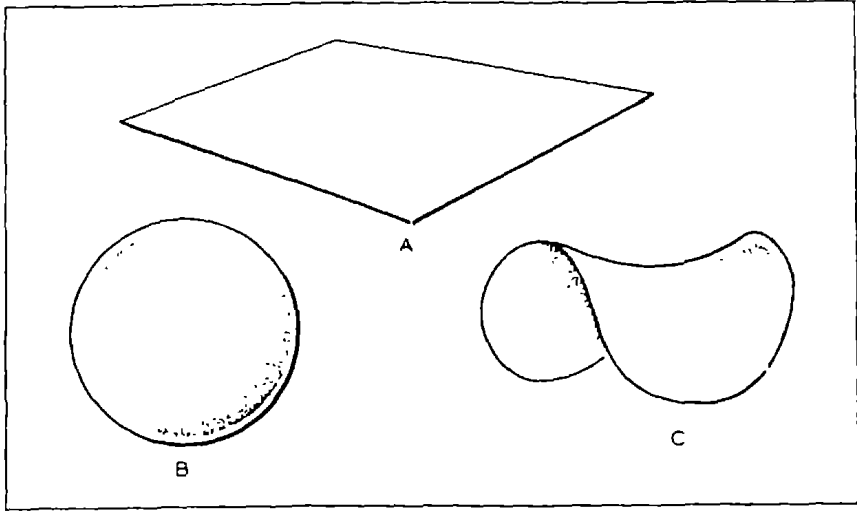
(٢) تسمى رياضيات ديكارت "الهندسة التحليلية analytical geomtry - المترجم .

ينشر أعماله. وفي الفترة بين ١٧٩٥ و ١٧٩٨ كان لا يزال يدرس في جامعة جوتنجن ، مستمراً في إنجازاته ، وحين حصل على الدكتوراه من جامعة هلمشتات في الثانية والعشرين ، كان قد أنجز أعظم أعماله. أما السبب الثاني الذي لم يجعله يسارع بنشر أعماله حتى بعد أن أصبح معروفاً للمحيط العلمي هو رغبته في الإتيان إلى درجة متطرفة . ونتيجة لذلك فقد اتضح أن اكتشافات كثيرة لغيره كان قد بدأها بالفعل ، ولكنه تركها دون نشر .

وعند بداية القرن الجديد تحول جاوس إلى الفلك ، وتولى منصب مدير مرصد جوتنجن بعد وفاة الدوق ، بالإضافة إلى شغله وظيفته أستاذ بالجامعة إلى أن توفي عام ١٨٥٥ . وتتضمن مذكراته العديد من الاختصارات لم يتمكن أحد من تفسيرها حتى الآن ، ولعلها كانت اكتشافات رياضية لم يستطع أحد بعده فهم مغزاها ، ولكنها تشير أيضاً إلى اكتشافه نوعاً من الهندسة غير الإقليدية عام ١٧٩٩ ، بالضبط قبل ثلاثين عاماً من نشرها بواسطة عالم روسي هو نيكولاي لوباشفسكي - Nikolai Loba- chevsky .

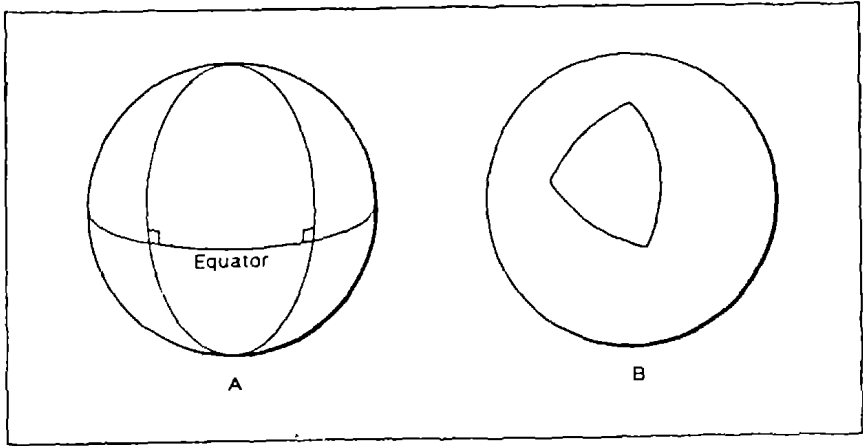
وينسب عمل لوباشفسكي (الذي قام بطرح الفكرة لأول مرة عام ١٨٢٦) أيضاً لضابط مجرى يدعى جانوس بوليأي Janos Bolyai . كان بوليأي ابن رياضي شهير أيضاً هو وولفجانج ، ارتبط بصلة صداقة مع جاوس ، وأراد لابنه أن يكون متعلمداً على يديه ، على أن الابن أحب والده بالتحاقه بالجيش وهو في سن السادسة عشرة ، ليس كمحارب بل كما فعل ديكارت من قبل ، كمهندس حربي . ورغبة من الابن في تطيب خاطر والده ، قام بسبر غور الهندسة الإقليدية ، ووصل لنفس ما وصل إليه جاوس ولوباشفسكي ، ولكنه لم يتمكن من نشر عمله .

لقد وصل العلماء الثلاثة معاً ، وعلى استقلال ، إلى نفس نوع الهندسة "الجديدة". لقد بينوا أنه من الممكن تصور هندسة متكاملة ، تضم كافة بديهيات الهندسة الإقليدية، عدا المتعلقة بالخطوط المتوازية ؛ ويعني ذلك إمكان رسم خط، ثم من نقطة خارجه رسم عدة خطوط لا تتقاطع معه على الإطلاق ، أي متوازية معه. تنتسب هذه الهندسة إلى نوع من الأسطح غير المستوية ، فهي مؤسسة على أسطح مبنية على منحنى القطع الزائد . تشبه هذه الأسطح سرج الحصان، وتمتد من طرفيها إلى ما لا نهاية (شكل ٢-٢) . على مثل هذه الأسطح يكون مجموع زوايا المثلث أقل من ١٨٠ درجة ، ويطلق عليها "سالبية الانحناء" .



(شكل ٢-٢) تبني الهندسة الإقليدية على الأسطح المستوية (أ) ، ووصف الأشكال المرسومة على أسطح منحنية، قد تكون مغلقة (ب) أو مفتوحة (ج) ، يحتاج الأمر إلى هندسة جديدة. يعتبر الفضاء الكوني ذا انحناء خفيف يجعله منغلقا، كما يقوم الثقب الأسود بجعل الفضاء حوله منغلقا عليه .

يفضل الكثيرون استيعاب الهندسة غير الإقليدية من طريق آخر ، من عجب أنه لم يكن طريق أى من روادها الثلاثة ، ألا وهو طريق السطح الكروي الذى لا يمتد إلى ما لا نهاية ، فهو سطح منغلقل على نفسه، أو ذو انحنائية موجبة "موجب الانحناء" . إنك ترى أن الخطوط المتوازية تتصرف بطريقة غريبة على سطح الكرة الأرضية . خذ مثلاً خطوط الطول ، ترى أنها تبدأ جميعاً متعامدة على خط الاستواء ، وتتلاقى فى نقطتين ، القطب الشمالى والقطب الجنوبي، ولذا فإن مجموع زوايا المثلث على السطح الكروي يكون أكبر من ١٨٠ درجة (شكل ٢-٣) .



(شكل ٢-٣) (أ) على سطح الكرة الأرضية تتقاطع جميع خطوط الطول مع خط الاستواء متعامدة عليه ، ولكنها تتلاقى جميعاً عند القطبين ، (ب) مجموع زوايا المثلث المرسوم على سطح كرة أكبر من ١٨٠ درجة .

تمثل الأسطح المستوية إذن - والتي هي مجال تطبيق الهندسة الإقليدية - وضعاً خاصاً متوسطاً بين الأسطح المفتوحة والأسطح المنغلقة . على أن حقيقة وجود العديد من الهندسات غير الإقليدية لم يرسخ في الأذهان إلا على يد برنارد ريمان ، تلميذ جاوس ، والذي نشر عمله عام ١٨٥٠ ، إنه - من بين أشياء أخرى - من اكتشاف الهندسة الكروية .

تجديد عصر الهندسة :

عالمج ريمان الهندسة الكروية تحليلياً ، أى عن طريق الجبر ، باستخدام الإحداثيات الكارتيزية . ويفتح له هذا الأسلوب مجالاً رحباً لا يتحقق لمعالجة الهندسة عملياً عن طريق الرسم باستخدام المسطرة والمنقلة والفرجار . فهذه الأدوات تعمل جيداً لو كنت بصدد بحث علاقة بين أشكال محددة، قد تكون على مسطح ذي بعدين ، أو حتى مجسم فراغى ذي ثلاثة أبعاد . ولكن ، كيف تتعامل بهذا الأسلوب مع شكل رباعى الأبعاد ؟ لا يتجرأ العمليون على مجرد السؤال ، فى حين يمكن دائماً كتابة معادلات بأى عدد من الأبعاد .

خذ مثلاً نظرية فيثاغورث الشهيرة ، والتي تربط بين المربعات المقامة على أضلاع المثلث قائم الزاوية . إن لفظ "تربيع" يثير فى الخيال على التو الرمز "س٢" ، على أن فيثاغورث نفسه قد تعامل مع الموضوع عن طريق مربعات فعلية ، مرسومة فوق

الأضلاع ، بل إن كلمة "Geometry" بمعنى هندسة تعنى "قياس الأرض" ^(١) . على أنه يمكنك كتابة العلاقة على صورة معادلات باستخدام الإحداثيات الكارتيزية، تتضمن معاملين، "س" للتعبير عن الإحداثيات السينية ، و"ص" للتعبير عن المعاملات الصادية ، وما أن تفعل ذلك حتى يكون بإمكانك تطوير هذه المعادلات إلى ثلاثة أبعاد لوصف المجسمات الفراغية ذات الثلاثة أبعاد ، فتكون المعادلات ذات ثلاثة معاملات "س"، "ص"، "ع" ، بل يمكنك تطويرها إلى أى عدد من الأبعاد ^(٢) ، تحمل جميعها خاصية نظرية فيثاغورث .

تعتبر كل هذه الأفكار جذابة للعقل الرياضى البحت ، وإن لم يكن لها أدى مدلول بديهي (سوى ما سنراه من تطبيق الفضاء رباعى الأبعاد فى النسبية العامة) ، ويرجع الفضل لريمان أن بين إمكانية تحقيق ذلك رياضيا .

ولد ريمان عام ١٨٢٦ ، والتحق بجامعة جوتنجن وهو فى العشرين من العمر ، وتلقى العلم فى البداية على يد جاوس، والذي كان يقترب من السبعين حين انتقل ريمان إلى برلين عام ١٨٤٧ ليدرس لعامين قبل أن يعود إلى جوتنجن، وحصل على الدكتوراه عام ١٨٥١ ثم عمل مساعدا للفزيائى فلهلم فير، من رواد علم الكهرباء ^(٣) .

كان النظام المعمول به للقبول كمعيد فى الجامعة ، أن يتقدم الطالب بثلاثة موضوعات يختار القسم المعنى منها واحداً يكون هو موضوع محاضراته، وكان دخل المحاضر يدفع عن طريق الطلاب الذين يسجلون أسماءهم كمستمعين له . وقد كان الوضع السائد أن تختار لجنة الاختيار الموضوع من بين أول موضوعين ، أما الثالث فقد كان ينظر إليه كتكملة شكلية ، وعلى هذا الأساس وضع ريمان خطته ، على أن جاوس فتن بعنوان الموضوع الثالث ، فقد كان يتعلق بالهندسة، وفوجئ ريمان بقبول موضوع لم يكن مستعداً للمحاضرة فيه على الإطلاق .

(١) البادئة جيو geo- تعني دائما "الأرض"، كما فى "جيولوجيا، جيوفيزياء...الخ، وهي مشتقة من "جايا" إلهة الأرض لدى الإغريق - المترجم

(٢) يخرج الفضاء متعدد الأبعاد فيما يزيد على ثلاثة عن التصور الذهنى ، فهو يعبر عن صور رياضية مجردة تصلح للتحليلات الرياضية الصرفة، فالفضاء رباعى الأبعاد يستخدم لوصف الزمكان الذي قالت به النسبية العامة، أما ما يفوق ذلك من أبعاد فلها مجالات تطبيق فى علوم أخرى ، بل ويرى البعض أننا نعيش فى فضاء كونى ذي ثلاثة عشر بعدا، ويرى البعض أنها أكثر من ذلك - المترجم

(٣) ربطت أبحاثه بين الضوء والكهرباء، مما مهد لماكسويل اكتشاف معادلاته .

أنهك الاستعداد لتحضير محاضرات فى ذلك الموضوع صحة ريمان ، فخر مريضاً ولبت بالفراش إلى أن فاته حضور الموعد المضروب لتقديم عمله إلى لجنة الاختيار برئاسة جاوس ، وفى الموعد التالى كان الدور على جاوس ، الذى تجاوز السبعين، ليعتذر لظروفه الصحية ، وأخيراً تمكن ريمان من عرض موضوعه فى العاشر من يونيو ١٨٥٤ ، إلا أنه لم يطبع إلا بعد وفاته بعام، فى ١٨٦٧ . كان العنوان الذى افتتن به جاوس معنوناً "حول الفروض التى تؤسس عليها الهندسة On the hypotheses which lie at the foundation of Geometry" ، وكان يتناول موضوعات متعددة، منها قياس انحناء الفضاء، ووصف للهندسة الكروية .

رغم أن الموضوع كان متعلقاً بالهندسة أساساً ، فإن أكثر ما تضمنه إثارة هو سبقه فى الافتراض بأننا نعيش فى فضاء منغلق ، لقد كانت فكرة أكثر طموحاً من النجوم السوداء التى جاء بها ميشيل ولابلان ، والمؤسسة على تطبيق مباشر لقوانين نيوتن. لقد سبق ريمان بفكرته هذه أينشتاين بأكثر من نصف قرن، بل بربع قرن على مولد أينشتاين ذاته . إن كل إنسان يعرف أن أينشتاين هو أول من تنبأ بانغلاق الكون ، وكل إنسان مخطئ بهذا الخصوص .

وحصل ريمان على الوظيفة، وفى ١٨٥٥ توفى جاوس ، ثم تلاه خليفته فى رئاسة القسم بأربعة أعوام ، فال المنصب إلى ريمان ، وفى التاسعة والثلاثين من العمر قضى نحبه بسبب مرض السل ، ولو قدر له أن يعيش إلى عمر جاوس لرأى كيف خدمت فكرته عن الفضاء متعدد الأبعاد أهم إنجازات العلم ، ألا وهى النظرية النسبية العامة ، وصدق نبوعه عن انغلاق الكون .

على أن أينشتاين لم يكن حتى الثانى فى الترتيب بالقول بهذا الرأي ، كما أن أينشتاين لم يكن هو الذى طبق الهندسة الريمانية على نظريته .

هندسة النسبية :

فى الترتيب الزمنى ، يقع بين عمل ريمان ومولد أينشتاين رياضى إنجليزى هو ويليام كليفورڊ William Clifford ، الذى عاش فيما بين ١٨٤٥ و ١٨٧٩ وتوفى ضحية مرض السل مثل ريمان . قام كليفورڊ بترجمة عمل ريمان إلى الإنجليزية ، وكان له الفضل الأكبر فى إدخال فكرة الفضاء المنغلق وتفاصيل الهندسة غير الإقليدية إلى الفكر الإنجليزى. كان يدرك احتمال أن يكون الفضاء الكونى ثلاثى الأبعاد الذى نعيش فيه محدوداً ومنغلقاً على نفسه ، ولكن هندسته تكون رباعية الأبعاد ، بنفس الطريقة التى يكون فيها سطح الكرة الأرضية ثنائى الأبعاد محدوداً ومنغلقاً على نفسه ، ولكن هندسته ثلاثية الأبعاد . فكما أن مسافراً على سطح الكرة الأرضية فى خط مستقيم سوف يكون ماله العودة إلى نقطة البداية، فإن مسافراً فى الفضاء الكونى فى خط

مستقيم سوف يعود إلى نفس النقطة التي بدأ منها رحلته . ولكن كليفور دأرك أن الأمر يتجاوز هذا الانحناء التدريجي في فضاء الكون ، ففي عام ١٨٧٠ قدم ورقة بحث إلى جامعة كمبردج وصف فيها احتمال أن يكون الانحناء متغيراً من نقطة إلى أخرى ، على غرار مرتفعات ومنخفضات سطح الكرة الأرضية، والتي هي في المتوسط مسطحة، وعلى هذا الأساس فإن قوانين الهندسة التقليدية ليست مناسبة لها. بعبارة أخرى ، فإنه قبل ميلاد أينشتاين كان كليفور يتخيل إمكانية وجود تشوهات موضعية في نسيج الكون ، دون أن يتصور بطبيعة الحال كيف تتكون هذه التشوهات أو سببها .

كان كليفور واحداً من كثيرين تناولوا الهندسة غير الإقليدية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ^(١) ، وإن كان أفضلهم بما أوتى من صفاء ذهن في تصور مردود ذلك على هندسة الكون. لقد كان تفكيره في الأمر عميقاً، ويمكننا أن نتصور منازعته لأينشتاين حول السبق للفكرة لو لم يقدر له أن يتوفى قبل أحد عشر يوماً من ميلاد أينشتاين. ومن الطريف أنه بينما يمكننا أن ننسب فضل السبق في فكرة النسبية العامة إلى ويل كليفور، فإن أحد المتضلعين في هذه النظرية، وأفضل من شرحها للقارئ العادي ^(٢) هو كليفور ويل Clifford Will ، عالم أمريكي ولد قبل سميّه المعكوس بمائة يوم ويوم .

مع كل هذا الاهتمام بالهندسة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يعجب المرء أن وصل أينشتاين إلى نظرية النسبية الخاصة باستخدام المعادلات الجبرية، واضعاً المعادلات التي توفق بين قوانين نيوتن للحركة وثبات سرعة الضوء كما اكتشف ماكسويل . على أننا نعلم أن أينشتاين كان فيزيائياً وليس رياضياً ، بل لم يكن فيزيائياً سوياً، فهو قد ضاق ذرعاً بطرق مدرسيه العقيمة لدرجة أن العديد منهم بشروه بأنه لن يكون شيئاً مذكوراً، وطرد من مدرسته بألمانيا ^(٣) ، ورسب في أول

(١) للحصول على مرجع واف عن الموضوع، انظر "The Measure of the Universe, J.D. North, Oxford Uni ١٩٦٣ .

(٢) Was Einstein right, Basic Books, ١٩٨٦ .

(٣) لم يرد في الترجمة التي راجعناها لأينشتاين (كتاب أينشتاين، ترجمة نبيل صلاح الدين، من إصدارات هيئة الكتاب) قصة طرده من المدرسة، بل الذي جاء أنه طلب التحويل منها إلى مدرسة باييطاليا حيث رحل والداه قبل عام، كما أن عبارة أنه لن يكون شيئاً مذكوراً وردت على لسان مدرس للأدب اللاتيني وليس للفيزياء - المترجم .

امتحان له لدخول معهد البوليتكنيك بزيورخ. وحتى حين أتيح له الالتحاق بها وصفه أحد أساتذته ، هرمان منكوفسكى Hermann Minkowski بـ "الولد الكسلان" ، الذى لا شك فى ذكائه ، ولكن ليس له قبل بالرياضيات على الإطلاق. ولم تكن الرياضيات فقط هى مصدر ضجره ، فعندما حان موعد الامتحان النهائى كان متأخراً فى العديد من المواد التى لم يحضر دروسها لضيقه بها ، وكان عليه أن يحشو عقله بها ، وهو أمر لم يستطع إنجازه إلا بمساعدة صديقه الحميم مارسيل جروسمان Marcel Grossman . وعند تخرجه عام ١٩٠٠ فشل فى الالتحاق بنشاط أكاديمي ، وقضى عدة سنوات فى بداية القرن العشرين يعمل فى مكتب براءات الاختراع بزيورخ ، وهى الوظيفة التى أتيحت له بفضل وساطة والد زميله جروسمان ، كانت وظيفة متواضعة أتاحت له أن ينكب على التفكير فى الفيزياء ، إلى أن توصل إلى وضع النظرية النسبية. نشرت النظرية عام ١٩٠٥ ، ثم بدأ يدخل التاريخ .

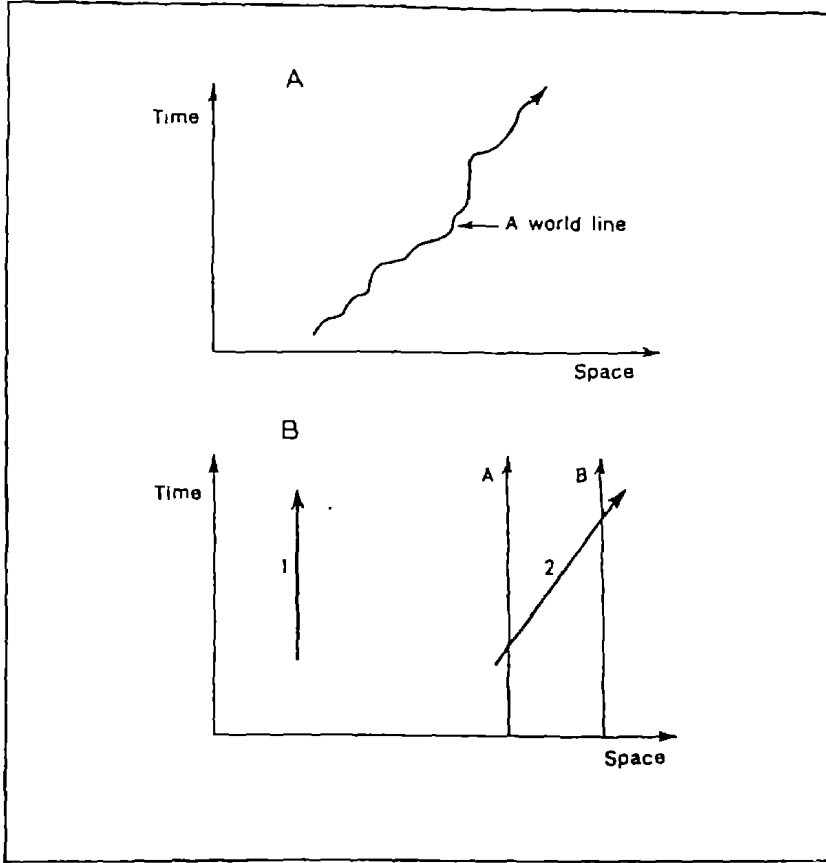
ولكن ، ليس على الفور ، إذ لم يكن وضع النظرية النسبية هو ما سبب له شهرته العريضة ، لقد كان ذلك بفضل أن قام أستاذه منكوفسكى بوضع نظريته فى قالب هندسى رباعى الأبعاد ، ساهمت فى تصورهما بقدر كبير .

كان ميلاد منكوفسكى عام ١٨٦٤ ، قبل عامين من وفاة ريمان ، وشغل منصب أستاذ الرياضيات فى معهد البوليتكنيك بزيورخ من ١٩٠٢ إلى وفاته بالتهاب الزائدة الدودية فى يناير عام ١٩٠٩ ، وقد عمل فى جامعة جوتنجن متتبعاً خطوات جاوس وريمان ، ولكن معالجته الهندسية للنظرية النسبية بُنيت على هندسة ديكارت أكثر من هندسة سابقيه العظماء فى جوتنجن .

تتضمن معادلات أينشتاين أربعة معاملات ، الثلاثة المألوفة للفراغ ، ثم معامل رابعاً هو الزمن. لنرجع بذاكرتنا إلى ديكارت وهو مستلق يرقب الذبابة ، لقد رأى أن موضعها فى أية لحظة زمنية تحدد بثلاثة إحداثيات فراغية ، وما ذهب إليه أينشتاين هو إضافة زمن هذا التحديد لحظة بعد الأخرى فى شكل رباعى الأبعاد لتمثيل رحلة حياة الذبابة ^(١) .

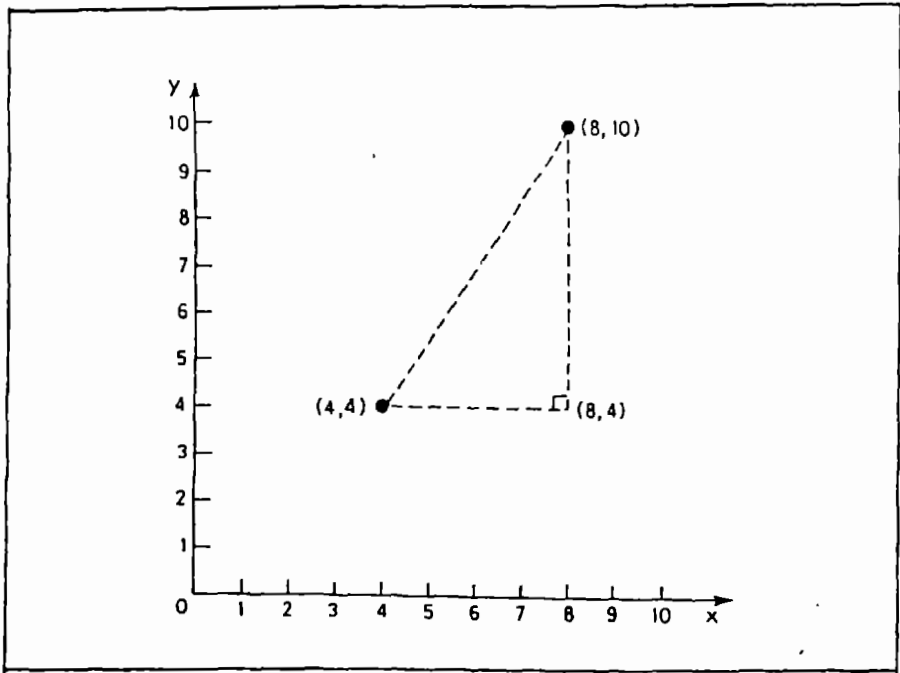
(١) ليس الأمر بهذه البساطة ، فالك لا يعلم أن الزمن بُعد يؤخذ فى الاعتبار ، لكنه مستقل تماماً عن الأبعاد الفراغية. الجديد فى نظرية أينشتاين هو أنه دمج هذا البعد مع الأبعاد الثلاثة الفراغية فى مفهوم الزمكان ، بحيث يمكن تحويل الزمن إلى فراغ أو العكس ، وهو ما لم يتصوره أحد من قبله ، ويمثل لب نظرية النسبية الخاصة كما سيشرح المؤلف بعد ذلك ، وتصويراً لذلك الفرق يقال إن نظرية نيوتن مبنية على ١+٣ من الأبعاد ، بينما نظرية أينشتاين مبنية على أربعة أبعاد . وفى ذلك يختلف منحى يمثل مسار رحلة كالتي شرحها المؤلف لذبابة أو لطائرة ، عن "الخط الكوني" الذى يرسم المسار فى الزمكان ، والذى سيرد ذكره حالا - المترجم

ولك أن تتخيل خطأً رُسم ليبين هذه الرحلة منذ وضعها بيضة إلى موتها، خط مشوش تقع عليه نقطة تمثل لحظة معينة من يوم ١٠ نوفمبر من عام ١٦١٩، توافق أن كانت في موضع ما من غرفة ديكارت. هذا الخط يطلق عليه "الخط الكوني" world line، ويرسم في فضاء رباعي الأبعاد (شكل ٢-٤) .



(شكل ٢-٤) أ- تصوير لخط بياني في الزمكان ، جُمعت فيه الأبعاد الفراغية الثلاثة في المحور الأفقي ، ويمثل الخط الكوني رحلة حياة شيء ما (ذبابة مثلاً) يمثل موضعه كل لحظة . ب- الجسم ١ يقف في نفس الموضع طوال الوقت، والجسم ٢ يتحرك من "أ" إلى "ب" مع مرور الوقت .

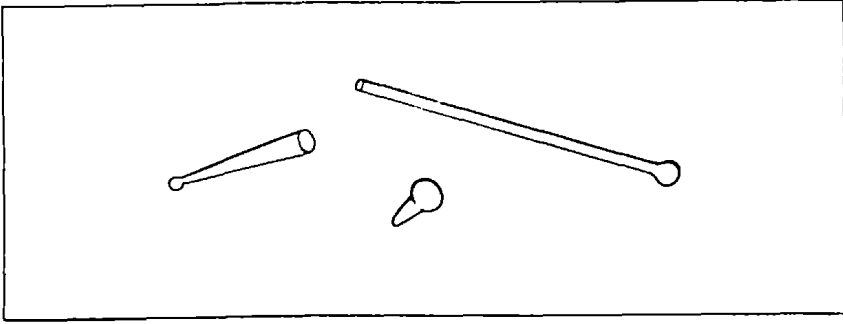
إن أحد المعادلات فى نظرية النسبية تتماثل مع معادلة فيثاغورث ، وليس هذا تصادفًا محضًا ، فالمعادلة تصف طريقة إيجاد أقصر مسافة بين نقطتين ، وتسمى هذه المعادلة "المترى أو المقاسى" $metric$ للفرغ المتعدد الأبعاد (أو الزمكان) $spacetime$ ، كما أن أقصر مسافة يطلق عليها أيضا "الجيوديسى" ، أو المتقاصر "geodisic" ، وبالتبع فإنه لسطح مستو سواء أكان صفحة ورق أو مسطح أرض على ضفاف النيل ، فإن الجيوديسى هو خط مستقيم يمكن حسابه من معادلة فيثاغورث. وتتلخص الطريقة فى الآتى (راجع شكل ٢-٥ لسهولة التتبع) فى مسطح ثنائى الأبعاد يمكن تحديد كل نقطة بإحداثياتها السينية والصادية، ويمكن حساب المسافة بين نقطتين عن طريق رسم مثلث قائم الزاوية ضلعاه هما فرق الإحداثيات، ووتره هو المسافة المطلوبة .



(شكل ٢-٥) حين نعلم الإحداثيات الكارتيزية لنقطتين ، يمكن حساب المسافة بينهما برسم مثلث قائم الزاوية وتطبيق قاعدة فيثاغورث ، ولا يهم موضع نقطة الأصل ، فموضعها لن يؤثر على فرق الإحداثيات التى تحدد طول ضلعى المثلث. تصلح الطريقة للأبعاد الأربعة (وأكثر من ذلك) حتى مع تعذر رسمها ، وبذلك نحصل على المسافة فى الزمكان، وليس المكان فقط .

يمكننا عمل نفس الشيء بالنسبة للفضاء ثلاثى الأبعاد ، باستخدام ثلاثة محاور سيني وصادى وعينى . وتطبق معادلة أينشتاين الفكرة على فضاء رباعى الأبعاد ، بإضافة بعد رابع "ز" يمثل الزمن . وعلى ذلك تكون أبعاد هذا الفضاء هى : يمين/يسار ، أمام/خلف ، أعلى/أسفل ، ماضى/مستقبل ، وتعتبر معالجة منكوفسكى للنظرية النسبية مزيجاً من تطبيق الهندسة الكارتيزية وتوسيع الهندسة الريمانية إلى الأبعاد الأربعة .

يعطى ذلك أوضح تصوّر لكيفية إبطاء الزمن وانكماش المسطرة حين تقترب السرعة من سرعة الضوء ، تقول معادلات أينشتاين إن طول الوتر فى الفضاء الرباعى الذى نستنتجه من تطبيق نظرية فيثاغورث ثابت لا يتغير ، ولكن بالنسبة لمراقب متحرك، يمتد البعد الزمنى وتنكمش أبعاد الأطوال تعويضاً لذلك الممتد .



(شكل ٢-٦) يبدو القضيب حين يدور فى الفراغ متغير الطول على الدوام ولكننا نعلم أن هذا ليس إلا خداع نظر .

تصور قضيباً كالمبين (بشكل ٢-٦) يدور فى الفراغ، سوف ترى أن طوله يتغير مع زاوية النظر إليه ، رغم كونه ثابتاً فى الحقيقة ، إنه تأثير المنظور ، بهذه الطريقة يمكن تصور تغير الأبعاد فى النظرية النسبية بين بعد الزمن وأبعاد الفراغ ، عن طريق تأثير المنظور فى الأبعاد الأربعة .

وتحرياً للدقة تتبقى إضافة مهمة، وأخرى طفيفة ، فى المعادلة يعتبر المعامل المعبر عن الزمن سالباً، بينما تعتبر الأبعاد الأربعة المكانية موجبة، ولذا لا يمكن أن يعتبر الزمن مجرد بعد رابع للفضاء، إنه بعد رابع، ولكن نوع من الفضاء السالب، فحين ينكمش الطول ، يتمدد الزمن ، وحين يتمدد الطول ، ينكمش الزمن ، ولكن طول الوتر الذى يجمع الأبعاد الأربعة يظل ثابتاً .

كما أن المعامل المعبر عن الزمن يضرب دائماً في سرعة الضوء ، وعلى ذلك فإن الثانية الواحدة تكافئ مسافة ثلاثمائة ألف كيلومتر ، ولهذا السبب لا تظهر تأثيرات النظرية النسبية إلا عند سرعات تقترب من سرعة الضوء .

وقد ظهر تبسيط منكوفسكى للنظرية النسبية في محاضرة ألقاها في كولونيا عام ١٩٠٨ ، قبيل وفاته ، وتلقى كلماته الافتتاحية للمحاضرة الضوء على الأهمية التي يراها لمفهوم الأبعاد الأربعة ، والتي سرعان ما أدركها الآخرون :

إن النظرة التي أطرحها أمامكم عن الفضاء والزمن قد نبتت من التجارب العملية الفيزيائية، وفي ذلك مكن قوتها، إنها نظرة جوهرية، فالفضاء بذاته والزمن بذاته حرى بهما أن يتلاشيا، ويتبقى مزيج منهما ليمثل الحقيقة قائمة بذاتها .

على أن واحداً لم يعر كثيراً من الاهتمام للمعالجة الهندسية لمنكوفسكى ، إنه من نعتة سابقا بالولد الكسلان. لقد كان ألبرت أينشتاين بطبعه عزوفاً عن علم الرياضيات، ولكنه سرعان ما تعلم أن يتعايش معه، خاصة مع إدراكه بأن الفضل في ذبوع شهرته يرجع لتصوير منكوفسكى الهندسى لنظريته، إذ بعد تلك المحاضرة مباشرة منح أول درجة للدكتوراة من جامعة جنيف، وكان ذلك عام ١٩٠٩ ، كبداية للعديد منها .

على أنه إذا كان منكوفسكى قد استخدم فكرة ريمان الخاصة بالفضاء متعدد الأبعاد، فإنه لم يلجأ لهندسته ، فلم يكن محتاجاً لها ، فهندسة النظرية النسبية الخاصة إقليدية ، تعتبر الفضاء مسطحاً ، كل ما فى الأمر هو إضافة بُعد رابع للهندسة الفراغية. ولم يكن لجوء أينشتاين لهندسة ريمان غير الإقليدية إلا عند تعامله مع تكور الفضاء، وهنا كانت يد المساعدة متمثلة فى صديقه القديم جروسمان ، وذلك فى إطار النسبية العامة .

تصور آينشتاين للجاذبية :

كانت النظرية النسبية الخاصة وليدة تطور العلم وقت ظهورها، بمعنى أنه لو لم يتصد آينشتاين لها لقام بذلك غيره ، مدفوعاً بحل التناقض بين قوانين نيوتن وتصرف الضوء^(١) . ولكن يقال إن النظرية النسبية العامة كانت وليدة إلهام تفرد به آينشتاين ، بمعنى أنه ربما لم يكن لهذه النظرية أن تبرز للوجود لخمسين عاما تالية لو قدر لآينشتاين أن يخر صريعاً تحت عجالات ترام في عام ١٩٠٦ . ولقد ساهمت بنفسى فى نشر هذه المقولة فى كتب سابقة لى ، ولكنى أرى الآن أن هذا رأى لم يأخذ حقه من التمحيص ، إنه قول روجه الفيزيائيون حين يسترجعون كيف شرحت نظرية آينشتاين الأمور .

إن التعارض بين نيوتن وماكسويل قد تطلب نظرية جديدة، ويرى الرأى المذكور أنه بوضعها لم يعد ثمة تناقض آخر يستدعى التفكير ، ربما، ولكننا رأينا أنه بحلول القرن العشرين كانت فكرة الكون المتكور قد طُرحت أكثر من مرة بواسطة الرياضيين، ومن المؤكد أن طرح منكوفسكى للجانب الهندسى لنظرية آينشتاين فى ثوب من فضاء مسطح كان سيلهب خيال واحد من الرياضيين (لعله يكون جروسمان) لمحاولة بسط الفكرة إلى الكون المنحني، فمن وجهة نظر الرياضيين فإن النظرية النسبية العامة هى تطور عصرها كالخاصة سواء بسواء ، فهى امتداد طبيعى لها (سوف نرى فى الواقع أن الرياضيين سابقون دائماً للفيزيائيين بعدة خطوات إلى الستينات من هذا القرن، ولا يزالون إلى الآن متقدمين بخطوة أو اثنتين) ، يتأسس هذا الرأى على حقيقة أن الأمر تطلب تحفيزاً من رياضى ليحث آينشتاين الفيزيائى على المضى فى طريقه بعد ١٩٠٩ .

على أن ما افتقده آينشتاين بالنسبة للنظرة الرياضية عوضه بذهن متوقد فى الفيزياء، فقد كان فى إحساسه بكيفية عمل الكون فارساً لا يشق له غبار ، لقد كانت نظرية النسبية الخاصة وليدة تساؤل عما يمكن أن يحدث لو أنه ركب شعاعاً من الضوء، وكانت النسبية العامة وليدة تساؤل عن تصرف الضوء لو اخترق مصعداً هابطاً . لقد بذرت هذه البذرة وقت وضع النسبية الخاصة ، ولكن لعدم إلمام آينشتاين بطبيعة الهندسة الريمانية تطلب الأمر منه تسعة أعوام لكى تتضح .

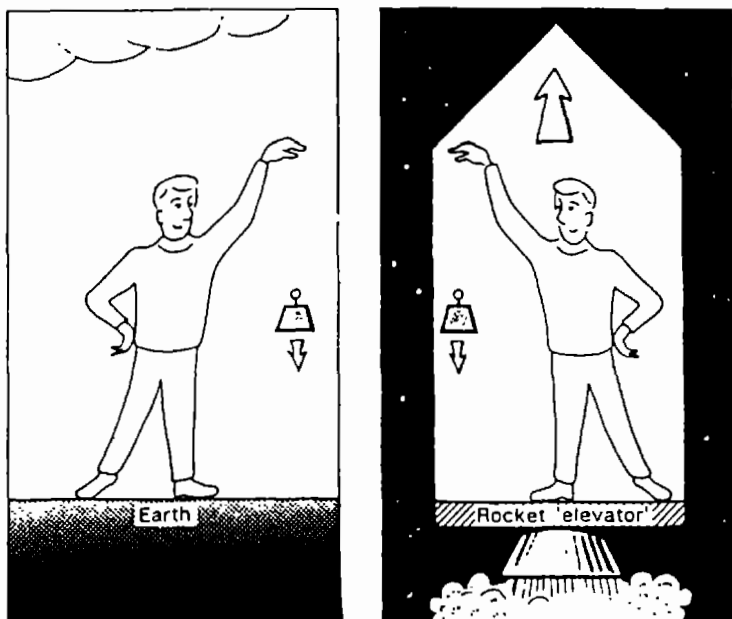
(١) المرشح لذلك هو العالم الفرنسى الشهير بوانكاريه، إذ كان يعمل فى نفس الخط، وقد نشر بحثاً متزامناً مع بحث آينشتاين متضمناً الكثير من أفكار النسبية الخاصة ، على أن نظرية آينشتاين كانت أكثر شمولاً - المترجم .

تخبرنا النسبية الخاصة كيف تبدو الأمور لتحركين بسرعات تقارب سرعة الضوء، ولكنها ثابتة المقدار والاتجاه ، وقد كان بادياً حتى حين وضعها أنها تقصر عن تفسير الأمور في حالتين واقعتين، حالة التسارع (والذى يعبر عنه الفيزيائيون بأنه تغيير في قيمة السرعة أو في اتجاهها أو في الاثنين معاً) ، وحالة وقوع الجسم تحت تأثير الجاذبية. وقد تمثل نفاذ بصيرة أينشتاين في إعلانه عام ١٩٠٧ أن الأمرين هما نفس الشيء ، يمثل هذا الإعلان حجر الزاوية في فهمنا الحالى عن الكون، ويعرف بمبدأ "التعادلية equivalence" .

يمكن لأى إنسان تحرك مع مصعد سريع أن يفهم ما يقصد أينشتاين بمبدأ التعادلية، فحين يبدأ المصعد فى التحرك لأعلى، يشعر المرء بقدميه يضغطان على أرضية المصعد، كما لو كان وزنه قد زاد، وحين يهبط المصعد يشعر كأن وزنه قد خف، كما لو أن الجاذبية قد تعادلت جزئياً مع قوة ما ، يتضح من ذلك أن التسارع والجاذبية بينهما شيء ما مشترك، ولكنها خطوة جبارة أن يستنتج امرؤ من ذلك أنهما بالفعل نفس الشيء. ويعطى مثال آخر تصويراً لهذا المبدأ، فلو أن الكابل المتعلق به المصعد قد قطع، وفشلت كل وسائل الأمان فى منع الكارثة، فإن المرء سوف يشعر خلال السقوط أنه حر الحركة داخل الكابينة، بصورة من حالة انعدام الوزن .

ولكن ما الذى يحدث لشعاع ضوء صدر من أحد جوانب الكابينة للجانب الآخر؟ إنه يسير فى خط مستقيم، ولكن مراقباً خارجياً يرى الشعاع (لنفرض أن الكابينة من زجاج) سوف يرى أنه فى الفترة الزمنية التى عبر فيها الكابينة، فإن أرضيتها قد تحركت شيئاً ما، فيبدو بالنسبة له وكأن الشعاع قد انحنى فى مساره، والانحناء تأثير للجاذبية .

وعلى ذلك فلو أن الجاذبية والتسارع هما حقيقة نفس الشيء، فإن الجاذبية لا بد وأن يكون لها تأثير على الضوء ، وكما أنه بإمكانك أن تلغى الجاذبية فى حالة السقوط الحر، يمكنك أن تعطى إحساساً بها فى حالة عدم وجودها، فتجعل كل شيء "يسقط" لأسفل فى حالة مركبة متصاعدة لأعلى (شكل ٢-٧) .



(شكل ٢-٧) يعطى كل من الجاذبية والتسارع المنتظم نفس التأثير الذى نسميه "الوزن"

لم يكن القول بانحناء الضوء مفزعاً كما رأينا، فقد قيل به نتيجة قوانين نيوتن عن الجاذبية ونظريته الجسيمية للضوء ، حقيقة أعطت الحسابات التى أجراها أينشتاين تطبيقاً لمبدأ التعادلية نفس النتائج التى نجمت عن تطبيق الأسلوب الآخر ، إلا أن المثير فى الموضوع أنه حين اتخذت خطوة إثبات صحة انحناء الضوء كان أينشتاين قد أتم نظرية كاملة عن الجاذبية والتسارع، هى النسبية العامة ، وفى حسابات هذه النظرية يبلغ قدر الانحناء ضعف المستتبطن بناء على نظرية نيوتن، وهذا القدر هو ما جعل الناس يهتمون بالنظرية، ولكن لم يكن هذا قد تم إلا عام ١٩١٩

لثلاث سنوات بعد إعلانه مبدأ التعادلية لم يبد أينشتاين نشاطاً فى تطوير نظرية مؤسسة على هذا المبدأ، وكان ذلك لعديد من الأسباب؛ فمع تزايد شهرة أينشتاين بدأ

يتقلد العديد من المناصب الأكاديمية، أولاً كمحاضر فى جامعة برن، ثم مساعدا لأستاذ فى زيورخ، ثم أستاذاً متفرغاً فى براغ. وكانت أسرته تنمو، فقد رزق بابنه الأول هانز عام ١٩٠٤، ثم جاء إدوارد عام ١٩١٠، ولكن الأهم من هذا كله أن أينشتاين كان مشغولاً بالتطور العلمى الهام آنذاك، النظرية الكمية، فلم يكن مستعداً أثناء ذلك للنضال من أجل نظرية جديدة عن الجاذبية، ولهذا السبب لم يعد إلى حقل الجاذبية إلا بعد أن وصلت أبحاثه فى الكمية إلى طريق مسدود، وكان ذلك فى براغ عام ١٩١١

نسبية الهندسة :

لقد كان فى ١٩١١ فى الواقع أن أخذ أينشتاين فى تطبيق فكرة انحناء الضوء على مروره بالقرب من الشمس، وخرج بتوقع قريب من المتخضض عن تطبيق قوانين نيوتن، والذي كان قد استنبط على يد الألماني جوهان فون زولدر عام ١٨٠١. وقام أينشتاين بحساب تنبئه غير عالم بما قام به زولدر من قبل، ومؤسساً ذلك على أن الضوء عبارة عن موجات (على الرغم من أنه هو نفسه كان حاسماً فى الانتصار لفكرة أن الضوء يتصرف أحياناً كجسيمات!) وقد جاءت النتائج شبه متطابقة، وأبسط طريقة لفهم الأساس الذى بنى عليه الحساب الأول أنه كان مبنياً على فكرة التواء الزمن نتيجة للجاذبية، وفى عام ١٩١١ كان أينشتاين يناضل فى فزع مع عدد من المعادلات المعقدة التى تربط الزمن الملتوى مع الفضاء المسطح، وكان حرفياً فى منتصف المسافة للوصول إلى القدر الصحيح من انحناء الضوء.

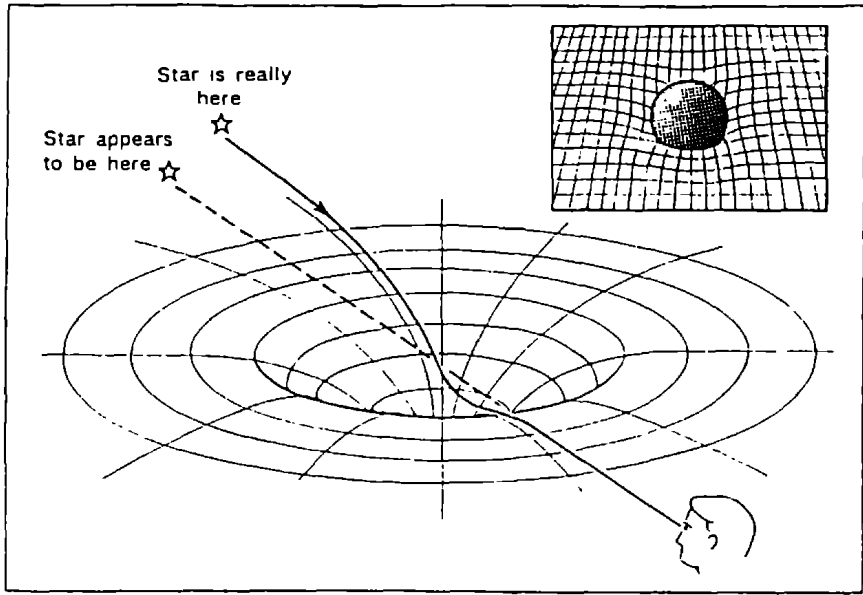
وبدأت الأمور تتحسن حين عاد أينشتاين إلى زيورخ، بعد أن ظل فى براغ قرابة العام، وكان ذلك بتخطيط من نفس الزميل الذى أعاره محاضراته منذ اثنى عشر عاماً، مارسيل جروسمان، كان قد وصل إلى منصب رئيس قسم الفيزياء والرياضيات فى معهد البوليتكنيك. لقد كانت مسيرة جروسمان، على عكس مسيرة أينشتاين، تقليدية، رغم وصوله للمنصب فى سن مبكرة للغاية. كان أسن من أينشتاين بعام واحد، وقد عمل بعد تخرجه مع أينشتاين عام ١٩٠٠ فى التدريس خلال تحضيره للدكتوراه، مع إصداره مؤلفين لتدريس الهندسة لطلبة المدارس العليا، ونشره بحثين عن الهندسة اللاإقليدية، ونتيجة لهذا النشاط عُيِّن أستاذاً متفرغاً فى البوليتكنيك عام ١٩٠٧، ثم عميداً فى ١٩١١ وهو فى الثالثة والثلاثين، وبدأ نشاطه فى المنصب بإغراء أينشتاين بالعودة إلى زيورخ، التى وصلها فى العاشر من أغسطس عام ١٩١٢. كان عالماً بأن بين يديه المادة الخام لنظرية متكاملة عن الجاذبية، ولكن ينقصه الأساس الرياضى الذى يمكنه من المتابعة، يتذكر أينشتاين بعد ذلك بكثير النداء الذى وجهه لصديقه آنذاك: "مارسيل، مد لى يد

العون وإلا فقدت عقلي". لقد أدرك أينشتاين أن الأسلوب المتري الذي وضعه جاوس (والذي أشرنا إليه آنفاً) في وصف الأسطح المنحنية قد يحل المشكلة، ولم يكن يعلم شيئاً عن هندسة ريمان، لكنه كان يعلم أن صديقه عبقري في نوع من الهندسة اللاإقليدية، وهو سبب لجوئه إليه. "لقد سألته إن كانت الهندسة الريمانية قادرة على حل مشكلتي"، وجاءت الإجابة ببساطة أن "نعم". ورغم أن الأمر تطلب بعض الوقت لترتيب التفاصيل، إلا أن الإجابة المباشرة فتحت باب الأمل أمام أينشتاين، لدرجة أن يكتب إلى صديقه في ١٦ أغسطس "إن الأمور تجري عظيمة بالنسبة للجاذبية، وإذا لم أكن مخدوعاً، فإنني على وشك التوصل لأكثر المعادلات عمومية".

وأخذ أينشتاين وجروسمان يدرسان مغزى الزمكان المنحني (التواء كل من الفضاء والزمن)، ونشرا ذلك في ورقة بحثية مشتركة عام ١٩١٣، وانتهى التعاون بين الطرفين بقبول أينشتاين منصب رئيس لمعهد القيصر فيلهلم في برلين عام ١٩١٤، وهو منصب من الصعب مقاومة إغرائه، يتضمن إعفاءه من مهمة التدريس والتفرغ الكامل لأبحاثه، وظل أينشتاين وجروسمان على عهدهما من الصداقة إلى وفاة جروسمان عام ١٩٣٦، وفي برلين أكمل أينشتاين مسيرة النسبية العامة بمفرده.

وقدّمت الصورة النهائية من النظرية في ثلاث جلسات في أكاديمية العلوم ببرلين في نوفمبر عام ١٩١٥، وطُبعت عام ١٩١٦. وللنظرية مضامين كثيرة، ما يهمنا فيها في موضوعنا هو كيفية استخدام أينشتاين الهندسة الريمانية لوصف الفضاء المنحني، إن جرماً جسيماً مثل الشمس يحدث ندبة في الفضاء كتلك التي تحدثها كرة ثقيلة في سطح مطاطي إذا وضعت فوقه، وأقصر مسافة بين نقطتين على هذا السطح لن يكون خطاً مستقيماً كما تعودنا تصوره، بل المنحني الذي أطلقنا عليه سابقاً الجيوديسي. نفس الشيء ينطبق على الفضاء ثلاثي الأبعاد، وسوف ينعكس ذلك على مسار شعاع الضوء في الفضاء (شكل ٢-٨). ولكننا قد رأينا أن أينشتاين قد اكتشف انحناء الضوء بالقرب من الأجرام الجسيمة بناءً على التواء الجزء الزمني من الزمكان أيضاً، وقد اتضح أن التواء الجزء الفضائي منه يعطي نفس التأثير، وتكون محصلة النظرية كاملة هي ضعف كلا التأثيرين كلاً على حدة^(١). . ولهذا السبب فإن قياس الانحناء عام ١٩١٩ توافق مع أينشتاين وليس نيوتن، الأمر الذي حدا بالصحف أن تعلن نهاية نظرية نيوتن للجاذبية، ولم تكن في ذلك على حق.

(١) الواقع أن الجزء الفضائي من الانحناء هو الذي يتفق مع نظرية نيوتن، والجزء الزمني هو إضافة النسبية.



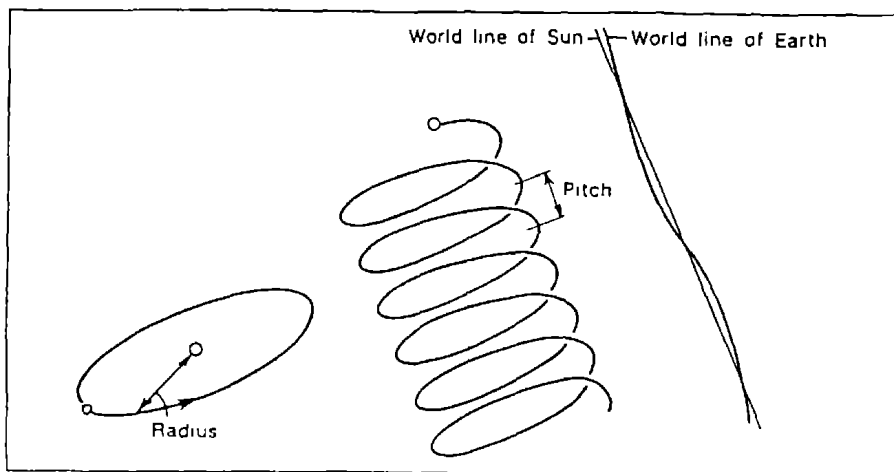
(شكل ٢-٨) يصنع الجسم الثقيل حين يوضع على سطح مطاطى إنحناء فيه ،
يمثل ذلك ما تفعله الأجرام الثقيلة فى الزمكان .

ما كان يفعله أينشتاين حقيقة هو شرح قانون نيوتن للجاذبية. إن هناك فروقا دقيقة بين نظرية نيوتن البسيطة ونسبية أينشتاين العامة، كانحناء الضوء بسبب الشمس ، ولكن الأمر الذى له اعتباره حقيقة هو أنه إذا كانت الجاذبية نتيجة لانحناء الزمكان رباعى الأبعاد، فإن صورتها الوحيدة هى قانون التربيع العكسى ، فهذا القانون يستنبط بصورة طبيعية للغاية من ذلك الانحناء وهكذا يكون أينشتاين ، على عكس نيوتن ، قد وضع بالفعل فرضاً يصور مضمون الجاذبية ، إن فرضه هو أن انحناء الزمكان هو ما يسبب الجاذبية، ونتيجة هذا الفرض أن الجاذبية تتبع قانون التربيع العكسى ، فالقول بأن أينشتاين قد هدم نظرية نيوتن عن الجاذبية هو قول أبعد ما يكون عن الحقيقة، والتي تبين أنه قد شرحها بما زادها رسوخاً .

وأفضل طريقة لعرض هذا الأمر هو تصور حوار يجرى بين المادة والزمكان ،
فلكون المادة موزعة بغير انتظام فى الكون، فإن الزمكان غير متساوٍ، مما ينتج عنه أن تكون طبيعة هندسته نسبية، فتكون طبيعة المترى (القياسى) - والتي تحدد عن طريق

مثلثات فيثاغورثية ضئيلة - مختلفة بحسب الموضع من الكون ، فتكدس المادة يشوه الزمكان ليس بتكوين تلال كما تصور كليفورد، بل بتكوين أودية تتحرك الأجسام فيها طبقا للجيويديسي، والتي يمكن أن ينظر إليها كخطوط أقل مقاومة ، ويمكنك قياس أطوال هذه المسارات عن طريق مثلثات فيثاغورثية غاية فى الضالة، تجمع بواسطة علم التفاضل الذى وضعه نيوتن. ولكن حجراً ساقطاً أو كوكباً فى مدار لا يحتاج لإجراء هذه الحسابات ، فهى تتبع الطريق الطبيعى لها . ومن وجهة نظر معينة، تخبر المادة الزمكان كيف ينحنى ، ويخبر الزمكان المادة كيف تسير .

على أن نقطة معينة تثير اللبس على الدوام، إننا لا نتحدث فقط عن انحناء الفضاء ، إن مسار الأرض حول الشمس مثلاً هو منحنى مغلق فى الفضاء، فلو أنك تصورت هذا المنحنى يمثل انحناء الفضاء نتيجة للجاذبية تكون قد وقعت فى خطأ تصور أن الفضاء مكور حول الشمس، فالضوء، بل والمركبات الفضائية مثل فوياجير، بإمكانها أن تنطلق بعيداً عن النظام الشمسي. إن ما عليك تذكره هو أن كلا من الأرض والشمس تتبع خطأ كونياً خاصاً بها. ولكون معامل سرعة الضوء يدخل فى الجزء الزمنى من مترى الزمكان كما وضعه منكوفسكى ، ويدخل هذا فى المترى المناظر للنظرية النسبية العامة، فإن الخط الكونى يكون ممطوطاً فى اتجاه الزمن بصورة شديدة، وعلى ذلك فإن الطريق الطبيعى للأرض حول الشمس ليس منحنى مغلقاً ، بل حلزوناً ممطوطاً بدرجة هائلة فى الفضاء. (راجع شكل ٢-٩ لسهولة تتبع الشرح) . إن الضوء يستغرق ثمانى دقائق وثلاث الدقيقة لكى يصل من الشمس للأرض، ولذا فإن كل دورة للأرض حول الشمس تمثل دائرة محيطها ٥٢ دقيقة ، تقطعها الأرض فى سنة كاملة، أى أنها تتحرك خلال الزمكان ما قيمته سنة ضوئية ، بمعنى آخر فإن الحلزون الذى ترسمه الأرض فى الزمكان له خطوة تعادل أكثر من ٦٣ ألف مرة قدر قطره .



(شكل ٢-٩) مسار الخط الكوني للأرض في الزمكان حين تدور حول الشمس .

لو كان الزمكان مستوياً لرسمت الأرض خطاً مستقيماً في المحور الزمني ، وعلى ذلك فإن تأثير الشمس هو انحناء طفيف لهذا الخط ، بحيث يرسم هذا الحلزون البالغ المط. أما لكي ينغلق الفضاء بدرجة أكثر، فإن الأمر يتطلب جرمًا أكثر كتلة ، أو أكثر كثافة، من الشمس .

بعد عدة أسابيع قليلة عاد أينشتاين إلى أكاديمية العلوم ليقدم تقريراً عن الحل الكامل لمعادلاته التي تصف مثل هذه الظواهر. كان هذا أول وصف رياضي كامل لظاهرة الثقوب السوداء، ولكنه لم يكن من وضع أينشتاين ، لقد كان يقرأ التقرير نيابة عن شخص أرسله له، كان قدره أن يواجه الاحتضار بعد ذلك بوقت قصير في مستشفى بمدينة بوتسدام .

حل شيفارتزشلد المتفرد :

لعلها مفاجأة للكثيرين أن أينشتاين لم يكن هو الذي قام بحل معادلاته الخاصة بالنسبية العامة ، ولكن المعادلات يجب أن توضع قبل أن تحل ، وعلى الرغم من

المجهود المضنى لوضع مجموعة من المعادلات المترابطة لتصف شيئاً غاية فى التعقيد كسلوك الزمكان الملتوى بسبب المادة التى يحتوئها ، فإن ذلك المجهود ليس ضمناً لقابلية المعادلات للحل. فما فعله آينشتاين أشبه بمن قام بوضع لغز للكلمات المتقاطعة ، وبعض الإشارات التى تؤدى لحله ، دون أن يعلم شخصياً الكلمات التى تتوافق معه ، ثم أتى شخص آخر ليتولى هذه المهمة .

كان هذا الشخص فلكياً من الطراز الأول، أسن من آينشتاين بست سنوات ، كان قد تجاوز الأربعين عند تفجر الحرب العالمية الأولى، على أن حماس كارل شفارتزشلد Karl Schwartzchild دفعه إلى ترك منصبه كمدير لمرصد بوتسدام ليتطوع فى الجيش (بالمناسبة) كان قد تولى إدارة مرصد جوتنجن، رابطة أخرى تربط بين المدينة والنسبية). خدم شفارتزشلد فى بلجيكا فى محطة للطقس، ثم فى فرنسا للقيام بحساب مسار المقذوفات بعيدة المدى ، ثم أرسل إلى الجبهة الروسية حيث أصيب بمرض عضال لقى فيه حتفه .

كان شفارتزشلد على اتصال دائم مع الحركة العلمية خلال نشاطه العسكري، وحين سمع عن معادلات آينشتاين فُتن بها ، ففى المقام الأول كان قد تولى منصباً تولاه جاوس من قبل، وكان هو نفسه، مثل كليفورد، ممن جادلوا ، قبل تخرج آينشتاين، فى أن تكون هندسة الفضاء غير إقليدية ، وكان قد أتم الأوراق التى قدمها آينشتاين بالنيابة عنه للأكاديمية العلمية قبل إصابته بذلك المرض بفترة وجيزة. ففى السادس عشر من يناير ١٩١٦ قرأ آينشتاين بحثاً أمام أعضاء الأكاديمية يتضمن الصيغة الرياضية المنضبطة التى تصف هندسة الزمكان حول نقطة ، ثم فى الرابع والعشرين من فبراير قرأ بحثاً ثانياً تضمن المعادلات التى تصف تلك الهندسة حول جسم مادى مركز ، وفى الحادى عشر من مايو فاضت روح شفارتزشلد ، قبيل عيد ميلاده الثالث والأربعين بأيام ، ومع تاريخه الفلكى كمدير لمرصدين من أكبر المراصد ، فإن التاريخ يذكره بهذين البحثين اللذين أتمهما فى الشهور الأخيرة من حياته .

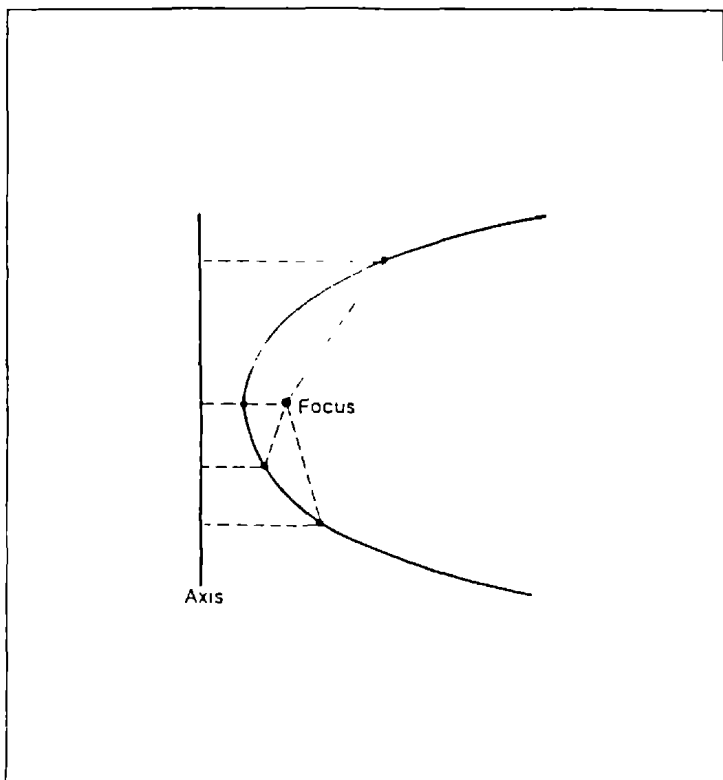
كان تناول شفارتزشلد المبدئى للموضوع على نفس أسلوب نيوتن فى تناوله لمسألة الجاذبية بين الشمس والأرض، أو بين الأرض والقمر، أو بينها وبين التفاحة، كما لو كانت الكتلة مركزة فى نقطة رياضية تقع عند المركز. هذا التصور ملائم تماماً لمراقب خارجى ، على أن حل شفارتزشلد قد بين أنه لا خارج بالنسبة لمثل هذه النقطة ، فإن

نقطة تتركز فيها المادة سوف تشوه الزمكان لدرجة طى الفضاء حولها بما يفصلها عن بقية الكون ، ويحدث هذا الانفصال على مسافة تعتمد على كمية المادة المركزة .

ليس هذا برأى واقعى بطبيعة الحال، فالكتل الحقيقية لا تتركز أبداً فى نقاط رياضية ، وعلى ذلك فقد تابع شفارتزشلد البحث وبيّن أنه فى حالة كتلة متكورة، يعتمد الأمر على نصف قطر التكور، وأن الانفصال يحدث عند نصف قطر يسمى الآن بـ "نصف قطر شفارتزشلد " Schwarzschild radius أو "نصف قطر الجاذبية - gravity radius" فلو تكور قدر مناسب من مادة بنصف قطر أقل مما حدده شفارتزشلد، حتى ولو لم تتركز فى نقطة رياضية، فإن الفضاء سوف يلتوى حولها لدرجة أن ينفصل عن بقية الكون ، لن يسمح هذا الانفصال بخروج أى شىء على الإطلاق، بما فى ذلك أشعة الضوء .

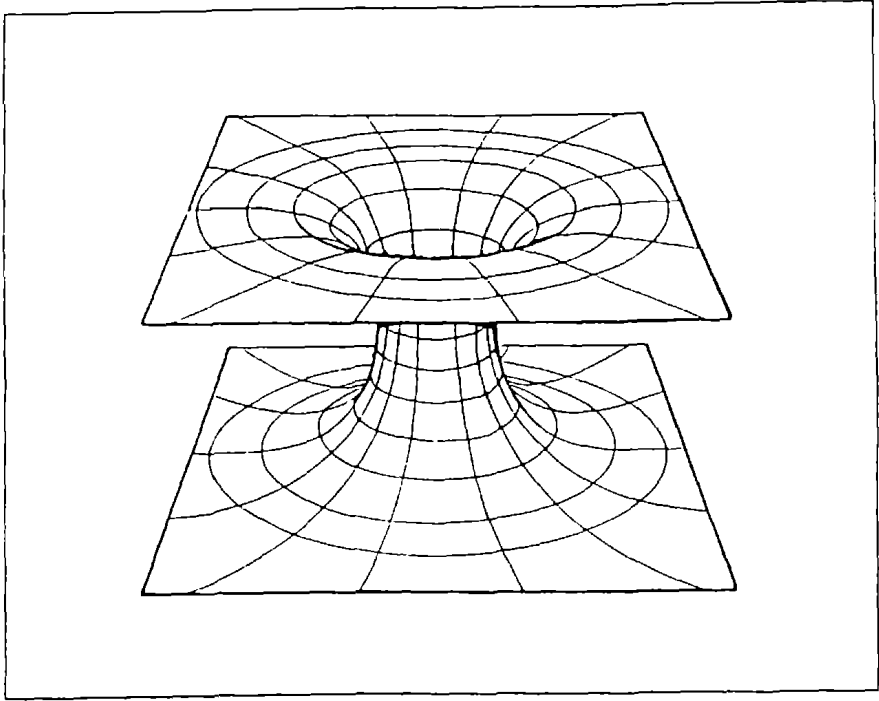
كلما كبرت المادة، زاد نصف قطر الجاذبية لها، فالشمس لكى تحدث انفصالاً فى الفضاء يجب أن تتركز فى كرة نصف قطرها ٢,٩ من الكيلومترات ، ولالأرض فى ٠,٨٨ من الكيلومترات ، ولجرة تقليدية عدة آلاف من الكيلومترات. والبروتون نفسه له نصف قطر جاذبية، حتى وإن لم يزد عن ١٠×٢,٤^{-٢٥} سم . فى كل هذه الأحوال، لو تمكنت من تكديس المادة فى كرة تقل عن نصف القطر المذكور ، سوف تخلق ما يسمى اليوم بالثقب الأسود، والذي تبلغ سرعة الهروب عند سطحه سرعة الضوء .

وأفضل طريقة لتصوير تشوه هندسة الزمكان التى تؤدى لهذه النتيجة هو تخيل مسطح منحنٍ ثنائى الأبعاد فى الأبعاد الثلاثة، فهندسة الزمكان التى وصفها شفارتزشلد هى التى تنتج من إدارة منحنٍ على شكل قطع مكافئ كالمبين فى (شكل ٢-١٠) فى الفضاء ، وفيها تقع كافة النقاط على أبعاد متساوية من نقطة تسمى البؤرة ، وخط مستقيم يسمى المحور .



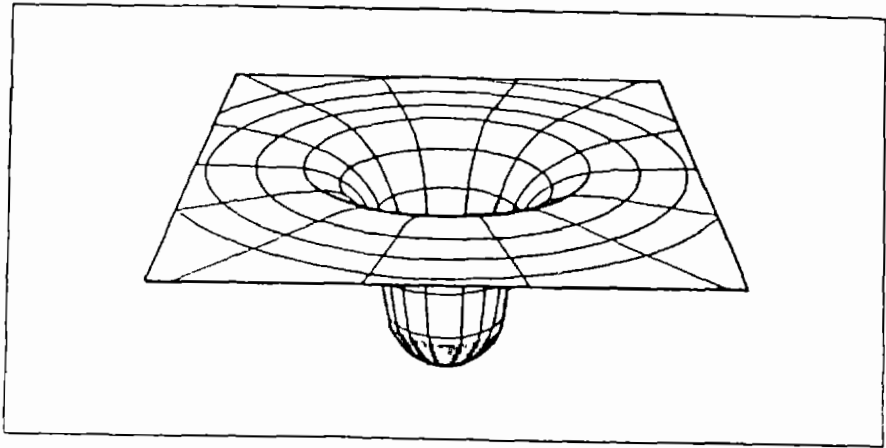
(شكل ٢-١٠) تقع كافة النقاط على منحنى القطع المكافئ على نفس المسافة من البؤرة ومن المحور.

ولو تصورت دوران منحن كهذا حول المحور لحصلت على مجسم أملس متماثل تماماً بالنسبة لمحوره (شكل ٢-١١). مثل هذا المجسم له خصر فى منتصفه، ثم يتفرطح تدريجياً إلى طرفيه حتى يستحيل، على بعد كبير من الخصر، إلى مسطح مستوٍ، يقابل كون الجاذبية قد أصبحت غاية فى الصغر، إذ كلما كان الانحناء أكبر، دل ذلك على قوة الجاذبية، أو بلغة نيوتن كانت سرعة الهروب أكبر. فلو تصورت نفسك منزلقاً من المسطح المستوى إلى منطقة الخصر، فستجد أن فرصتك فى النجاة بعيداً عن المنحدر تزداد صعوبة، وعند الوصول إلى منطقة معينة، يمكن تصورها ككرة ترسم عند عنق المجسم، يستحيل الفرار، فأى شيء يتجاوز سطح هذه الكرة يكتب عليه البقاء فى ذلك المجسم إلى الأبد .



(شكل ٢-١١) انحناء الفضاء حول ثقب أسود يماثل دوران قطع مكافئ حول محوره.

يعطى حل شفارتزشلد لمعادلات أينشتاين نفس ما توصل إليه نيوتن عن الجاذبية، قانون التربيع العكسي. وفي حالة كالشمس، حيث المادة ليست مركزة بالقدر الكافي لصنع ثقب أسود، فإنه بدلا من أن تصنع مجسماً ذا خصر، تصنع مجسماً أشبه بحفرة ذات قاع كروي (شكل ٢-١٢). لن يصل الانحدار إلى درجة عدم الفرار. ولكن، ما الذي يحدث عند مركز الثقب الأسود؟ يقول شفارتزشلد إن الانحناء سوف يصل إلى ما لا نهاية! يسمى هذا الوضع "مفردة"، أو نقطة تفرد singularity .



(شكل ٢-١٢) يصنع جرم كالشمس حفرة فى نسيج الزمكان، تشبه التى يصنعها الثقب الاسود ولكن مقفلة عند القاع بقاعدة كروية .

إن الحل الذى يحتوى على نقاط تفرد، أو لانهايات، يعتبر لدى أغلب الفيزيائيين حلاً معيياً ، حيث يخالف الطبيعة التى تأبى وجود لانهايات ، لهذا السبب لم يؤخذ حل شفارتزشلد بمعناه المباشر لدى علماء ذلك العصر ، فرغم أن العديد من العلماء قد قدحوا الذهن حول الموضوع، وأن النسبية العامة قد اجتازت كافة الاختبارات بكل جدارة، إلا أن حل شفارتزشلد كان يعتبر بلا قيمة عملية بالنسبة للكون الواقعى .

ولكن على أى حال كان هذا هو الحل الصحيح لمعادلات آينشتاين، يصف الزمكان طبقاً للنظرية النسبية العامة، كتب قبل أن يجف مداد كتابتها، وقبل ثلاث سنوات من الاختبار ذائع الصيت لها ، كان مقدراً أن يمر نصف قرن بالتمام والكمال على وفاة شفارتزشلد قبل أن يظن العالم إلى مغزى الحل التفردى الذى توصل إليه .

الفصل الثالث

النجوم المكتنزة

أقزام تنحل إلى أن تحترق بلهب أبيض ، بصيرة هندی فی
المصير النهائي للمادة ، فيما وراء حدود الكم ، فناء النجوم ، الثقوب
السوداء يعاد اكتشافها - ثم تنسى لخمسة وعشرين عاما !
النافضات الغريبة ، رجال خضر صفار ، وتأكيد من سديم السرطان .

إن حساب البعد بين الأرض والشمس وكواكب المجموعة الشمسية يتم بتطبيق مباشر لقواعد حساب المثلاث المستخدم في الحسابات الأرضية ، يعنى ذلك أن الحسابات في حد ذاتها بسيطة ، شريطة أن يبذل الجهد المضى لعمل القياسات المطلوبة لإجرائها ، تشمل هذه الإجراءات مثلا مراقبة المريخ من موقعين على جانبي المحيط الأطلنطي ، واستخدام هذا القياس في رسم مثلث غاية في النحافة قاعدته عرض المحيط ورأسه عند المريخ . وبمعرفة مسافة الشمس يمكن حساب حجمها الحقيقي من الحجم الظاهري لها في السماء ، والتي تبلغ ١٠٩ مرة قدر قطر الأرض ^(١) ، أى تسمح بتكدس أكثر من مليون من الكرات الأرضية بجوفها ، وبمعرفة بُعد الشمس وزمن الدوران حولها يمكننا أن نحسب قوة التجاذب فيما بين الأرض والشمس ، ومن ذلك كتلة الشمس .

وتبلغ كتلة الشمس ثلث مليون مرة قدر كتلة الأرض ، وحيث إن حجم الشمس عدة ملايين قدر حجم الأرض ، فإن ذلك يعنى أن الكثافة المتوسطة للمادة بها تبلغ ثلث قيمتها في الأرض ، ولما كانت كثافة الأرض المتوسطة هي ٤,٥ مرة قدر الماء ، فإن كثافة الشمس المتوسطة تكون فقط ١,٥ مرة قدر الماء .

(١) يتناسب الحجم مع مكعب نصف القطر ، ومكعب العدد ١٠٠ هو مليون .

ولعله أمر يدعو للاستغراب أن تكون كثافة النجوم منخفضة عن كثافة الكواكب ، ولكن تذكر أنها كثافة متوسطة ، تخفى الاختلاف الشديد بين كثافة المناطق المختلفة ، من جو خفيف للغاية إلى قلب تبلغ الكثافة فيه أضعاف كثافة الرصاص (ومع ذلك فإنه من العجب أنه مع ما للقلب من حرارة وضغط شديدين تظل المادة فيه تتصرف كما لو كانت من الغازات) ، إن تغير الكثافة ، والمتوسط الكلي ، يتفقان تماماً مع التركيب الذى يستنبط من حسابات فيزيائية لشرط بقاء النجوم على ما هى عليه من حرارة .

وتتناسب درجة حرارة السطح تناسباً مباشراً مع لونه ، فالنجم ذو السطح الأبيض الضارب للزرقة أشد حرارة من السطح الأصفر ، وهذا الأخير أشد حرارة من الأحمر ، وفيما بين هذه الحدود العديد من درجات الاختلاف (تبلغ حرارة سطح شمسنا الضارب بين الأصفر والأحمر ستة آلاف درجة مئوية ، وهى تقع فى موقع متوسط بدرجة كبيرة بين ألوان النجوم) ، وقد تتوقع أنه على وجه العموم تكون النجوم الأكثر حرارة هى الأكثر ضياءً ، وأنت فى ذلك على وجه العموم محق ، على أن الأمر لا يخلو من استثناءات . إن هذه القاعدة لا تنطبق إلا بالنسبة للنجوم التى هى فى حجم متقارب فيما بينها ، فمن أبسط خصائص النجوم أن شدة إضاءتها تعتمد على حرارة سطحها ، وأيضاً على حجمها ، فالنجم الذى له مساحة سطح كبيرة ، حين يتوزع إشعاعه على سطحه ، يعتبر من النجوم الباردة ، ولكنه قد يظل عالى الإضاءة ببساطة لأن عدد الأمتار المربعة التى تشع كبير ، فلكى يشع نجم أصغر حجماً بنفس الدرجة يجب أن تكون درجة حرارته أكبر .

فى نفس الوقت الذى كان فيه آينشتاين غارقاً فى التفكير فى نسبتيته ، وشفارتزشلد يكدح الذهن لحل معادلاتها ، كان الفلكيون يتعجبون لوجود نجوم حارة ومعتمدة فى نفس الوقت ذات حجم يقترب من حجم الأرض ، ولكنها من حيث الكتلة تقترب من الشمس ، والإيحاء المباشر لذلك أن كثافتها تبلغ آلاف المرات قدر كثافة الماء .

الرفاق الأقزام :

فى الواقع ترجع أول إشارة لاحتمال وجود مثل هذه النجوم المكتنزة (صغيرة الحجم كبيرة الكتلة) لعام ١٨٤٠ ، نتيجة لأرصاء فلكى ألمانى هو فردريك بسل Friedrich Bessel . ولد بسل عام ١٧٨٤ وتوفى عام ١٨٤٦ ، بعد سنوات قلائل من اكتشافه أول دليل على وجود ذلك النجم المكتنز المعتم ، على أن هذا الاكتشاف ليس

سبب شهرته ، بل إنجازه العظيم فى قياس البعد عن نجم آخر ، لقد استخدم نفس أسلوب حساب المثلاث إلى أقصى مداه ، مطبقاً الفكرة على نجم يسمى دجاجة ٦١ Cygni 61 ، راصداً إياه والأرض على جانبيين متقابلين من الشمس ، أى على مدار فترة ستة أشهر ، وقد أعطاه ذلك قاعدة مثلت تبلغ ٣٠٠ مليون كيلومتر ، ثم استخدم الحركة الظاهرية للنجم فى تلك الفترة (وهى فى الواقع نتيجة دوران الأرض حول الشمس) ، وقدر من ذلك أن ضوء ذلك النجم يقطع عدة سنوات للوصول إلى الأرض ، بسرعة الضوء التى تبلغ ثلاثمائة ألف كيلومتر فى الثانية الواحدة ، وقد كان هذا أول إشارة إلى الحجم الحقيقى للكون .

وعلى هذا الأساس رصد بسل وسجل البعد الدقيق لخمسمائة ألف نجم ، وتفيد حركة النجوم الظاهرية فى قياس أقرب النجوم للأرض فقط ، فبالنسبة للأبعد منها لا تكفى حتى مسافة ٣٠٠ مليون كيلومتر لإعطاء حركة ظاهرية تصلح لإجراء حساب دقيق .

وكان اكتشاف نجوم مكتنزة نتيجة لعمليات الرصد التى قام بها ، إذ لاحظ أن بعض النجوم تتغير مواضعها فى السماء بصورة رتيبة ، ليس بسبب حركتها الظاهرية ، بل بسبب أن قوة هائلة تشدها . فقد وجد أن نجمين لامعين ، هما الشعرى اليمانية Sirius (ألمع نجوم السماء فى الواقع ، من جهة بسبب شدة لمعانها حقيقة ، ومن جهة أخرى بسبب قربها من الأرض) والثانى هو الشعرى الشامية Procyon ، كلاهما يتأرجح ذات اليمين وذات اليسار بصورة منتظمة ، فى حركة ليست معللة بدوران الأرض حول الشمس ، كان الرأى المنطقى أن كلاهما له قرين غير منظور ، يتبادل معه التجاذب .

وقد دلت الأرصاد الدقيقة لطريقة حركة الشعرى اليمانية على طبيعة مسار القرين غير المنظور ، فلمعان الشعرى ضعف لمعان أى نجم آخر ، ويُرَى واضحاً بالقرب من كوكبة الجبار Orion ، وبسبب قرب النسبى لنا (فقط ٨,٧ سنة ضوئية) فإنه يتحرك أمام خلفية نجوم السماء ، وجميع النجوم تتحرك بنفس الصورة ، ولكن بسبب بعدها السحيق تبدو ثابتة من عام لآخر . وحتى هذا النجم يبدو تأرجحه مجرد ١,٣ ثانية كل عام (١) ، ويدلنا هذا التأرجح على أن دورة النجم الغامض حول الشعرى هى ٤٩ عاماً ، ومن

(١) الثانية فى قياس المواضع ليست ثانية زمنية ، بل جزءا من ستين جزءا من الزاوية - المترجم .

ذلك حسب الفلكيون ، متسلحين بقوانين كبلر حول حركة النجوم ونيوتن عن الجاذبية ، كتلة كل من الشعري اليمانية وقرينها ؛ تبلغ الشعري أقل قليلا من مرتين ونصف قدر كتلة الشمس ، أما قرينها ، والذي سمي الشعري ب ، فيبلغ تقريبا ٨٠٪ من كتلة الشمس ، والشعري نجم حار لامع فى السماء ، أما قرينه المعتم فيجب أن يكون نجماً بارداً .

وكان أول من رأى قرين الشعري اليمانية هو ألفن كلارك Alven Clark ، صانع تلسكوبات أمريكي ، كان ذلك عام ١٨٦٢ أثناء تجربته تلسكوبا قطر عدسته ١٨ بوصة، وقد بلبلت عتمة قرين الشعري اليمانية وقرين الشعري الشامية الفلكيين لخمسین سنة تالية ، زادت باكتشاف جرمين سماويين آخرين على نفس الشاكلة . كان الانطباع الأولي للفلكيين عن هذه الظاهرة هي ما لخصه سيمون نيوكومب Simon Newcomb فى كتابه الذى نشر عام ١٩٠٨ ؛ فقد قال مشيرا إلى قريني الشعري اليمانية والشامية : "إما أن إضاعتهما أقل كثيرا من الشمس أو أن كثافتهما أكبر بكثير ، وليس من شك فى أن البديل الأول هو الصحيح" ^(١) ، إن البديلين المذكورين هما فى الواقع كل البدائل المتاحة ، ولكن استنتاجه كان خاطئا .

حتى نيوكومب كان يجب أن يكون متشككا فى رأيه ، فرغم عدم رؤية قرين الشعري بوضوح نتيجة شدة لمعانها ، فإنه من المؤكد أن له نفس لونها الأبيض ، مما يدل على أنه نجم حار ، وقد تأكد هذا بعد وفاة نيوكومب بست سنوات . ففي عام ١٩١٥ حيث كان قرين الشعري اليمانية فى أبعد مسافة عنها ، تمكن الفلكي الأمريكي والتر آدمز من التقاط صورة واضحة نسبيا له ، وكان المثير فى تحليل طيف إشعاعه مدى ما لديه من طاقة تشع على كثير من الترددات ، مما يعطى فكرة واضحة عن درجة حرارته ولونه ؛ لقد بدا الطيف مشابها لطيف الشعري المقترنة به ، مما يدل على أنه فى نفس درجة حرارتها ، وأنه أصغر منها بكثير ، أكبر قليلا من حجم الأرض .

كان البديل الثانى أن النجم لا يشع إطلاقا ، وأنه يعكس فقط ضوء الشعري كما يعكس القمر ضوء الشمس ، ولكن آدمز كان لديه الإجابة عن ذلك ، لقد بين أن نجما آخر ، هو النهر ب Eridani B له نفس ظروف قرين الشعري من حيث الطيف واللمعان ،

(١) كتاب The Stars, Publisher John Morray, London ولد نيوكومب فى كندا وعاش بين ١٨٣٥ و ١٩٠٩ ، وكان مساره العلمى رائعا ، حيث عمل فى المرصد البحرى بواشنطن وفى جامعة جونز هوبكنز ، كما أسس جمعية الفلكيين الأمريكيين وكان أول رئيس لها ، يمثل تعليقه الرأى الذى كان سائدا آنذاك .

وليس له قرين . إن كلا من الشعري ب والنهر ب يجب أن يكونا أقزاماً بيضاء ، لهما كثافة تبلغ عشر آلاف كثافة الرصاص .

والغريب أن النجم النهر ب قد شوهد قبل ذلك بخمس سنوات ، ولكن ملاحظيه لم يعطوه العناية الكافية ، ومن قام بذلك هو الفلكي ذائع الصيت هنرى نوريس رسل Henery Norris Russel الذى اشترك فى وضع ما يسمى «مخطط رسل» هرتزشبرونغ Hertzsprung-Russel diagram الذى ربط بين لمعان النجوم ودرجة حرارتها .

وتصنف النجوم بحسب ألوانها طبقاً لنظام وضعه مرصد جامعة هارفارد فى بداية القرن العشرين ، وتعرف الفئات بأحرف هجائية ؛ O, B, A, F, G, K, M ، وتقع النجوم O, B ضمن البيضاء الحارة ، والنجوم K, M ضمن الحمراء الباردة ، أما شمسنا فتصنف من الفئة G ^(١) ، وقد احتاج رسل إلى أطيف أكبر عدداً من النجوم كي يخرج بقاعدة تربط بين اللمعان ودرجة الحرارة ، وقد وافق مدير مرصد هارفارد؛ إدوارد بكنج Edward Pickering على إمداده بذلك ، وقد أدى ذلك إلى أن يكتشف رسل أن كل النجوم الخافتة جدا تقع فى الفئة M .

تردّي النجوم :

إن طبيعة الأقزام البيضاء قد فُهمت فى العشرينات بعد التطور الذى حدث فى دراسة التركيب الداخلى للنجوم عامة ، وينسب فضل الريادة فى هذه الدراسة للسير آرثر إدنجتون Arther Edington ، نفس الشخص الذى قاد فريق تجربة إثبات انحناء الضوء عام ١٩١٩ ، والذى أضحى عملاقاً بين زملائه من علماء الفلك ، وقد جمع بين دراسة الفلك والنظرية الكمية .

وقد كان التقدم فى هذه الدراسة بطيئاً بسبب بطء الدراسة التى تقوم عليها ، ألا وهى دراسة التكوين الذرى للمواد ، والتى كانت نفسها تسير معها جنباً إلى جنب . ومن أهم الأسس التى تقوم عليها دراسة التركيب النجمى الداخلى هو فهم كيف يكون قلب نجم كالشمس على هذه الدرجة من الضغط الهائل والحرارة الشديدة ، وتظل تتصرف كما لو كان قلبها من غاز صرف ، ويكمن السر فى طبيعة تكوين الذرة ذاتها ، فهى كما نعلم تتكون من نواة تضم نوعين من الجسيمات الثقيلة نسبياً؛ النيوترونات

(١) يمكن تذكر هذه الحروف بترتيبها من العبارة : Oh, Be A Fine Girl, Kiss Me

والبروتونات ، تحيط بها سحابة من جسيمات أخف بمراحل؛ ألا وهى الإلكترونات ، ويشبه حجم النواة بالنسبة إلى حجم الذرة حجم ذرة رمل وسط ملعب كرة قدم .

وفى حالة الغازات ، كالهواء الذى تتنفسه ، تتصادم الذرات فيما بينها تصادمًا سريعاً مستمراً ، أما فى حالة الأجسام الصلبة فكل ذرة تتأرجح فى موضعها ، لا تتماس فيما بينها إلا بالكاد ، وفى الحالة السائلة تمر الذرات محتكة ببعضها البعض ، فى كل هذه الحالات تظل النواة فى عمق الذرة بمنأى عن التصادم أو التماس أو الاحتكاك ، فلا يعانى من ذلك إلا الإلكترونات .

أما فى ظروف قلب النجوم من حرارة وضغط هائلين ، فإن التصادم الذرى يكون هائلا ، لدرجة أن الإلكترونات تطرد لتعزى النوىات الذرية ، مكونة سائلا يعرف بالبلازما plasma ، فحين تعزى كافة الذرات فى مادة من إلكتروناتها ، يمكن للبلازما المتخلقة عنها أن تُضغَط إلى جزء من ألف مليون مرة من حجم المادة الأصلي ، وتظل مع ذلك تتصرف كما لو كانت غازا ، إذ تتصادم النويات بعنف كما تتصادم الذرات فى الحالة الغازية سواء بسواء ، هذا ما يحدث فى قلب الشمس والكثير من النجوم الأخرى . وفى معمعة التصادمات العنيفة ، يمكن لبعض النوىات أن تلتحم ببعضها البعض ، لتتحول من عنصر إلى آخر ، يعرف هذا الطبخ النووى باسم الاندماج النووى nuclear fusion ، والذى ينتج عنه طاقة هائلة نعرفها فى القنبلة الهيدروجينية ، ويبدأ الاندماج النووى فى قلب النجوم بتحول الهيدروجين إلى هيليوم ، وتطرد الطاقة المتولدة عنه كإشعاع نجمي ، وهو الذى يعطى النجوم حرارتها .

ولكن ما الذى يحدث حين تستنفد طاقة الاندماج النووى داخل النجوم ، فيبدأ النجم فى البرودة؟ قد تتوقع أن تبدأ النويات فى استرداد الإلكترونات فتتحول إلى ذرات عادية ، مما يترتب عليه انتفاخ قلب النجم مرة أخرى إلى غازات كالتى نعرفها ، ولكن للأسف على النجم ليفعل ذلك أن يبحث له عن مصدر خارجى للطاقة ، وكما عبر عنه إيدنجتون ، يحتاج النجم لطاقة لكى يبرد! وحيث لا يوجد مثل ذلك المصدر الخارجى ، فإن هذه العملية لن تتم ، ويجد النجم نفسه ، على حد تعبير إيدنجتون ، فى حالة لا يحسد عليها ، واقعاً تحت ضغط جاذبيته الشخصية التى تعمل على تحطيمه .

وقد بين رالف فاوُلر Ralph Fowler من جامعة كمبردج عام ١٩٢٦ كيف يتصرف النجم المحتضر خلال هذا المأزق ، لقد حسب أنه طبقا للنظرية الكمية سوف يظل قلب

النجم فى حالته العالية من الكثافة ، غائصة نوياته فى بحر من الإلكترونات ، وأن التصادم بين الإلكترونات والنويات ، والنويات بعضها البعض ، ينتج ضغطاً كافياً - عندما ينكمش النجم إلى حجم معين ، لمقاومة الجاذبية الساحقة له ، ويعتمد الحجم الذى يتوازن عنده النجم على كتلة مادته ، وقد حسب فاوولر هذا الحجم فوجده قريباً بالفعل من حجم الأقزام البيضاء مثل قرين الشعري . وقد وصفت نظرية الكم حالة هذه النجوم وصفاً طيباً: فبلغة الفيزياء الحديثة ، يطلق على المادة تحت هذه الظروف المتطرفة "مادة متردية degenerate matter وتكون متماسكة بفعل "ضغط التردى de-generate pressure ، أو الإلكترونات فى أدنى مستويات طاقتها ، على صورة "غاز إلكترونى منحل" ، على أنه قبل أن ينقضى العقد من الزمان ، أدرك قليل من علماء الفيزياء الفلكية أنه حين تؤخذ تأثيرات النظرية النسبية الخاصة فى الاعتبار ، بالإضافة إلى تأثيرات ميكانيكا الكم ، فإنه حتى الغاز الإلكتروني المنحل لن يكون قادراً بصفة مطلقة على دعم النجوم المكتنزة أمام ضغط الجاذبية الساحق للنجم .

حدود الأقزام البيضاء :

يطلق الفيزيائيون على مجموعة القواعد التى تصف خواص شيء كالغاز أو البلازما "معادلة الحالة equation of state ، هذه المعادلة تمكنا من حساب ما يجرى على الغاز من تغير إزاء تغير الظروف المحيطة به ، كنقص حجمه مع زيادة الضغط أو نقص درجة الحرارة ، وتعتمد كثافة المادة فى قلب النجم على كمية المادة التى يحتوئها ، وكلما زادت هذه الكمية تزداد قوة التجاذب فيما بينها ، فتزداد الجاذبية الداخلية التى تعمل على سحقه ، وتعطيك معادلة الحالة مقدار الكثافة عند كمية معينة من المادة ، تحت الظروف التى يكون فيها قلب النجم ، وفى ١٩٢٩ استنبط إدmond ستونر Edmond Stoner من جامعة ليدز معادلة للحالة تبين أن الكثافة القصوى التى يمكن للقرم الأبيض أن يتحملها هى عشرة أضعاف ما هو معروف له بالفعل ، ومن ثم لم يكن هناك تفكير فى مصير مثل هذا النجم . ولكن فلهلم أندرسون Wilhelm Anderson من جامعة تارتو Tartu باستونيا بين أن الإلكترونات المتصادمة تحت هذه الظروف تقترب سرعتها من سرعة الضوء ، فتزداد كتلتها طبقاً للنظرية النسبية بقدر كبير ، وبأخذ هذا التأثير فى الحسبان فإن الكثافة القصوى التى يتحملها النجم أقل مما قاله ستونر بكثير . حفز هذا الرأى ستونر على الانكباب على بحث الموضوع حتى خرج

بمعادلة ستونر-أندرسون التى بينت أن الكتلة الحرجة تبلغ مرة ونصف فقط كتلة الشمس ، ولكن ستونر اكتفى بالتعليق بالقول بأن كتلة قرين الشعري أقل من ذلك ، فلا خطر عليه من الانسحاق ، دون أن يبحث احتمال ما يحدث للنجوم إذا زادت كتلتها عن القيمة القصوى التى بينتها معادلتها .

والواقع أن الكتلة التى انتهى إليها ستونر تقريبية ، فهو لم يضمنها كافة التأثيرات الفيزيوقلمكية ، فهو مثلاً قد عامل النجم كما لو كانت كثافته ثابتة فى كل أجزائه ، دون الأخذ فى الاعتبار زيادة الكثافة فى قلبه ، وكان الذى أخذ هذا التفصيل فى الاعتبار ، وخرج بحد تماسك القزم الأبيض عند ١,٤ من كتلة الشمس ، هو شاب هندى شهير ، وقد قام ببحثه غير عالم بالمرءة عن أعمال ستونر أو أندرسون ، ليقطع الوقت خلال رحلته بالباخرة من الهند إلى لندن ليعمل كباحث فى كمبردج ، وقد كان فى التاسعة عشرة من العمر وقتها .

ولد سبرامانيان تشاندراسيخار Subrahmanyam Chandrasekhar فى التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٠ ، وهو يعد ثانى اثنين كأعظم علماء الفلك فى القرن العشرين ، أما الآخر فهو سير إندجتون العظيم . وقد حاز على جائزة نوبل عام ١٩٨٤ ، وورد فى تقرير الجائزة- بالإضافة إلى إنجازات أخرى بطبيعة الحال - إشارة لعمله على تلك الباخرة فى ذلك اليوم من يوليو عام ١٩٣٠ ، منذ أكثر من نصف قرن مضى ، ومن سخرية القدر أن بحثه هذا تسبب فى خلاف بينه وبين سير إندجتون ، الذى رفض الاقتناع به ، مما تسبب فى دخول البحث طى النسيان لعشرة أعوام تقريباً ، ويبدو ذلك غاية فى الغرابة ، حيث كان سير إندجتون هو المرشح الوحيد لفهم هذا البحث ، بما له من تمكن فى الفلك والنظرية النسبية معاً ، ولكن عند استدعاء الماضى نرى أن تشاندراسيخار قد وصل إلى لندن وقد تجاوز إندجتون عامه السابع والأربعين ، فأضحى ضحية التمسك بالتقاليد أكثر منه عالماً متفتح الذهن يقبل أفكاراً جديدة (١) .

ويتضح من مقابلة مع تشاندراسيخار عام ١٩٧٧ أنه انكب على دراسة النظرية الكمية من مصادر خارجية عما كان متاحاً فى كليته بالهند ، حتى غدا أكثر من

(١) تجدر الإشارة إلى أن هذه الواقعة لم تترك حزازة فى نفس تشاندراسيخار على الإطلاق ، والذى كان إندجتون بالنسبة له وهو فى تلك الفترة المبكرة من عمره ، بطلاً مثالياً ، وقد أشاد بذكراه فيما بعد بكلمات تفيض بالركة .

أساتذتها علماً بها عند تخرجه عام ١٩٣٠ . بل قد كتب بحثين وهو لما يتخرج بعد ، كسب بهما منحة الدراسية .

وفى كمبردج كان تشاندراسيخار يعمل بصفة رسمية تحت إشراف فاوولر لنيل رسالة الدكتوراه ، ولم يحظ بحثه عن حد الأقزام البيضاء لدى فاوولر بأحسن مما حظى به لدى إدنجتون ، على أن البحث نشر على أية حال عام ١٩٣١ فى مجلة العلوم الفيزيوقلمكية التى رأس تحريرها فيما بعد .

ولك أن تلمس أهمية موضوع وجود حد أقصى لكتلة القزم الأبيض من كون العالم السوفيتى ليف لنداو Lev Landau قد قام ببحث مماثل عام ١٩٣٢ ، ووصل لنفس نتيجة تشاندراسيخار ، على أنه ، لكونه غير متخصص فى الفيزياء الفلمكية ، قد ارتكب غلطة مضحكة ، حين اعتبر أنه إذا كانت النظرية الكمية لا تسمح باستقرار النجوم التى تزيد عن ذلك ، فإن هذا يعنى أن تلك النجوم فيها ما يجعلها لا تخضع لتلك النظرية! لقد كانت النظرية الكمية فى مطلع حياتها ، وبالتالى لم يقدرها لنداو حق قدرها .

ولكن تشاندراسيخار كان منكباً على ملء الفجوات فى حساباته ، وأتم رسالة الدكتوراه فى ١٩٣٣ ، بالكاد وقد تخطى الثالثة والعشرين ، وانتخب فى العام التالى زميلاً فى كلية ترنتي ، وبما حصله من ثقة فى النفس أتم نظريته عن الأقزام البيضاء فى نفس العام ، وقدمها للجمعية الملكية الفلمكية عام ١٩٣٥ ، وبعد إلقاء بحثه مباشرة نهض إدنجتون ليعلن بأن نظرية تشاندراسيخار محض هراء ، ولكن لم يؤسس رأيه على أى سند علمي ، بل على مجرد الإحساس الشخصى بالمواضع التى يمكن فيها تطبيق قوانين الفيزياء والتى لا تطبق فيها . على أن كلمته للجمعية ألححت من بعيد إلى إمكانية تكون الثقوب السوداء ، ولو انتهى عند هذا الحد لنسب إليه فضل السبق فى القول بها ، إنه فى الواقع لم يشر إليها إلا تعريضاً بنظرية تشاندراسيخار ، ولذا فقد مضى يحاول نقضها ، بافتراض أن النجم الذى يزيد عن ذلك سوف يجد طريقة ما لبيث الكتلة الزائدة فى الفضاء ، بل إن تشاندراسيخار نفسه لم يهمل هذا الاحتمال ، وظل يتردد فى ثنايا العلم إلى الستينات (خلال مرحلة دراستى الجامعية) ، ولكنه لم يكن أبداً بالاحتمال المقنع .

وتطلّبت نظرية تشاندراسيخار مزيداً من الوقت لتلقى القبول العام ، وإن كان الحد الذي قال به وجد طريقه فى المراجع بدءاً من ١٩٣٦ ، ويرجع تشاندراسيخار فى عام ١٩٧٧ بالذاكرة ، قائلاً إنه من العجب أن ظل متماسكاً خلال هذه الفترة التى كان فيها فى العشرينات من عمره ، يواجه عملاقاً من أساطين العلم آنذاك . ولكنه بالفعل قد انهار جزئياً ، فترك ترنتى إلى جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة ، ويقول عن ذلك: "لقد بلغ بى الملل أقصاه لطول الجدل حول القضية ، وإصرارى على رأى يقول الجميع بخطئه ، وأخيراً ، فى عام ١٩٣٨ ، قررت طرح الأمر فى كتاب ثم نسيانه ."

وكان الكتاب "مقدمة فى دراسة التركيب النجمى Introduction to the Study of Stellar Construction ، ونشر عام ١٩٣٩ ، وهو لا يزال مرجعاً دراسياً إلى يومنا هذا . وظل هذا منهجه طوال حياته العلمية ، ينكب على موضوع ما لعدة سنوات ، حتى إذا قضى منه وطره طرحه فى كتاب جامع ، ثم التفت إلى غيره . وعلى هذا الأساس تنتقل من دراسة ديناميكية التركيب النجمى إلى الأجواء النجمية إلى تطبيق النسبية العامة على الفيزياء الفلكية فى الستينات ثم رياضيات الثقوب السوداء فى السبعينات والثمانينات .

وهكذا تُركت قصة الأقزام البيضاء لأيدى غيره منذ منتصف الثلاثينات ، فقد اتضح أن حد الأقزام البيضاء ليس نهاية قصة النجوم المتردية ، فهناك فى الواقع محطة أخرى فى طريق احتضار النجوم ، يمكن لنجم أن يستقر عندها دون خشية فناء كامل ، عبر عنها إدنجتون بقوله ، ولكن متهمكماً: "يظل النجم يشع ويشع ، وينكمش وينكمش ، حتى تقبض الجاذبية على كل الإشعاع" .

المصير النهائى للمادة :

لم يكن أحد يعلم حين قام تشاندراسيخار بحساباته فى مطلع الثلاثينيات بوجود جسيم دون ذرى يسمى النيوترون . لم يكن معروفاً من بنية الذرة سوى الإلكترون ، والذى يحمل الشحنة السالبة ، والبروتون الذى يحمل شحنة موجبة بنفس القيمة ، وإن كان أثقل من الإلكترون بقدر كبير ، كانت الإشارة وقتها إلى الإلكترونات والنواة ، لأنه ما من أحد كان يعلم التكوين الداخلى للنواة ، وتغير الموقف فى عام ١٩٣٢ ، حين اكتشف جيمس شادويك James Chadwick ، من معمل كافنديش ، وجود النيوترون ، جسيم له نفس كتلة البروتون ، ولكنه لا يحمل أية شحنة ، وبذا فهو أول ما اكتشف من

الجسيمات المتعادلة ، وحمّس هذا الكشف شهية البحث لدى الفيزيائيين الفلكيين عن بحث حد لاستقرار نجم مكون كلية من النيوترونات ، على غرار ما فعل تشاندراسيخار بالنسبة للأقزام البيضاء .

لعل أول من تنبأ بذلك هو ليف لنداو ، ففي بحثه السابق الإشارة إليه وضع احتمال استقرار نجم عند حد أعلى من الحد الذي وصل إليه "بطريقة ما ، على الرغم من النظرية الكمية" على حد قوله . كان لنداو في زيارة لنيلز بور Niels Bohr في كوبنهاجن حين وصلت أنباء اكتشاف النيوترون ، وتساءل وقتها عن احتمال وجود نجم مكون من نيوترونات خالصة ، ولكنه حين عاد للاتحاد السوفيتي لم ينشر شيئاً عن الموضوع حتى ١٩٣٨ ، في خلال هذه الفترة وصلت أنباء افتراضه إلى الكثيرين ، منهم جورج جاموف ، العالم الأكراني الذي فر من نظام ستالين إلى الولايات المتحدة .

وكان افتراض أن توجد نجوم قلبها من النيوترونات الخالصة جذاباً لعلماء الفيزياء الفلكية آنذاك ، حيث لم يكن أحد وقتها يعلم كيف تحتفظ النجوم بحرارتها في داخلها ، وكانت الفكرة المحببة هي تعليل ذلك بالاندماج النووي على غرار ذلك الذي حافظ على الشمس مشعة لبلايين السنين . ولكن لما لم يكن أحد يعلم كيف يحدث ذلك على وجه الدقة ، فقد ظل الباب مفتوحاً لاحتمالات أخرى . وتقوم فكرة القلب النيوتروني على أساس أن هذا القلب ينمو تدريجياً ويبطئ مع انهيار المادة النجمية إلى نيوترونات ، وينتج عن الانكماش المتواصل للجزء الخارجى من النجم إطلاق الطاقة الجذبية على شكل حرارة . يقول لنداو إنه لإنتاج الطاقة التي أشعتها الشمس على مدى بلايين السنين بهذه الطريقة من الانهيار النجمي ، فإنها تحتاج فقط إلى واحد بالمائة من كتلتها .

بل وجد افتراض عن كيفية حدوث مثل ذلك الانهيار ؛ لقد وجد العلماء بعد الكشف عن النيوترون بقليل أنه لا يمكنه الاستقرار منفرداً ، إذ سرعان ما ينحل إلى إلكترون ونيوترون - تسمى هذه العملية "انحلال بيتا beta decay - كما أن العملية العكسية ممكنة أيضاً ، أن يخرق إلكترون مسرع بروتوناً فيتحول معه فيتحول إلى نيوترون - وتسمى هذه العملية انحلال بيتا العكسي - وجد العلماء مثل جاموف ولنداو وغيرهما أنه أمر طبيعي أن تندمج البروتونات مع الإلكترونات ، تحت ظروف الضغط والحرارة الهائلين بقلب النجوم ، ليتحول قلب النجم إلى كرة هائلة مكونة من نيوترونات .

على أن البساط قد سُحب من تحت أقدام هذا الافتراض ، ففي نهاية الثلاثينات أجريت حسابات الاندماج النووي للهيدروجين متحولاً إلى هيليوم ، ونجحت تماماً في تفسير إشعاع الشمس دون تكون قلب نيوتروني ، ثم دق آخر مسمار في نعش فكرة لنداو بواسطة جاموف وأحد زملائه ، م . شونبرج M. Schnberg حين بيّنا عام ١٩٤١ أن عملية التحول النيوتروني لو قدر لها أن تحدث فسوف تكون عملية مدمرة تماماً ، ينهار فيها النجم على ذلك القلب النيوتروني لينفجر بقوة فظيعة ، مطلقاً قدراً هائلاً من الطاقة .

وكانت أنباء سعيدة لشخص آخر ، تنبأ بحوث هذه الانفجارات قبل سبع سنوات ، وأن النجوم النيوترونية تتكون خلالها ، وتسمى هذه الانفجارات "المستعر الأعظم supernova . ورغم ذلك فقد قدر أن يمضي ثلاثون عاماً قبل أن يتحول بقية علماء الفيزياء الفلكية إلى هذا الاتجاه من التفكير .

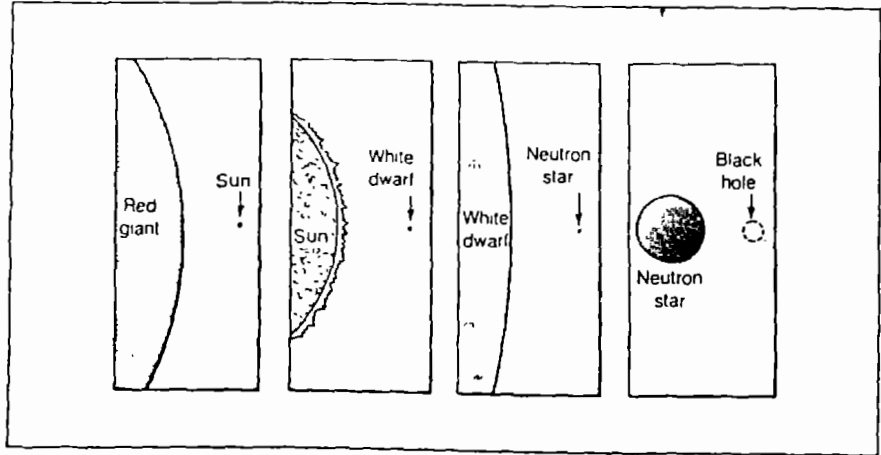
وكان هذا الذي حاز سبقاً طويلاً على رفقائه هو العالم السويسري فريتز تزفكي Fritz Zwicky ، الذي ولد في بلغاريا عام ١٨٩٨ وتوفي عام ١٩٧٤ ، وبذلك قدر له أن يعيش إلى أن يرى فكرته عن السوبرنوفات تحظى بالقبول ، ولو بعد ثلاثين عاماً من الانتظار .

وتعتبر انفجارات السوبرنوفات أقوى ما يحدث في الكون من انفجارات ، وهي نادرة الحدوث ، ولكنها حين تحدث تعطي إضاءة تعادل مجرة كاملة في فترة وجيزة . وقد ذكر في بحث قدمه مشاركة مع الفلكي الألماني المولد فالتر بادى Walter Baade عام ١٩٣٤ أن مثل هذا الانفجار الفجائي لا بد وأنه يتضمن تحويلاً لجزء من مادة النجم إلى طاقة ، تطبيقاً لنظرية أينشتاين في تحول المادة إلى طاقة ، وفي بحث ثانٍ لهما في نفس العام ، كان منصباً أساساً على الأشعة الكونية التي تنهمر على الأرض من أجواء الفضاء ، قالوا إن مصدرها انفجارات السوبرنوفات ، وفي نهاية البحث طرحت فكرة لتزفكي تقول:

مع تحفظنا الكامل نطرح فكرة أن انفجار السوبرنوفات تتضمن تحول النجم إلى نجم نيوتروني ، يتكون بصفة مطلقة من النيوترونات ، مثل هذا النجم قد يكون له قطر غاية في الصغر ، ولكن كثافته تكون غاية في الكبر . . .

وعلى هذا الأساس يمثل النجم النيوترونى أقصى صورة
لاستقرار المادة على هذا النحو .

مثل هذا الافتراض ، والذي طرح بعد عامين فقط من اكتشاف النيوترون ، يبدو
سبباً بقدر قد لا يتصور فى التسعينات . ففى عام ١٩٣٤ لم يكن العلماء قد قبلوا
حتى فكرة الأقزام البيضاء كلية ، والتي يفترض أن قطرها يبلغ جزءاً من مائة جزء من
قطر الشمس ، فى حين يفترض أن قطر النجم النيوترونى يبلغ جزءاً من سبعمائة جزء
من قطر القمر الأبيض! مثل هذا النجم يحتوى على كتلة تساوى كتلة الشمس ، ولكنها
مكدسة فى كرة قطرها لا يزيد عن عشرة كيلومترات . إن قطر القمر الأبيض أكبر
بالفى ضعف عن قطر شفارتزولد بالنسبة لمادته ، أبعد ما يكون عن مصير ثقب أسود ،
ولكن النجم النيوترونى لا يبعد عن هذا المصير إلا بثلاثة أضعاف فقط (شكل ٣ - ١) .
وهكذا يجلس النجم النيوترونى على حافة التحول لثقب أسود . وعلى ذلك فلو قبلت
فكرة وجود نجم نيوترونى ، فعليك بالتبعية تقبل فكرة وجود ثقب أسود .



(شكل ٣-١) الأحجام النسبية للنجوم ، بالنسبة للأقطار يبلغ العملاق الأحمر
٢٠٠ مرة ضعف قطر الشمس ، ويبلغ قطر الشمس ١٠٠ ضعف القمر الأبيض ،

والقزم الأبيض ٧٠٠ ضعف قطر النجم النيوتروني ، والنجم النيوتروني ثلاثة أضعاف الثقب الأسود فقط (قطر الأرض في حدود قطر القزم الأبيض) ، ولهذا السبب عندما اكتشفت النجوم النيوترونية ، اقتنع الكثير من العلماء بوجود الثقب الأسود .

ليس من عجب أن يتحاشى الفلكيون هذا التصور ، مفضلين أن يعتقدوا ، وإلى فترة كبيرة من الستينات ، أنه حتى انفجار كالسوبرنوبا في قوته لن يخلف وراءه شيئاً خلاف الأقزام البيضاء ، فقبل أى شيء لم يكن أحد قد شاهد نجماً نيوترونياً بعد ، ثم ، أليس انفجار السوبرنوبا هو مجرد وسيلة للتخلص من المادة الزائدة ، لكى يظل النجم تحت حد تشاندراسيخار ؟ كان طبيعياً أن يكون هذا هو منهج التفكير إلى نهاية الثلاثينات ، ولكن قبل أن تدخل دراسات انهيار النجوم البيات الشتوى لربع قرن ، كانت هناك صحة أخيرة ، ففي ضوء افتراض لنداو بأن كل نجم يحتوى داخله على قلب نيوتروني ، قام فريق من الباحثين الأمريكيين ببحث سؤال عما إذا كان مثل هذا القلب ، أو حتى النجم النيوتروني ، يتمتع بالفعل بحالة استقرار ، وهل له حد لذلك ، يماثل حد الأقزام البيضاء الذى حدده تشاندراسيخار ، كانت الإجابة على كلا السؤالين أن "نعم" .

داخل النجم النيوتروني :

يُعرف روبرت أوبنهايمير Robert Openheimer - وهو الذى وجد الإجابة على السؤالين - بمساهمته فى مشروع مانهاتن لصناعة القنبلة الذرية التى استخدمت فى الحرب العالمية الثانية ، حيث كان مديراً لمعمل لوس ألاموس فى صحراء نيومكسكو فيما بين ١٩٤٢ و ١٩٤٥ ، والذى فيه تمت صناعة القنبلة ، ولكنه كان قد حقق شهرته قبل مساهمته فى هذا المشروع المرعب .

ولد أوبنهايمير فى نيويورك عام ١٩٠٤ ، ويعرف بالجد والحكمة منذ صباه ، دائماً فى مقدمة صفه ، وقد التحق بهارفارد فى سن الثامنة عشرة ، مكملًا منهجا لأربع سنوات فى ثلاث ، ثم انتقل إلى أوربا ليدرس الفيزياء الكمية فى كمبريدج أولا ثم فى جوتنجن ، ولينال الدكتوراه فى عام ١٩٢٧ ، وعند عودته إلى بلاده عين عام ١٩٢٩ كمدرس فى كل من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا وجامعة كاليفورنيا ، ثم صعد لدرجة أستاذ مساعد عام ١٩٣١ ، ثم أستاذ فى ١٩٣٦ .

ولكنه ، مع معرفته أكثر من أى شخص فى الشاطئ الغربى بالنظرية الكمية ، كان مدرساً غير موفق ، تجرى المعلومات على لسانه تمتمة بسرعة البرق ، لا يكف خلالها عن التدخين ، وتلاميذه يراقبونه فى غير فهم وهو يخط المعادلات على السبورة بيد ، بينما تمسك الأخرى بالسيجارة ، وتقول القصة إنه لم يكن من المستبعد أن يخط بين السيجارة وإصبع الطباشير أثناء التدخين أو الكتابة ، لعله لم يفعل ذلك حقاً ، ولكن الذى فعله حقيقة هو أنه سمع من تلاميذه نقدم لمساوئ طريقتة بصدر رحب ، فعدل منها إلى أن أصبح أفضل معلم للفيزياء فى الثلاثينات .

واتسعت اهتماماته لتشمل قطاعاً عريضاً من التطورات الحديثة فى الفيزياء ، فكان طبيعياً أن تكون منها قضية القلوب النيوترونية ، وأن يعين مساعداً له فى دراسة الموضوع معه .

كان جاموف قد كتب فى الموضوع عام ١٩٣٧ ، كما ظهرت آراء لنداو عن الأمر فى ١٩٣٨ . إن أمل لنداو فى أن يكون انهيار النجم على قلبه النيوترونى من شأنه أن يطلق طاقة تجعل النجم يضيء لمدة طويلة يتطلب بطبيعة الحال أن يكون القلب ذاته قادراً على تحمل ضغط الجاذبية ، وقد قدر لنداو نفسه أن القلب لى يكون مستقراً يجب أن تكون كتلته أقل من ٥٪ من كتلة الشمس ، ولكن حساباته كانت مغالية فى التبسيط . لقد كانت ، من بين أشياء أخر ، غافلة عن تأثيرات النيوترونات حين تصل إلى ضغط يجعلها تتصرف كغاز متردى يخضع لتأثيرات النظرية النسبية ، وقد اكتشف أوبنهايمر ومساعدته روبرت سربى Robert Serber خطأ فى حسابات لنداو ، والتي حين أعيدت بدقة أكثر أدت إلى كتلة حوالى ٣٠٪ من كتلة الشمس ، على أن هذا التعامل السريع مع بحث لنداو لم يأخذ فى الاعتبار انحلال النيوترون . وحين بحث أوبنهايمر المسألة من هذه الوجهة ، والتي أخذت أيضاً فى الحسبان التأثيرات النسبية من حيث تشوه الزمكان بسبب الجاذبية الناتجة عن الكثافة الزائدة فى قلب النجم ، استنتج فى بحث نشر عام ١٩٣٩ مع مساعدته جورج فولكوف Gorge Volkoff أن النجوم والقلوب النيوترونية يمكن أن توجد فقط لو أن لها كتلاً تتراوح بين ١٠٪ و ٧٠٪ من كتلة الشمس ، بما يقابل كثافة تتراوح بين مائة ألف بليون جرام لكل سنتيمتر مكعب إلى عشرة ملايين بليون جرام لكل سنتيمتر مكعب . ولكتل أكبر من حد أوبنهايمر - فولكوف ليس من طريقة لئماسكها حتى مع أخذ تحلل النيوترونات وتأثيرات النسبية ، وقد كتبنا "سوف يستمر النجم فى تهاويه ولن يصل للتوازن على الإطلاق " .

وكما فعل إدنجتون من قبل ، لم يجد أوبنهايمر هذ التصور جذاباً ، واستمر فى ورقته البحثية مع مساعده قائلًا : "يطمع المرء أن يوجد حل يجعل معدل الانكماش بطيئاً بحيث ينظر إلى هذا الحل ليس كحل للتوازن ، بل لحالة شبه استاتيكية" بمعنى أن أوبنهايمر قد رأى المعضلة للانهييار الجذبى النهائى تحل عن طريق تشوه فى الزمكان ببطئٍ فيه الزمن بحيث تبدو العملية لمراقب من الخارج كما لو كانت مستمرة للأبد ، فإذا كانت عملية انهيار النجم إلى نقطة ذات كثافة لانتهائية سوف تستغرق زمناً لانتهائياً ، فليس لنا أن نهتم حول إمكانية اكتشاف مثل هذا الانهييار فى الكون الواقعي .

وبصرف النظر عن بعض التعديلات الطفيفة لا يزال حل أوبنهايمر وفولكوف سارياً منذ عام ١٩٣٩ . وأفضل تقدير اليوم هو أن النجم النيوترونى لكى يظل موجوداً يجب أن تزيد كتلته عن ١.٠٪ من كتلة الشمس ^(١) ، وبالتأكيد لا تزيد عن ثلاثة أمثال كتلتها . ومن ناحية القطر يعنى ذلك قطرا يتراوح بين ٩ و ١٦٠ كيلومترا (لا يوجد نجم نيوترونى يزيد قطره عن مائة كيلومتر) .

ويوجد تعديل أخير فى المعادلة التى لم ينته البحث فيها بعد ، فالموضوع لا يزال مستمراً ، إن النيوترونات قد بدا أنها تتكون فى حد ذاتها من جسيمات أصغر ، تسمى الكواركات ^(٢) ، ويطرح هذا احتمال أن تكون هذه الجسيمات ساحة فى قلب النجم النيوترونى مكونة "حساء من الكواركات" ، ولكن هذا الاحتمال لن يؤثر على النتيجة ، فتظل القاعدة سارية ألا يستقر نجم نيوترونى يزيد فى الكتلة عن ثلاثة أمثال الشمس .

فيما وراء النجم النيوترونى :

على عكس إدنجتون ولنداو ، لم يكن أوبنهايمر مستعداً لترك النجم النيوترونى تحت رحمة قوانين مجهولة أو لقوى جديدة تجعله متوازناً فوق الحد الذى توصل إليه ، وحين وجد أن المعادلات لا تعطى فرصة لتحاشى الانهييار الكامل ، تقبّل النتيجة . وفى يوليو من عام ١٩٣٩ قام مع مساعد آخر ، عبقرى فى الرياضيات يدعى هرتلاند

(١) يمكن لنجم أقل من هذه الكتلة أن يتكسب إلى نجم نيوترونى نتيجة الانفجار ، ولكنه لن يكون به ضغط يمنع النيوترونات من أن تعود للانحلال إلى بروتونات والكترونات ليتحول إلى قزم أبيض .

(٢) والبروتونات أيضاً-المترجم

سنيدر Hartland Snyder بتقديم بحث خاض فيه فيما وراء النجم النيوترونى المستقر ، ونظر فى الطريقة التى تقوم فيها الجاذبية بتشويه الزمكان حول النجم المنهار ، مستعيناً بحل شفارتزشلد ومعادلات أينشتاين . يعتبر هذا البحث أول بحث حديث عن الثقوب السوداء ، وآخر بحث فى الموضوع لعقدين تالين ، ولكنه كان " يأخذ بالأنفاس " كما وصفه فرنر إسرائيل Werner Israel فى كتابه " ثلاثمائة عام مع الجاذبية 300 years of Gravitation . فهو يستخدم مصطلحات سوف تصاحبنا فى كتابنا هذا ، وبلغة هى بالضبط ما يستخدمها علماء النسبية اليوم ، ولا يوجد لليوم وصف واضح موجز يعبر عن فهمنا للمصير النهائى للنجوم الضخمة مثل ما قدمه أوبنهايمر وسنيدر فى بحثهما :

حين تستنفد كل الطاقة الحرارية-النوية ، فإن النجم إذا كانت كتلته كافية فسوف ينهار تماماً ، وإذا لم يتسبب انشطار نتيجة الدوران ، أو إشعاع للمادة ، فى تقليل الكتلة إلى كتلة قريبة من الشمس ، فإن الانكماش سوف يستمر إلى ما لانهاية . . سوف يصل قطر النجم بطريقة تقاربية asymptotically إلى قطر الجاذبية ، وينزاح الضوء إلى اللون الأحمر باطراد ، وسوف يتم ذلك أمام عين مراقب مصاحب للانهار فى غضون يوم .

توجد ثلاثة مفاهيم فى هذه العبارة ، أن الانهيار سيبدو لمراقب خارج عملية الانهيار كما لو كان مستمراً إلى ما لانهاية ، وهو مغزى مصطلح "طريقة تقاربية" ، وأن الضوء سوف يميل للون الأحمر ، وهو فى الواقع تنبؤ النظرية النسبية العامة ، فعند مط الزمن يمتد الطول الموجي للإشعاع الصادر من النجم ، فيميل لونه للأحمر ، والذي هو أطول موجات الضوء ، تسمى هذه العملية "الانزياح الأحمر الجذبى gravitational red shift ، ولا تظهر إلا إذا كان الضوء آتياً من نجم ذى قوة جاذبية عالية . والواقع أن هذا التأثير قد لوحظ فى قرين الشعرى اليمانية والأقزام البيضاء الأخرى ، وهو الدليل على أنها بالفعل كبيرة الكتلة .

هذا الانزياح الأحمر يختلف عن مثيله الآتى من المجرات ، والذي ينتج بسبب تمدد الكون ، ففي الوقت الذى ينقضى لتصل الموجات الضوئية لنا ، يتمدد فضاء

الكون نفسه فتطول معه الموجات . فهذا "الانزياح الأحمر الكوني cosmological red shift والشاهد على تمدد الكون ، وعلى نشأته نتيجة الانفجار العظيم ، منذ عدة آلاف بلايين من السنين مضت ، ولأن الانزياح يتناسب مع بُعد المجرات ، فقد أمد ذلك الفلكيين بوسيلة مباشرة لقياس بعد المجرات ، ولكنه انزياح لا علاقة له بالانزياح المتسبب عن الجاذبية .

ويمكن التفكير فى الانزياح الأحمر عن طريق الطاقة ، فالضوء الأزرق يحمل طاقة أعلى مما يحمله الضوء الأحمر ، ويعتبر الانزياح الأحمر من هذه الزاوية دليلاً فقط على طاقة الضوء وهو يغالب الجاذبية للفرار منها ، وفى حالة نجوم كتلتها عالية للغاية ، ومكدسة بدرجة كبيرة ، يمكن للإزاحة أن تتخطى مدى اللون الأحمر لتصل إلى مدى الموجات تحت الحمراء ، أو حتى الموجات الراديوية . هذا ما عناه أوبنهايمر وزميله بقولهم "باطراد" ، وسوف تأتى نقطة ، مع استمرار انكماش النجم المتهاوى تكون فيها قوة الجاذبية عند السطح من الكبر بحيث يفقد الضوء طاقته الكلية قبل أن يستطيع الفرار ، سيكون الانزياح قد وصل إلى مالا نهاية ، ولن يكون هناك موجات بالمرّة ، ويكون النجم قد تحول إلى ثقب أسود ، يحدث ذلك عندما تصل سرعة الهروب إلى سرعة الضوء .

النقطة الثالثة التى تستدعى كثيراً من التدبر هى "المراقب المصاحب للانهار" ، شخص موجود على سطح النجم فيقع فى قلب الثقب الأسود مع المادة المتهاوية . يقول أوبنهايمر فى بحثه إنه على الرغم من أن العملية تستغرق وقتاً لانهائياً فى نظر مراقب من الخارج ، فإنه بالنسبة لهذا الشخص تستغرق فقط بضع ساعات ، وعلى الرغم من كون هذه المفارقة صعبة على التصور ، فإنها سوف تكون وسيلتنا الأساسية فى استخدام الثقب الأسود كطريق مختصر عبر الزمن والفضاء .

لم يكن كل ذلك متصوراً فى سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، فقبل ذلك بأشهر كانت مسألة حفاظ النجوم على طاقتها الداخلية عن طريق الاندماج النووى قد حلت ، مما أدى إلى استبعاد فرض وجود قلب نيوترونى داخلها ، وفى نفس شهر ظهور بحث أوبنهايمر وسنيدر ، أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا ، وتحول البحث العلمى ، فى أوربا أولاً ثم فى الولايات المتحدة ، إلى قنوات أخرى . تشتت العلماء المشتغلون مع أوبنهايمر ، وتولى هو مهمة تصنيع القنبلة الذرية ، ولذلك فليس من المستغرب أنه

بنهاية الحرب لم يكن أحد مقتنعاً بوجود النجوم النيوترونية سوى تسفكي ، ولم يكن أحد مقتنعاً بالمرة بوجود الثقوب السوداء . لقد تناول بعض الرياضيين فكرة الثقوب السوداء ، فى أواخر السبعينات ، ولكن انقضت عشرون سنة قبل أن يفيق العالم على حقيقة وجود النجوم النيوترونية ، وعلى أنه إذا وجد شئ يبلغ كتلة الشمس ثلاث مرات ، فسوف يكون هو الثقب الأسود .

النابضات الخيرة :

على الرغم من أن عودة الاهتمام بالنجوم المتريدة كان وليد اكتشاف عارض عام ١٩٦٧ ، فإن هذا الاكتشاف يجد جذوره فى تطور علمى أنجز خلال الحرب العالمية الثانية؛ ألا وهو الرادار . فقبل الحرب لم يكن أمام العلماء سوى مراقبة الكون من خلال الموجات المرئية ، باستخدام التلسكوبات البصرية ، وعلى الرغم من أن حقيقة إمكانية التقاط موجات راديوية من الفضاء ترجع إلى الثلاثينات ، لم يكن هناك وقت لتطور الفلك الراديوى قبل أن تضع الحرب أوزارها . وخلال الحرب كان استقبال الموجات يعانى من تشويش علل بأن مصدره الشمس ، وقد أثار ذلك العلماء العاملين فى مجال الرادار . فما أن انتهت الحرب حتى انهك البعض منهم ، فى بعض الأحيان مستخدمين نفس معدات الحرب ، فى سبر أغوار الكون باستقبال موجات أطول من موجات الضوء المرئية ، أى فى المدى الذى تقع فيه الموجات الراديوية ، وتحولت هذه النافذة الجديدة على الكون إلى علم الفلك خلال الخمسينات ، فى خطوة من خطوات التقدم فى سبر أغوار الكون تحققت فى السنوات التالية ، منها كما سنرى لاحقاً حمل الآلات الرصدية إلى ما فوق الغلاف الجوى عن طريق الصواريخ والأقمار الصناعية لاستقبال موجات من الكون أقصر من الموجات المرئية .

وتستخدم الصواريخ والأقمار الصناعية لاستقبال الموجات قصيرة الموجة كالأشعة السينية والأشعة فوق البنفسجية وأشعة جاما ، لأن هذه الموجات تمتص بواسطة الغلاف الجوى ، أما موجات الراديو فيمكنها اختراق ذلك الغلاف أسوة بموجات الضوء . وللفلك اللاسلكى مزايا جمّة يتفوق بها على الفلك البصري ، فاللون الضارب للزرقة الذى نراه للسماء ، والذى يجعل النجوم غير مرئية خلال النهار ، هو فى الواقع أحد ألوان الطيف الشمسى تشتت بفعل ذرات الغبار العالقة فى الهواء ، أما الضوء الأحمر الأطول موجة فلا يتشتت بنفس الدرجة ، وهو ما يجعل الشمس عند الغروب تبدو

حمراء ، هذا النوع من التشتت لا يحدث بالنسبة لموجات الراديو ، ولذا فهي لا تعاني من الزيغ الذى تعانيه أبصارنا أو معدتنا التصويرية فى ضوء النهار . ولهذا السبب فالفلك الراديوى أمامه اليوم بساعاته الأربع والعشرين للعمل .

ولكن الواقع أن للشمس تأثيرا على استقبال الموجات اللاسلكية الآتية من الفضاء ، ولكن العلماء من الحصافة لدرجة استغلال هذا التشويش للحصول على معلومات أوفى عن الأجرام السماوية التى تشع موجات لاسلكية . هناك تيار متدفق على الدوام من مواد متطايرة من سطح الشمس تسمى الرياح الشمسية ، وذرات هذه الرياح ليست متعادلة كهربياً ، حيث تفقد إلكتروناتها عند سطح الشمس ، فالرياح الشمسية هى فى الواقع تيار من البلازما ، وإن كانت خفيفة للغاية بالنسبة لغاز البلازما بداخل النجوم ، هذا التيار من البلازما يجعل الموجات الملتقطة تتأرجح قليلاً فى شدتها ، بالضبط كما تتلألأ النجوم فى السماء بسبب الغلاف الجوى للأرض .

ولكن ضوء النجوم يتأثر بهذه الصورة لكونها صغيرة للغاية ، مجرد نقاط من الضوء ، أما الكواكب ، والتى تبدو كأقراص صغيرة ، فلا تتلألأ ، لأن التأرجح فى الشدة يتوزع على مساحة القرص (طبعا النجوم أكبر بكثير من الكواكب ، ولكنها تبدو كنقاط مضيئة بسبب بعدها الشاسع عن الأرض) . وتنطبق نفس النظرية على مصادر الموجات اللاسلكية الملتقطة من الفضاء حين يتأثر التقاط موجاتها بالرياح الشمسية ، بما يعطى معلومات عن تلك المصادر ، فالمصادر التى تتميز موجاتها بالوميض فى الموجات اللاسلكية تعنى أنها بعيدة أو صغيرة الحجم ، بينما التى لا تعاني من ذلك تعنى أنها قريبة أو كبيرة الحجم .

وبالعكس ، فإن معرفة خواص المصادر يفيد فى معرفة طبيعة الرياح الشمسية من ملاحظة هذا الوميض ، وقد كان هذا هو الشغل الشاغل لمهندس راديو شاب يدعى أنتونى هيويش Antony Hewish ، الذى دأب على مراقبة مصادر الموجات اللاسلكية الوامضة فى مرصد كامبردج اللاسلكى فى الخمسينات ، وكان هيويش قد درس فى كامبردج فى الأربعينات ، وانخرط فى الحرب كمهندس لاسلكي ، ثم عاد بعدها إلى كامبردج ليكمل دراسته ، حيث تخرج عام ١٩٤٨ ، ومن ذلك إلى الأبحاث ، حيث حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٢ . وقد استخدم منحة الدولة المقدرة بسبعة آلاف جنيه فى بناء مرصد لاسلكي ، استخدمه فى دراسة المصادر الوامضة والرياح الشمسية على

السواء ، وقد وصف مشروعه بأنه من أنجح المشروعات فى الأبحاث ، حيث عن طريقه تمكنت تلميذته جوسلين بل Jocelyn Bell من اكتشاف أول نجم وامض (pulsar) أو بُلْسار ، بضم الباء وسكون اللام) عام ١٩٦٩ .

ولدت جوسلين بل (بعد الزواج جوسلين بورنل Jocelyn Burnell) فى بلفاست عام ١٩٤٣ ، وتخرجت من جامعة جلاسجو عام ١٩٦٥ ، وخلال العامين التاليين بدأت رسالة الدكتوراه فى كمبردج وعملت فى إنشاء مرصد هيويش الذى يضم هوائيا لا يماثل كثيرا ما يعرفه الناس اليوم عن الهوائيات اللاسلكية لرصد النجوم؛ أطباق ذات شكل مقعر ، فالتقاط الوميض يحتاج هوائيات من نوع خاص يمكنها الاستجابة للتغيرات اللحظية فى الإشارة الملتقطة ، بالضبط كما تستجيب عينك لتلاؤم النجوم فتتمكن من متابعته "فى الوقت الحقيقى real time إذا أردنا استخدام اللهجة المستخدمة فى علم الحاسوب - على العكس من ذلك استخدام لوح فوتوغرافى لتصوير نجم ، إذ يجمع الضوء على مدى فترة معينة ، أى يحصل على صورة فى "وقت مجمع integrated time" لقد كان هوائى التقاط الوميض أشبه ببستان فاكهة منه لهوائى لاسلكي ، ساحة مليئة بهوائيات متناثرة مترابطة كهرييا .

وفى عام ١٩٦٧ (نفس عام وصولى إلى كمبردج لنيل رسالة الدكتوراه ، فيما أصبح بعد ذلك معهد الفلك النظرى) كان المرصد الجديد قد دخل التشغيل ، بين مصادر الوميض كما صمم . إن هوائيا كهذا لا يمكنك إدارته كغيره من الهوائيات لتمسح السماء ، لكنك تترك الأرض فى دورانها تقوم بذلك . وحيث إن الرياح الشمسية تكون أقوى حين تكون الشمس فى كبد السماء ، فإن الوميض يكون أقوى فى هذا الوقت من اليوم ، ولكن فريق العمل تعود أن يترك النظام عاملا طوال الأربع والعشرين ساعة ، فمصاريف تشغيله لا تمثل شيئا بالنسبة لما أنفق فيه ، ولست تعرف أبدا متى يحدث شيء غير متوقع .

وهذا ما حدث بالضبط يوم السادس من أغسطس عام ١٩٦٧ كانت كل عملية مسح تنتج شريطا من الورق طوله ثلاثون مترا ، مسجلا عليه ثلاثة خطوط بيانية وخلال مسح التلسكوب للسماء يكون كل مصدر "مرنيا" لفترة لا تتجاوز ثلاث أو أربع دقائق ، حين يكون فوق الهوائى مباشرة . كان على الأنسة بل أن تتفحص عدة كيلومترات من الشرائط لترى إذا كانت تحتوى على شيء يلفت النظر ، وخلال عمل

ذلك فى اليوم المذكور لاحظت اهتزازاً طفيفاً فى أحد الخطوط الثلاثة ، لا يزيد على عدة سنتيمترات ، يمثل مصدراً خافتاً للتشويش فى منتصف الليل ، حين كان الهوائى يشير إلى الجهة المقابلة للشمس! من المستحيل أن يكون هذا وميضاً ، لعله تشويه بفعل خارجي ، فوضعت بل عليه علامة ثم أهملته .

ولكن هذا التشويه ظل يتكرر كل يوم ، ليس على الدوام ولكن غالباً ، فى نفس الوقت من الليل ، وفى سبتمبر كان لدى بل معلومات تفيد أن هذا التأثير يأتى من نفس الموضع فى السماء ، على دورات ليست ٢٤ ساعة ، بل ٢٣ ساعة ٥٦ دقيقة . كان هذا مؤشراً غاية فى الأهمية ، لأن النجوم فى السماء تتكرر بالفعل بنفس هذه الدورة ، بسبب دوران الأرض حول الشمس ، وفى الوقت الذى قرر فيه كل من بل وهيويش أنهما قد حصلا على شيء مثير للاهتمام ، وأقاما جهازاً لتسجيل الموجات المستقبلية منه ، اختفى لعدة أسابيع ، ثم عاد فى نوفمبر ليبين أنه بالفعل مصدر لإشعاع نبضات مدتها ١,٣ ثانية .

كان الأمر من الغرابة لدرجة أن هيويش تجاهله ، رغم ثبات مكانه ، كتداخل من فعل بشري ، إذ لم يحدث أن رأى أحد جسماً فلكياً يغير من شدته بهذه السرعة ، فأسرع تغيير لضوء نجم لوحظ كانت دورة تغيره ثمانى ساعات ، ولكن الملاحظة المستمرة استبعدت فكرة التداخل البشري ، إذ كانت فترة معاودة النبضات ثابتة بقدر مذهل ، بالضبط ١١٣.٣٢٧٣٠ ثانية ، وتستمر كل نبضة لمدة ٠.١٦ ثانية .

تخيل هيويش ورفاقه أنهم قد حققوا اتصالاً مع كائنات من الفضاء الخارجى ، فقاموا والدهشة تعقد ألسنتهم بتسمية المصدر LGM1 اختصاراً لعبارة : Little Green Men1 (رجال صغار خضر رقم ١) ، ولم يشأ هيويش إذاعة الخبر إلا بعد المزيد من التمهيص ، وخيراً فعل .

كنا فى كمبردج قد شعرنا بأن زملائنا فى أبحاث اللاسلكى بكافنديش قد توصلوا لشيء ما ، ولكن دون أن ندري حقيقته ، فتركنا الأمر لتقديرهم إلى أن يخبرونا عنه ، ولم أكن عن نفسى مهتماً بالموضوع ، فقد كنت غارقاً فى المهمة المكلف بها ، كتابة برنامج حاسوبى يبين كيف تتذبذب النجوم . فى نهاية ١٩٦٧ لم أكن قد وجدت فكرة كيف يستفاد بذلك حتى أحصل على درجة الدكتوراه ، وفى نهاية فبراير التالى تغير كل شيء .

قبل عيد الفصح مباشرة لاحظت بل تشويها آخر ، أتيا من مكان آخر فى السماء ، كان بنفس دقة المصدر الأول ، ولكن على فترة زمنية أخرى ؛ ١,٢٧٣٧٩ ، ثم سرعان ما أضيف اثنان آخران ، فترة الأول ١,١٨٨٠ والثانى ٠,٢٥٣٠٧١ . وتصادد العدد مُبعداً افتراض الرجال الخضر ، بل يجب أن يكون المصدر من فعل الطبيعة ، وعلى الفور أزيلت بطاقة LGM وقرر هيويش إذاعة الخبر ، فى البداية فى جلسة علمية بكمبردج ، حتى يعلم بقية الفلكيين بالأمر ، ثم أتبع ذلك بنشر مقالة عن الموضوع فى مجلة الطبيعة Nature كان تاريخها ٢٤ فبراير ١٩٦٨ ، معنونة "مشاهدة لمصدر راديوى سريع النبض Observation of a Rapidly Pulsating Radio Source .

لقد اكتشف الفلكيون اللاسلكيون بالفعل نوعاً جديداً من مصادر الإشعاع اللاسلكي ، ومن الكلمة Pulsating Radio Source أطلق اسم Pulsar عليها . ولكن ، ما ماهية ما اكتشفته الأنسة بل بالضبط ؟

تَرْفُكِي كان على حق ، اكتشاف النجوم النيوترونية :

كان اكتشاف النجوم النابضات بداية نشاط محموم من قبل المنظرين ، لقد اكتُشف نوع جديد تماماً من أجسام السماء ، وسوف يدخل شخص ما التاريخ بالوصول إلى تفسير لهذه الظاهرة ، فالنجوم التى تعطى نبضات معروفة ، بسبب التغير فى عملية إنتاج الطاقة بها ، وتتغير إضاعتها بالتالى ، ربما تكون هذه الظاهرة متاحة للنجوم اللاسلكية المكتنزة .

وقد بين هيويش وبل ورفاقهما ما يمكن أن تكون احتمالات منطقية ، فهذه النبضات يجب أن تكون قادمة من نجم مكتنز ، فليس غيره يمكن أن يعطى الطاقة اللازمة لبث هذه النبضات ، فنجم فى حجم كوكب الأرض يجب أن يكون قرماً أبيض ، وإن كان أصغر فنجم نيوتروني ، وهو أيضاً احتمال وارد لمثل هذه النبضات السريعة . على أنه يتبقى أمر محير ، فنبض الأقزام الزرقاء سبق أن حسبه المنظرون عام ١٩٦٦ ، وكان زمن الدورة الأساسى لها فى حدود ثمانى ثوان ، أكبر من أن يعلل ظاهرة النجوم النابضات ، كما أن هذه الحسابات للنجوم النيوترونية أعطت زمن دورة أقل من أول نابضات اكتشفت ، فى حدود أجزاء من الألف من الثانية ، وظلت الأقزام البيضاء هى الرهان الأفضل ، لو فقط وجدت طريقة ما تجعلها تدور بسرعة أعلى مما افترضته الحسابات السابقة .

وفى فبراير ١٩٦٨ كان النموذج الحاسوبى للنبض النجمى يعمل على جهازى بصورة جيدة ، وقد تكون مهمة مباشرة تطويره ليصف نبض الأقزام البيضاء ، والأكثر من ذلك أن الحسابات الأولى لم تأخذ فى الحسبان تأثيرات النسبية العامة ، وهو أمر من شأنه أن يتيح للنجوم أن تدور بسرعة أكبر ، وتتطلب هذه الحسابات أيضاً استخدام الحاسوب . وقد وصلت بالفعل عن طريق تطبيق هذه الأفكار إلى زمن دورة يساوى ثانية ونصف ، على أن المزيد من الحسابات ، مع ضغط قوة حاسوبى إلى أقصى مداه ^(١) ، ومع مزيد من الاكتشافات للنافضات ، توصلت فى النهاية إلى أنها لا يمكن أن تكون أقزاماً بيضاء .

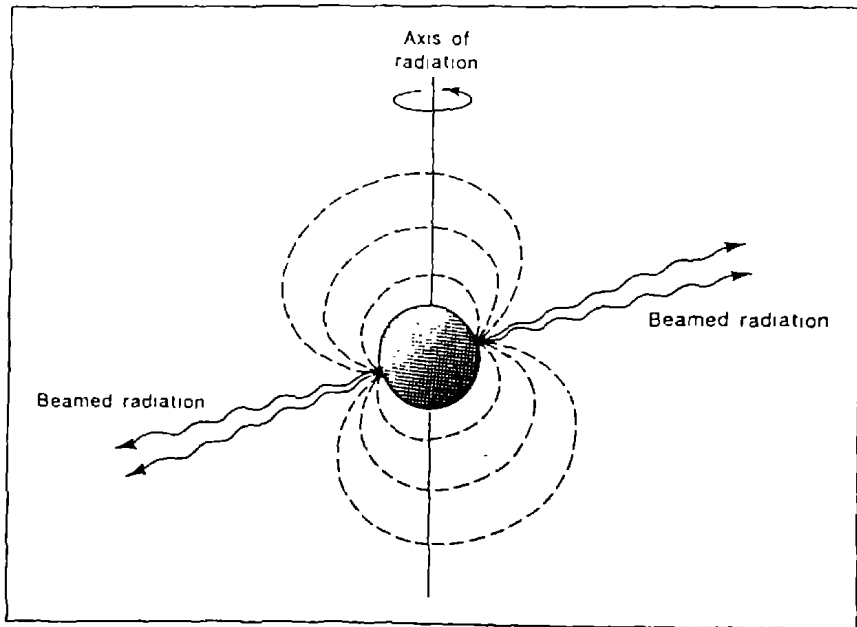
كانت المشكلة هى أن أسرع دورة حصلت عليها ظلت أكبر من النابضات التى تم اكتشافها مؤخراً ، وكان لاكتشاف إحداها مدلول خاص ، لقد كان ينبض بمعدل ثلاثين مرة فى الثانية ، فى وسط سديم يطلق عليه سديم السرطان .

كان هذا الكشف كافياً أن يقضى على احتمال الأقزام البيضاء نهائياً (بل لقد اكتشفت نابضات أسرع نبضاً منذ ذلك الحين) ، على أن الأكثر إثارة كان موقع اكتشافه . فسديم السرطان هو فى الواقع بقايا انفجار مستعر أعظم روقب عام ١٠٥٤ فى الصين . وقد بين والتر باد منذ سنوات خلت بأنه إذا كان زميله تزفكى على حق ، وأن هذه الانفجارات تخلف نجومًا نيوترونية وراءها ، فإن المكان المتوقع لإحداها يكون فى وسط سديم السرطان ، بل لقد حدد نجمًا بالذات متوقعًا أن يكون نجمًا نيوترونيًا . وأكدت الأرصاد اللاسلكية أن هذا النجم ينبض بالفعل ، وبضوء مرئى ، ثلاثين مرة فى الثانية ، وهو أمر لم يكن يتوقعه أحد قبل عدة شهور فقط ، فنجم ينبض بهذه السرعة كان أبعد من تصور أخصب الفلكيين خيالاً ، على أنه كان ينبض حقيقة بهذه السرعة ، ويطاقة ضوئية أعلى من الطاقات الراديوية .

وأصبح الكل مقتنعاً بأن النابضات هى نجوم نيوترونية ، كما اتضح أنها حقيقة—على عكس ما يعنيه اسمها—ليست نابضات ، بل دوّارات ، تشع فى الفضاء موجات

(١) قمت بهذا الإنجاز على حاسوب من أفضل ما كان معروفًا فى ذلك الوقت ، من المثير أن أقول إن سعة ذاكرته كانت ١٢٨ كيلوبايت ، أقل من ربع الحاسوب الذى أكتب عليه كتابى هذا ، والذى هو بدوره متواضع للغاية بالنسبة لأجهزة اليوم [سعة الذاكرة اليوم تصل إلى ألف ضعف سعة الذاكرة التى أجرى عليها أبحاثه—المرجع] .

لاسلكية ، بل وضوئية أيضاً ، من مكان نشط على سطحها ، تعمل هذه النجوم فى الواقع عمل فانار فلكي ، يجتاح إشعاعه الأرض كل دورة من دورانه (شكل ٢-٣) . لم يعد هناك ما هو أكثر إقناعاً بأن النجوم النابضات هى نجوم نيوترونية تلف حول نفسها بسرعة تجعل نقطة معينة على خط استوائها تدور بسرعة تصل إلى نسبة ملموسة من سرعة الضوء .



(شكل ٢-٣) النجم النابض هو نجم نيوترونى ذو مجال مغناطيسى هائل ، يعطى إشعاعاً من قطبه يدور فى الفضاء مثل الفانار

أتذكر كيف كانت فكرة كون النابضات نجومًا نيوترونية دَوَّارة فى السماء مثار سمرنا خلال فترات الراحة فى ربيع عام ١٩٦٨ ، على أن من ينسب له الفضل فى وضع تصور متكامل عن هذه النجوم هو تومى جولد Tomy Gold ، ولكن من جهة

أخرى فإنه قد سبق للعالم فرانكو باكينى Franco Pacini أن بيّن (بعد اكتشاف جوسلين بل التشويه على أشكالها البيانية) أن نجماً عادياً لو قُدِّر له أن ينهار إلى نجم نيوترونى فإن الانهيار سوف يجعله يلف حول نفسه بسرعة عالية فيزداد انكماشاً (كمثل المنزلق على الجليد حين يضم ذراعيه على صدره) ، ويزداد مجاله المغناطيسى شدة ، هذا الجسم ثنائى القطب كما أسماه باكينى سوف يغمر الفضاء بإشعاعه الكهرومغناطيسى ، وهو ما يفسر نشاط ذلك النجم بعد ألف عام من الانفجار الذى راقبه الصينيون . لعله يبدو من عدم العدالة أن يسرق جولد الأضواء من باكينى فى هذا الأمر ، ولكن بحث جولد كان أكثر إيفاء بالموضوع ، حين بين أن دوران النجم النيوترونى حول نفسه يبطئ شيئاً فشيئاً ، وقد أثبت مرصد أريكيبو Arecibo فى بروتو-ريكو بتلسكوب لاسلكى ذى طبق قطره ألف قدم أن نابض السرطان يبطئ بالفعل بمعدل جزء من مليون جزء من الثانية كل شهر ، هكذا كان نموذج جولد هو المعتمد للنجوم النابضات .

وفاز هيويش بجائزة نوبل^(١) ، وحصلت جوسلين بل على درجتها للدكتوراه ، كما حصلت على درجتي ، فى جزء منها بإثباتى أن الأقزام البيضاء يستحيل أن تكون هى النجوم النابضات ، إذ لو دارت حول نفسها بهذه السرعة لتمزقت إربا . قد لا يمثل ذلك شيئاً يدعو للإعجاب ، فهو إثبات سلبى ، على أننى حين أستعيد الذكرى أجد أن قيمته تتجاوز ما قدرته آنذاك ، لأننى بما انتهيت إليه جعلت الاحتمال الوحيد فى صالح النجوم النيوترونية ، سواء نابضة حقاً أو دوارة . لم أدر وقتها أننى بذلك قد فتحت الباب أمام تقبل فكرة الثقوب السوداء ، وليس من قبيل المصادفة أن تنهض فرق البحث فى مجال الثقوب السوداء فى نفس عام اكتشاف النجوم النابضات ، وعلى مر العقود التى تلت ، لعبت فكرة الثقوب السوداء دوراً حاسماً فى حل لغز حير الألباب منذ عام ١٩٦٣

(١) عام ١٩٧٤ - المترجم .

الفصل الرابع

وفرة من الثقوب السوداء

ثقوب سوداء تعطى طاقة لأغلب أجرام الكون، نجم يشع موجات سينية يقرع مثل جرس، أول ثقب أسود يتعرف عليه، ثم ملايين تتبع.

مع أطراد التطور فى تقنية الرصد اللاسلكى بداية من الخمسينات، تزايد فهم العلماء للكون على رحابته، مزودين بنظرية النسبية العامة، فبوصف الزمكان ككل متكامل أعطت هذه النظرية وصفاً شاملاً للكون كزمكان منحن. كان العلماء إلى مطلع العشرينات يعتقدون أن الكون محصور فى النجوم التى نراها ليلاً، تكون مع مواد أخرى كالمغازات بين النجمية فى مجرة درب التبانة، وعلى الرغم من أن النجوم منفردة تولد وتنفى داخل تلك المجرة، إلا أن النظام ككل اعتبر سرمدياً ثابتاً، كغاية تنبت فيها أشجار وتموت أخرى، ولكنها دائمة وثابتة كنظام مستقر، ولذلك فقد كانت دهشة أينشتاين بالغة حين وجد أن معادلته تتناقض مع فكرة الكون الثابت الحجم .

الانزياح الأحمر والنسبية :

كان النموذج الكونى cosmological model المستنبط من النظرية النسبية العامة يفتح الباب أمام وصف كون متغير الحجم، سواء بالتناقص أو بالتزايد، ولكنه لا يقبل بالمرّة كوناً ثابتاً، فى غير ذلك تأيدت النظرية النسبية فى كل مجال اختبرت فيه.

وقد خلّت المعضلة خلال العشرينات، فقد اكتشف الراصدون أن ما اعتقدوه سحاباً منتشراً بين النجوم هو فى الواقع نظم نجمية قائمة بذاتها، لا تقل حجماً عن درب التبانة، وتقع على أبعاد سحيقة من النجوم التى نراها بأعيننا المجردة، وخرجوا من ذلك بأن الكون أكبر بكثير مما اعتقد سابقاً، وأن المجرات، كما أطلق عليها، تضم

مئات من ملايين النجوم، تتناثر فى الكون الفسيح كما تتناثر الجزر فى المحيط الهادئ، كما اكتشفوا أن هذه المجرات تتباعد عن بعضها البعض، وأن الفضاء بين المجرات يتسع باطراد، بالضبط كما تنبأت نظرية أينشتاين.

وفى رأى أن هذا هو أعظم إثبات لصحة هذه النظرية ودقتها فى وصف الكون، لقد أخبرت النظرية أينشتاين أن الكون يتمدد باطراد، ولكنه رفض تصديق ذلك، وظن أن بنظرية سوءاً حاول علاجه بإدخال عامل يلغى هذا التمدد^(١). وقد جاء اكتشاف تمدد الكون مفاجأة للكثيرين، عدا القليل من المنظرين الذين تقبلوا مدلول النظرية النسبية، وكانت الرياضيات التى تصف الكون المتمدد تقبع فى ثنايا المراجع والمجلات العلمية المتخصصة، وما أن ثبت ذلك حتى أصبحت النسبية العامة هى أساس فهمنا للكون برمته. ويدلنا هذا التمدد على عمر الكون منذ بدأ مكسباً فى نقطة مستعرة، ثم انفجرت فيما سمي بالانفجار العظيم، هذا الانفجار العظيم هو فى الواقع، من وجهة نظر معادلات النسبية العامة، الصورة العكسية للانفجار النجمى إلى ثقب أسود.

وجاء الشاهد على التمدد الكونى من فحص الضوء الآتى من المجرات، فالضوء الذى يأتى من أجرام سماوية يتحلل عن طريق المنشور الزجاجى إلى طيف لوني، يتميز عادة بحدود قاطعة بين مناطق من أطوال موجية، هذه الخطوط الطيفية تأتى فى جماعات تصدر كل جماعة عن ذرة عنصر معين. فذرة صوديوم مستثارة بالحرارة مثلاً تطلق ضوءاً أصفر فاقعاً، كذلك الذى نألفه فى مصابيح الصوديوم.

وتدلنا الأطياف اللونية على ما تتكون منه النجوم من عناصر^(٢)، كما تدلنا على التمدد الكونى، حيث نجد أن الأطياف القادمة من مجرات بعيدة تنزاح جميعها إلى اتجاه اللون الأحمر بالنسبة لنفس العناصر على الكرة الأرضية.

وترجمة هذا الانزياح الأحمر أن الضوء قد مَطَّ خلال رحلته إلينا، فخلال الوقت الذى يقطعه فى هذه الرحلة (والذى قد يستغرق ملايين السنين) يمت الفضاء فيما بيننا، متوافقاً تماماً مع تنبؤ النظرية النسبية، فيمت الطول الموجى للضوء تبعاً لذلك، ولأن اللون الأحمر هو اللون ذو الطول الموجى الأكبر، فإن معنى مط طول موجى اللون

(١) ذكر أينشتاين فيما بعد أن هذا العامل كان أكبر عقبة فى مساره العلمى.

(٢) من المثير بهذا الخصوص أن نذكر أن غاز الهيليوم قد اكتشف بهذه الطريقة فى الشمس قبل اكتشافه على الأرض، وهو سبب تسميته، حيث اشتق الاسم من اسم الشمس فى اللغة الإغريقية (قارن اسم هيليوبوليس بمعنى مدينة الشمس) - المترجم

آخر هو انزياحه تجاه هذا اللون^(١)، هذا هو الانزياح الأحمر الكوني الذى يختلف عن الانزياح الأحمر الجذبى الذى أشرنا إليه فى الفصل السابق.

ولهذا النوع من الانزياح خاصيتان جديرتان بالذكر خلال سردنا للموضوع، وإن كانتا على غير علاقة بقصة الثقوب السوداء، الأولى أن الانزياح الأحمر ليس بسبب حركة متباعدة للمجرات عنا، بل بسبب انتفاخ الكون ذاته، كما تتباعد نقاط على سطح بالون منتفخ، الثانية هو أنه ليس معنى أن المجرات تتباعد عنا فى جميع الاتجاهات أننا فى مركز الكون، فهذه الصورة من التباعد سوف يلاحظها أى مراقب فى أى نقطة يكون فيها من الكون، ولكن المثير فى هذا الانزياح (بالإضافة إلى حقيقة وجوده) هو أنه يخبرنا عن بُعد المجرات عنا، فهو يتناسب طردياً مع هذا البعد. كانت هذه هى الخلفية العلمية التى توافرت للفلكيين حين أسسوا تقنية الرصد اللاسلكى فى بداية الخمسينات.

المجرات الراديوية^(٢) :

بحلول الخمسينات كان الفلكيون فى كمبريدج قد تعرفوا على خمسين مصدراً مشعاً للموجات الكهرومغناطيسية فى الكون. لسوء الحظ فإنه لكون الموجات الراديوية أطول من موجات الضوء، فإن تحديد مصدرها يكون أكثر صعوبة، فالصورة الملتقطة عن طريق هذه الموجات تكون أقل تحديداً لتفاصيلها من الملتقطة بالتصوير الضوئى، وعلى ذلك فإنه كان من الصعب فى الأعوام الأولى للفلك اللاسلكى الحصول على الصور المرئية للمصادر الراديوية. ومع ذلك فإن نظاماً معيناً أمكن تمييزه فى مجرة

(١) التشبيه المقابل لذلك هو أنك حينما تسمع صفارة قطار مقترب منك تجدها حادة، بينما حين يبتعد عنك تسمعها أكثر غلظة، ويقابل اللون الأحمر الموجات الصوتية الغليظة، واللون الأزرق الموجات الصوتية الحادة، حيث إن الطول الموجى للصوت الغليظ أطول من الصوت الحاد، كما أن الطول الموجى للون الأحمر أطول من اللون الأزرق-المترجم

(٢) نقصد بصفة الراديوية تلك التى تشع موجات كهرومغناطيسية فى نطاق تردد الموجات الأكثر طولاً من الضوء (موجات البث الإذاعى والتلفازى)، أما كلمة "الكهرومغناطيسية" فمدلولها أعم، يشمل كل ما يشع موجات كهرومغناطيسية، بما فى ذلك الموجات الأقل طولاً من موجات الضوء، كالأشعة فوق البنفسجية وأشعة إكس وأشعة جاما-المترجم

أندروميديا، أقرب المجرات إلى درب التبانة، وقد كان أخفت مصدر عرف وقتها، وقد افترض الرواد الأول للرصد الراديوى أن الأجرام الأخرى الأشد إشعاعاً هي نجوم أقرب إلينا منه، وأنها موجودة فى مكان ما من درب التبانة.

وقد أثار هذا لغزاً لم يشغل بال أحد إلا نفراً قليلاً ممن انتبهوا له، فمجرة درب التبانة على شكل قرص يشغل حيزاً معيناً من السماء، وتلك النجوم تبدو مبعثرة فى السماء بأكملها. وفى عام ١٩٥١ نشر جولد بحثاً معاصراً للبحث الذى بين فيه أن أى نجم راديوى يجب أن يكون مكتنزاً، قال فيه إن ذلك التوزيع لمصادر البث الراديوى الفلكى يعنى أنها ليست نجومًا على الإطلاق، بل مجرات تقع خارج درب التبانة، على أبعاد سحيقة منها. ولم يؤيد هذا الرأى سوى فرد هويل Fred Hoyle، إذ كان معنى ذلك أنها تبث طاقة تبلغ عدة آلاف المرات أكثر مما قدره العلماء الآخرون، وهو ما لم يتحمّله خيالهم.

وحدثت نقطة الانقلاب فى نفس العام، عندما قام جراهام سميث Graham Smith من كامبردج باختراع تقنية للرصد تسمى "قياس التداخل" interfermetry، وقد استخدمت لتحديد موضع مصدر راديوى قوى للغاية يعرف باسم الدجاجة^(١) Cygnus A. وفى هذه التقنية يتم الرصد من مكانين مختلفين فى آن واحد، فيكون التأثير كما لو كان المرء يستخدم تلسكوباً أقوى مما لديه فعلاً. وقد طوّرت هذه التقنية اليوم بحيث يمكن الرصد من مكانين على طرفى الكرة الأرضية، فتكون النتيجة تلسكوباً بقدر قطرها، ورغم ضعف إمكانيات هذه التقنية وقت ابتكارها إلا أنها أتاحت لوالتر باد ورندلف منكوفسكى Rudelph Minkowski أن يقوموا برصد شكل على هيئة الجرس يقع بكل تأكيد خارج درب التبانة. وقد ظن باد وقتها أنه نتيجة تصادم مجرتين، ولكن الرأى الشائع اليوم أنه مجرة متفجرة، وعلى أى من الرأيين، فعلى الرغم من قوة الدجاجة أ الهائلة فى البث الراديوى، إلا أن إشعاعه الضوئى من الخفوت لدرجة أنه لا يظهر إلا كبقعة صغيرة باهتة فى السماء حتى لأقوى التلسكوبات البصرية، وحين قاس باد وزميله الانزياح الأحمر، ذُهلوا لقيمتها، فقد بلغ ٧,٥ بالمائة، وهى قيمة تعنى أنه على بعد عدة ملايين من السنين الضوئية، بسرعة تباعد recession velocity مذهلة؛ تبلغ

(١) يعنى الاسم أنه أقوى مصدر روقب فى هذا الاتجاه، ولكنه فى الواقع أبعد بكثير من كوكبة الدجاجة

سبعة عشر ألف كيلومتر فى الثانية! كما يبت طاقة راديوية تبلغ عشرة ملايين مرة قدر ما تبثه أندروميديا المجاورة لنا.

وما أن تم التعرف على هذا المصدر الراديوى، حتى تبعتة مصادر أخرى، فقد قام الراصدون فى كمبردج برصد العديد منها، لا تزال مسماة إلى يومنا هذا بأرقام تسلسلها فى قائمة كمبردج، فمثلاً: المصدر 3C 295 هو المصدر رقم ٢٩٥ فى الكتالوج رقم 3C، والذي اكتمل عام ١٩٥٩ ويضم ٤٧١ مصدراً. ويقع المصدر دجاجة أ تحت رقم 3C 405 فى ذلك الكتالوج. وليست كل هذه المصادر محددة كمجرات، فمنها ما يقع بالفعل داخل مجرتنا، مثل السديم السرطاني (3C 144)، والذي يحتوى على نجم نابض.

من أين تحصل هذه المصادر على الطاقة التى تمكنها من بث مثل هذا الكم من الإشعاع؟ لا أحد يعلم على وجه اليقين، ولكن بحثاً للعالم السوفيتى فيتالى جنزبرج Vitali Ginzburg نشر عام ١٩٦١ قد أشار إلى احتمال أن يكون ذلك نتيجة تقلص فى قلب المجرات.

وليس فى هذا ما يدعو للدهشة، عدا المقياس الذى وصفه جنزبرج، فلو أنك ألقيت بصخرة على الأرض، فإنها تكتسب طاقة مع هبوطها وتسارعها (طاقة حركية)، فإذا ارتطمت بالأرض تسبب هذا فى تهيج لذرات الصخرة والأرض معاً، ينتج عنه ارتفاع (طفيف!) فى درجة الحرارة. لقد كانت الصخرة وهى فى يدك مكتسبة طاقة وضع نتيجة الجاذبية الأرضية، تحولت إلى طاقة حركة أثناء سقوطها، وتحولت الأخيرة إلى طاقة حرارية عند ارتطام الصخرة بالأرض. وحين تتقلص سحابة كونية لتصنع نجماً، فإن شيئاً كهذا يحدث ولكن على مقياس أكبر، فتسارع ذرات وجزيئات السحابة الغازية تؤدى إلى تهيجها وهى تتصادم فيما بينها، رافعة درجة حرارة مركز السحابة. إن هذا هو فى الواقع المصدر الأولى للطاقة التى يسمح ببدا الاندماج النووى الذى يحافظ على حرارة النجوم بعد تكونها، وإلى أن يستنفد الوقود النووى. يقول جنزبرج إنك لو أوتيت كمّاً من المادة بضمخامة سحابة كونية فإنه بإمكانك أن تنتج من الطاقة بقدر ما تشاء، ويقدر قوة التجاذب داخل السحابة، يكون سهولة إطلاق الطاقة منها.

وفى خلال أعوام من نشر جنزبرج بأن المجرات الراديوية تحصل على طاقتها بهذه الوسيلة أدرك العلماء أنهم يتعاملون فى بعض الأحيان مع مجالات جاذبية هائلة

بالفعل، لقد بدأ الموضوع باكتشاف ما اعتقد فى البداية أنه مصدر راديوى حقيقى، ثم اتضح أنه شىء لم يتصوره عقل من قبل، ضمن أبعد أجسام مرئية عن الأرض، بعضها يتباعد بسرعة تقترب من تسعين بالمائة من سرعة الضوء، ترى بضوء قد استغرق أكثر من عشرة بلايين من السنين ليصل إلينا، أى خمسة بلايين عام قبل تكون الشمس والأرض.

أشباه النجوم (الكوازارات) :

كانت أول خطوة نحو اكتشاف الأجسام التى تعرف اليوم بأشباه النجوم قد حدثت عام ١٩٦٠ مع اكتشاف المقابل الضوئى optical counterpart لمصدر راديوى آخر، هو 3C 48. بداية استخدم الفلكيون تلسكوباً يحمل أكبر طبق هوائى قابل للتوجيه، وهو التلسكوب الراديوى الشهير المقام فى جوردل بانك Jordell Bank، المرتبط بنظام قياس تداخلى، ليكتشفوا أن الإشارة الراديوية قادمة من مصدر صغير فى السماء، قطره لا يزيد على قوس زاويته أربع ثوان (حجم المريخ حين يكون فى أبعد نقطة عن الأرض)، واستخدم توماس ماثاوز Thomas Matthews من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا هذه المعلومات ليستخدم تلسكوب التداخل المقام فى أونز فالى Owns Vally ليحدد موضع المصدر بأقصى دقة ممكنة، ثم قام زميله ألن سانداج Allen Sandage بالتقاط صورة طويلة الزمن (تسعون دقيقة من تعريض اللوح الفوتوغرافى) من التلسكوب ذى ٢٠٠ بوصة قطراً لتصوير هذا الموقع من السماء، وبين اللوح ما يشبه نجماً أزرق، فى نفس موضع المصدر الراديوى بالضبط.

وأول ما يفعله الفلكيون عند التقاط صورة ضوئية هو تحليل طيفها. وحين فعلوا ذلك مع 3C 48 وجدوه غنياً بالخطوط الطيفية، ولكن بصورة لم تشاهد لأى نجم من قبل، وعلى وجه الخصوص، لم يجد الباحثون أثراً لطيف غاز الهيدروجين، وهو القاسم المشترك فى أطيف كافة النجوم بلا استثناء، إذ لا يخلو نجم من هذا العنصر الأولى.

أعلن سانداج عن الاكتشاف أمام الجمعية الفلكية الأمريكية فى ديسمبر ١٩٦٠، ولكن لما كان عليه هو وزميله من بلبلة بشأنه لم يحاول نشره فى مطبوعات اللقاء، فلم يزد الأمر عن تعليق ظهر فى مجلة Sky and Telescope يقول:

حيث إن المصدر 3C 48 مجهول الهوية، فإن هناك احتمالاً
بعيداً أن يكون مجرة بعيدة، والرأى السائد بين الفلكيين
أنه نجم قريب نسبياً ذو خصائص غريبة.

وظل الإجماع على هذا الرأى حتى عام ١٩٦٢، حين بين مزيد من الأبحاث
فساد ذلك الإجماع. نبعت هذه الأبحاث من فكرة جديدة لتحديد موضع المصادر
الراديوية، وضعها الفلكى البريطانى سيريل هازارد. Syril Hazard، تتأسس
هذه الفكرة على حقيقة حجب القمر للنجوم التى يعبر السماء أمامها خلال حركته،
وقد بين هازارد أن التحديد الدقيق لوقت حجب الموجات الراديوية وعودتها، يجعل
من الممكن - باستخدام حجم القمر- تحديد مواضع هذه المصادر، حقيقة يؤدى
ذلك إلى موضعين محتملين للمصدر، ولكن الفلكى المتمرس يمكنه أن يميز
الموضع الصحيح.

ولكنك لو كنت محظوظاً يمكنك تحقيق ما هو أفضل، فقد استخدم هازارد بالفعل
هذا الأسلوب عام ١٩٦٢ لمصدر راديوى هو 3C 273 لم يكن قد ميز بجسم مرئى بعد،
من المنتظر له حجب قمرى ثلاث مرات، مما يمكنه أن يحدد بصورة تقريبية موضعه،
لذلك استخدم هازارد وزملاؤه فى استراليا تلسكوباً راديوياً حديثاً بمرصد باركز
Parkes لمراقبة حالات الحجب الثلاث، ثم قاموا بالتقاط صورة من تلسكوب ذى قطر
٢٠٠ بوصة بين مرة أخرى ما يمكن أن يعتبر نجماً أزرق، فى نفس موضع المصدر
الراديوى، ولكنه هذه المرة كان ينثث مواداً فى الفضاء.

وكان "النجم" أيضاً يعطى طيفاً غير عادى، ولكن الفلكى الهولندى المولد مارتن
شميدت Maarten Schmidt الذى كان يعمل بكاليفورنيا قدم تعليلاً لذلك؛ فقد ميز بعض
الخطوط على أنها طيف الهيدروجين، ولكن بانزياح أحمر كبير بدرجة غير عادية، قيمته
١٦ بالمائة. ويقبول هذا الرأى، تكون كل مناطق الطيف الأخرى فى مواضع معروفة.
على الفور قام زميله جس جرينتشاين Jesse Greenstein الذى قام بالتقاط طيف 3C 48
فى عام ١٩٦٢ بإلقاء نظرة على المعلومات القديمة، فوجد أن الطيف بالفعل يعانى من
انزياح أحمر، بل أكبر درجة بمراحل من الأول، إذ كانت قيمته ٢٧ بالمائة، وهو ما يقابل
سرعة تباعد ١١٠ ألف كيلومتر فى الثانية، ومسافة عن الأرض تبلغ عدة بلايين
السنوات الضوئية!

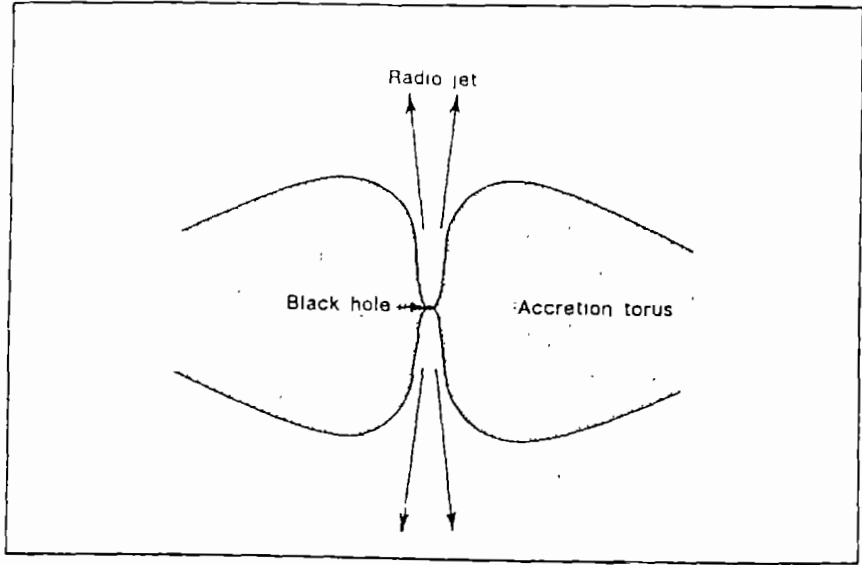
وظهر نبأ اكتشاف 3C 273 من فريق باركنز، وبحث شميدت عن الانزياح الأحمر له، وبحث جرينشتاين عن الانزياح الأحمر لـ 3C 273 كلها عام ١٩٦٣ فى نفس العدد من مجلة Nature. وقد بين شميدت فى بحثه أن تعليل هذا الانزياح الأحمر الهائل يكون إما بتمدد الكون أو بقوة جذب للضوء، ولكنه وصف أحد الأخطاء بأن تعليله عن طريق الانزياح الجذبى هو "من الصعب، بل وقد يكون من المستحيل"، ثم استطرد: "وعلى ذلك فإن التعليل الأكثر قبولاً اليوم هو أنها مجرات فائقة النشاط"، وهو التعليل الذى بقى سائداً إلى ثلاثين عاماً بعد القول به، فإلى اليوم يعتقد أن هذه الأجسام التى تشبه النجوم ولكنها ذات انزياح أحمر هائل، والتى اكتشف المئات منها إلى اليوم، هى على البعد السحيق الذى يبينه انزياحها الأحمر.

المحطات الكونية للطاقة :

أطلق على هذه الأجسام عند اكتشافها وصف quasi-stellar أى "الشبيهة بالنجوم"، ثم اختصر الوصف إلى الاسم الذى يطلق عليها اليوم، "quasars"، ونحن نعرف اليوم، بقدر معرفتنا بأى شئ آخر فى الفلك، أن أشباه النجوم هى قلب لمجرات على أبعاد سحيقة، تنتج كميات هائلة من الطاقة، مئات الأضعاف أو أكثر لمجرة معتادة مثل أندروميديا، مما يجعلها مرئية على هذا البعد الشاسع، على أن التغير فى طاقاتها يجعل حجمها - بنفس المنطق الذى حددت به أحجام النجوم النابضات - لا يزيد عن قطر نظامنا الشمسى، إنها محطات كونية لإنتاج طاقة لا مثيل لها. ولكن كيف لمصدر صغير بهذه الصورة أن ينتج طاقة بهذا القدر؟ لقد افترض فرد هويل وويلى فاوولر أن هذه الطاقة لا تنتج إلا من جسم له كتلة أضعاف كتلة الشمس بمائة مليون ضعف، ينهار إلى قطر شفارتزشلد، وهذا القطر لجسم بهذه الكتلة يبلغ بالفعل قطر نظامنا الشمسى تقريباً، ولكن تطلب الأمر عشر سنوات أخر قبل أن يقتنع الفلكيون بأن أشباه النجوم هى حقيقة ثقوب سوداء جبارة.

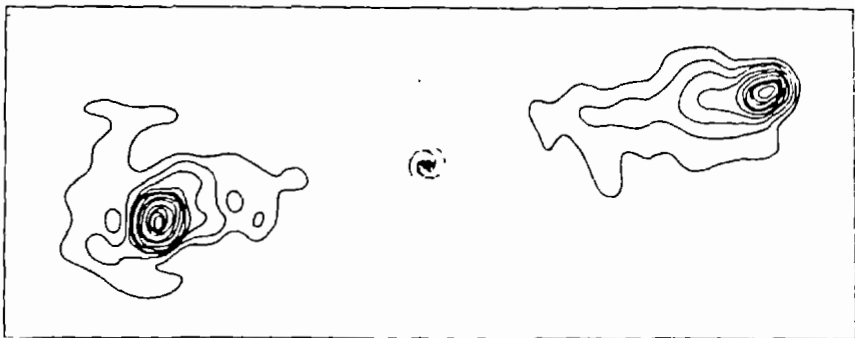
كان هذا جزئياً لسبق اكتشاف أشباه النجوم، أى قبل اكتشاف النجوم النابضات والتى منها عُرِفَت النجوم النيوترونية التى تعتبر إرهابات للثقوب السوداء، وقد طُرِحت خلال الستينات أفكار عديدة عن طريقة إنتاج هذه الأجسام للطاقة، رفضت جميعها. ولكن واحداً منها قدمه الباحثان السوفيتيان ياكوف زل-دوفيتش Yakov Zel'dovich

وإيجور نوفيكوف Igor Novikov صمد أمام اختبار الزمن، فعلى الرغم من إجراء بعض التعديلات عليه، فمضمونه لا يزال سارياً، إنه يعطى صورة لثقب أسود، بكتلة تبلغ مليون مرة قدر كتلة الشمس، يقبع فى قلب مجرة شابة، محاطاً بقرص دوّار من مادة وهو ماض فى التهامها، فكل جرعة يلتهمها تطلق الطاقة الجذبية، وتزيد من درجة حرارة المادة المحيطة. ولكن لكونها محاطة بقرص من المادة، فإن الطاقة من منطقة خارج الثقب الأسود مباشرة سوف تلتوى عند قطبيها، فتطلق غالباً نفاثاً كالذى شوهد من 3C 273. (شكل ٤-١)^(١)، هذا فى الواقع هو نفس طريقة إطلاق النجوم النابضات لطاقتها، ولكن وقتها لم يكن قد سمع أحد بهذا النوع من النجوم.



(شكل ٤-١) قرص المادة يدور حول الثقب الأسود، تاركاً قناتين ضيقتين، عند قطب الثقب، تنفث منه الطاقة والمادة.

(١) يفترض أن تكون المجرة القابع بها الثقب شابة، فانطلاق الضوء منها منذ عدة بلايين من السنين يعنى أنها كانت بالكاد قد تكونت بعد الانفجار العظيم، ومن المنطقى أن نتوقع أنه فى هذه الفترة المبكرة من عمر الكون وجد قدر من المادة يقى بفكرة التهام الثقب الأسود لها. ويبرر ذلك ألا تبدو هذه الظاهرة فى الثقوب السوداء القابعة فى قلب مجرات قريبة منا، أى الحديثة نسبياً فى التكون، حيث لا توجد مادة حرة يستطيع ذلك الوحش التهامها.



(شكل ٤-٢) نفثات من الطاقة مشعة من ثقب أسود هائل الكتلة يمكن أن تفسر سبب وقوع العديد من المجرات في منتصف منطقتين من الشوشرة الراديوية، فهذه الشوشرة قد تكون آتية من منطقة يتفاعل فيها ثقب أسود في موقع متوسط مع غازات الفضاء.

وتوجد خاصيتان مميزتان لهذا الثقب الأسود من وجهة نظر كتابنا هذا. الأولى أنه على ضخامة كتلة هذه الأجسام، فإن كثافتها لا تزيد عن كثافة الشمس، أى أقل من ضعف كثافة الماء، إنها تقريباً نفس الثقب الأسود الذى تحدث عنه ميشيل فى القرن الثامن عشر! الخاصية الثانية التى تدعو للاندهاش أن تحول الطاقة الجذبية إلى هذا القدر من الإشعاع خلال التهام الثقب للمادة لا يحتاج إلا لما قيمته مرتين قدر شمسنا أو ثلاثة، ولما كانت المجرة تحتوى على مادة بقدر عدة ملايين من الشمس، فإن هذا يعنى أن شبه النجم يمكنه أن يظل مطلقاً لهذه الطاقة لملايين السنين.

ولكن الأهم هو أنه لا يوجد تعليل بديل لإنتاج كل هذا الحجم من الطاقة من أشباه النجوم، فوجودها أقوى دليل على وجود الثقوب السوداء، وقد أضحى الاقتناع بوجودها فى قلب المجرات، ومنها مجرتنا، أمراً شبه مجمع عليه من علماء الفلك. الفرق بين الثقب الأسود الخامد فى قلب مجرتنا وذلك القابع فى قلب أشباه النجوم هو أن الأول لا يحتوى على كتلة إلا بقدر مليون شمس (فقط!)، وأنه قد التهم كل المادة المحيطة به، ولم يعد أمامه شئ لالتهامه.

كل هذه الأفكار لم تستقر إلا فى نهاية السبعينات، بل بالنسبة للبعض منها فى نهاية الثمانينات. لماذا كان هذا التأخر، حتى بعد اكتشاف النابضات؟ جزئياً لأن فهم الثقوب السوداء كان لا يزال رهن التطور خلال الستينات والسبعينات (سوف نعرض للأمر بالتفصيل فى الفصل القادم)، ولكن السبب الجوهرى هو أن اكتشاف دليل دامغ على وجودها بكتلة لا تزيد كثيراً عن كتلة الشمس فى قلب درب التبانة لم يتم إلا فى نهاية السبعينات، وعندها اقتنع الجميع أن فكرة الثقوب السوداء فائقة الكتلة تسير فى الخط الصحيح، ولكن الأساس لهذا الاكتشاف يرجع فى الواقع إلى يونيو من عام ١٩٦٢، حين كان هازارد ورفاقه يناضلون لتحديد موضع 3C 273 عن طريق الحجب القمري.

غجوم الإشعاع السيني :

لا يتكون الطيف الكهرومغناطيسى من ضوء وموجات راديوية فقط، بل يتضمن الأشعة تحت الحمراء^(١)، وفوق البنفسجية، والسينية، وأشعة جاما. كلها تطيع قانون ماكسويل فى انطلاقها بسرعة الضوء، على أنه لا يخترق الهواء الجوى من الطيف الكهرومغناطيسى سوى الضوء والأشعة الراديوية، فلرؤية كيف يبدو الكون عن طريق الأشعة الأخرى من الطيف كان على العلماء إطلاق الأجهزة عالياً فوق طبقة الغلاف الجوى، بالبالونات أولاً، ثم بالصواريخ، ثم بالأقمار الصناعية. وفى عام ١٩٤٨ استخدم صاروخ ألماني شهير هو ف-٢، كسبه الحلفاء خلال الحرب، فى رفع أجهزة لرصد الشمس، تبين منها أنها مصدر للأشعة السينية، بالإضافة إلى ما تشعه من ضوء وأشعة راديوية، والأشعة السينية أكثر طاقة من الضوء، لكونها أعلى تردداً (أقصر فى الطول الموجي)^(٢)، والمفروض ألا تشع بغزارة إلا من أجرام أكثر سخونة من الشمس،

(١) تمثل الموجات الراديوية أدنى السلم الطيفى للموجات الكهرومغناطيسية من حيث التردد، وأشعة جاما أعلاه، وبالترتيب الوارد فى المتن (تلاحظ أن التردد عكس الطول الموجي، فأطول الموجات هى الراديوية، وأقصرها هى أشعة جاما)، وننوه هنا بأمرين، الأول أن ما تسمى أشعة كونيّة لا تدخل فى هذا الطيف، لأنها جسيمات وليست موجات، والثانى أنه طبقاً للنظرية الكمية فإن الطاقة التى يحملها شعاع تتناسب طردياً مع تردده-المترجم

(٢) تتبع هذه الحقيقة من النظرية الكمية التى وضعها ماك بلانك عام ١٩٠٠ -المترجم

وقد كان هذا أمراً مستبعداً. ولم يندهش العلماء من أن تشع الشمس هذه الأشعة، خاصة في مواضع البقع الشمسية حيث يكون نشاطها في ذروتها، ولكن إذا كانت النجوم ضعيفة في إشعاعها السيني، فلن يكون هناك أمل من استخدام هذا النوع من الإشعاع في الرصد الفلكي بصورة عملية، ورغم أن أبحاث الإشعاع السيني للشمس كانت على قدم وساق في الخمسينات، إلا أن أحداً لم يتوقع أن يحصل على إشعاع ذي قيمة من أحد الأجرام الأبعد من ذلك في الفضاء، لقد فتح باب الرصد السيني في الواقع عند محاولة تطبيقه على جرم سماوي أقرب من الشمس، ألا وهو القمر.

على أن القمر بطبيعة الحال أبعد من أن يصدر إشعاعاً سينياً خاصاً به، ولكن بعض العلماء ذهبوا إلى أن الرياح الشمسية عند اصطدامها بالقمر قد تستثير جزيئات سطحه فتجعلها تشع هذه الموجات على ترددات تتغير بحسب المواد المستثارة، ولو كان هذا الرأي صحيحاً فسوف يكون مفيداً في معرفة تكوين القمر، عن طريق تقنية تسمى التحليل الطيفي السيني. وأجريت التجربة الأولى في ١٨ يونيو عام ١٩٦٢، ولم توفق، بمعنى عدم الحصول على إشعاع سيني من القمر^(١)، ولكنها كانت فتحاً عظيماً غير متوقع في اتجاه آخر، حين التقطت ذلك الإشعاع قوياً من نقطة معينة في الفضاء.

لم تستغرق الرحلة أكثر من ست دقائق، أحست الأجهزة خلالها بخلفية إشعاعية سينية واهنة من كل أرجاء السماء، ثم إشارة لمصدر واحد على الأقل، ضعيف الإشعاع، من نقطة معينة منها، ولكن الوضاء منها هو الذي أثار الانتباه، لقد بدا أنه بعيد عن النظام الشمسي في أغوار الفضاء، وتأكد ذلك فيما بعد عن طريق إطلاق صاروخي آخر، وأنه يأتي دائماً من نفس الموضع، في كوكبة العقرب scorpion، فسمى Sco X-1 عقرب س - ١ (أي أول مصدر سيني يرى في هذه المنطقة)، إن شئ ما هناك ذا طاقة تسمح ببث هذه الأشعة بغزارة، إنه نجم سيني حقيقي.

ثم توالى اكتشافات النجوم السينية، ولكن لم يعرف أحد في البداية أي نوع من النجوم يمكنه أن يشع هذه الموجات، لقد عانى الرصد السيني في بداية عهده من نفس مشكلة الرصد الراديوي في بدايته، ألا وهي عدم الدقة في تحديد المصدر. كانت هذه

(١) لم ينجح الرصد السيني من القمر في الواقع إلا في نهاية ١٩٩٠، باستخدام أجهزة محملة على قمر صناعي.

المشكلة بالنسبة للرصد الراديوى بسبب طولها الموجى، ولم يكن ذلك إلا بسبب بدائية الأجهزة وضعف تركيزها، الأكثر من ذلك أن الأجهزة كانت متحركة، مما يزيد من صعوبة تحديد موضع الإشعاع بدقة، ومن ثم فقد استعار راصدو الأشعة السينية بعض التقنيات من الرصد الراديوى لى يحدوا موضع مصدر واحد على الأقل، وكان أول ما نجحوا فيه مقترنا بصورته الضوئية هو نجم فى سديم السرطان.

أجريت هذه التجربة فى أبريل من عام ١٩٦٣، وحددت بدقة موضع عقرب س -١، ثم بينت مصدراً خافتاً فى اتجاه سديم السرطان، ولم يستبعد أن يكون ذلك المصدر واقعا بالفعل فى ذلك السديم، فهو قبل أى شىء من بقايا تفجر مستعر أعظم. وقد اقترح هيربرت فريدمان Herbert Friedman من معمل أبحاث البحرية الأمريكية أن يكون الإشعاع صادراً من نجم نيوترونى متخلف عن ذلك الانفجار، وأن النجم عقرب س -١ هو بدوره متخلف عن انفجار مستعر أعظم، وكانت هذه الآراء إحياء لفكرة أن النجوم النيوترونية هى مخلفات الانفجارات للمستعرات العظمى التى قال بها تزفكى وباد منذ ثلاثين عاماً، ولقيت رواجاً باكتشاف النابضات.

كان فريدمان سعيد الحظ، ففى الوقت الذى اكتشف فيه مع زملائه المصدر الذى يظن أنه واقع فى سديم العقرب، كانت تقنية هازارد المبنية على الحجب القمري قد نجحت فى تحديد موضع 3C 273، والأكثر من ذلك أن سديم العقرب يقع فى منطقة جيدة للحجب القمري، ويحدث ذلك مرة كل تسع سنوات، ولكن موعد الحجب التالى كان السابع من يوليو من عام ١٩٦٤، كان أمام فريدمان وقت متاح للتجهيز لرحلة لرصد هذا المصدر خلال الحجب القمري.

ولكن الأمر لم يكن بالبساطة التى توحىها عباراتى، فالرحلة يجب أن تكون من الدقة بحيث تتفق مع مدة الحجب، ومقدارها خمس دقائق، ولم تكن تقنية إطلاق الصواريخ على هذه الدرجة من الدقة، وقد فشلت ست تجارب تمهيدية بسبب عدم دقة أجهزة التحكم، ولكن التجربة الحقيقية أصابت نجاحاً باهراً، وبينت أن المصدر واقع بالفعل فى قلب سديم السرطان، وميزه فريدمان كنجم نيوترونى، ولكن هذه الفكرة لم تُقبل تماماً إلا بعد اكتشاف النجوم النابضات، وحتى بدون ذلك الاكتشاف، فقد بينت التجارب التالية أن الإشعاع السيني مرتبط بنجوم مكتنزة.

محطات الطاقة السماوية :

كانت ثقة فريدمان فى كون أحد مصادر الإشعاع السينى على الأقل هو نجم نيوترونى مؤسسة على كمية الطاقة التى تنتج من هذا النوع من النجوم. فكما بينت سابقاً فإن إلقاء المادة فى مجال جذبى قوى هى طريقة فعالة فى إنتاج الطاقة، فالمادة تتسارع بمعدل كبير، وحين تصطدم بسطح النجم تتحول الطاقة الحركية إلى حرارة، لدرجة تمكنه من إصدار إشعاع يمكن أن يصل فى حالة النجوم النيوترونية إلى الموجات السينية. هذه الحقيقة تُستخلص من المبادئ الأساسية حتى فى عام ١٩٦٤ (إذا كنت تعتقد فى وجود النجوم النيوترونية)، ولكن ما الشواهد التى تؤيد ذلك؟

جاء ذلك بتحديد عقرب س -١ بنجم مرئى، فمع تقدم أجهزة الرصد السينى تمكن الفلكيون من تحديد الموضع بدقة فى مارس من عام ١٩٦٦ مما مكن الراصدين البصريين من رؤيته. وفى يونيو من ذلك العام (قبل عام كامل من اكتشاف النابضات) وجد الفلكيون اليابانيون باستخدام تلسكوب قطر ٢٠٠ بوصة، نجماً فى الموضع المتوقع من ذلك النجم، ووجوه يغير من لمعانه من دقيقة لأخرى بصورة غير عادية، ولكن الأمر الذى بدا غريباً أن إشعاعه من الطيف السينى أغرز من الطيف المرئى، ويبلغ فى مجموعه مائة ألف مرة قدر الإشعاع الكلى للشمس.

يمكن تفسير هذه الخصائص من وميض، وتوهج، وطاقة كلية بخطوة واحدة، إن الأمر يتطلب نظاماً نجمياً ثنائياً، أى نجمين يدور كل واحد منهما حول الآخر. فى هذه الحالة، لو افترضنا أن أحد النجمين مكتنز، وأن الآخر أكبر حجماً وذو جو منتشر، فإن النجم الأول يمكنه اقتناص المادة من الثانى مكوناً القرص الدوامى السابق وصفه، والذى يكتسب حرارة من المجال الجذبى، أى صورة مصغرة من أشباه النجوم، على الرغم من أن نموذج أشباه النجوم لم يكن قد استقر بعد فى أذهان أغلب الفلكيين حتى فى عام ١٩٦٩، فالنجم المكتنز محاط بغاز من البلازما يشع الموجات السينية (مع قليل من الضوء) يتجدد باستمرار بما يأتى من النجم الآخر.

وفى عام ١٩٦٩ كان باستطاعتى أن أفسر تغير الضوء من النجم عقرب س -١ بمدلول تغير درجة حرارة غاز البلازما تحت هذه الظروف، فالوميض يأتى عادةً رتيباً ثم يزداد غزارة إلى أن يتفجر متوهجاً، ويفسر ذلك بجرعة زائدة من المادة الملتزمة، أشبه بناقوس يقرع بمقرعة هائلة.

ويعتمد تذبذب هذا الغاز الحار من البلازما على الظروف الفيزيائية (كدرجة الحرارة والكثافة) وعلى قوة المجال الجذبى الذى يمسك به، وعلى ذلك فقد بين التذبذب فى بلازما عقرب س - ١ مدى المجال الجذبى، ولم تكن النتيجة التى وصلت إليها لتدهش أحداً، فقد بينت أن النجم ليس على شاكلة الشمس، بل على الأقل قزم أبيض، ومن المحتمل أن يكون نجما نيوترونياً.

على أن النظام الثنائى النجمى قد أصبح عنصراً جوهرياً فى الخطوة الحاسمة التالية، والتى حدثت فى السبعينات، ولم تدع شكاً فى أن مصدراً واحداً على الأقل هو ثقب أسود.

المرشح الأفضل :

أخذ الرصد السينى خطوة جبارة بإطلاق القمر الصناعى المخصص لذلك يوم ١٢ ديسمبر عام ١٩٧٠، فبدلاً من رحلة صاروخية لعدة دقائق أصبحت الأجهزة تسمح السماء طالما لديها قدرة على العمل، وطالما أن القمر فى مداره المرسوم، ناهيك عن تطور فى الأجهزة على مدى ثمانى سنوات.

كان أول إطلاق لقمر صناعى للرصد السينى من موضع على شاطئ كينيا على الجانب الشرقى من أفريقيا، إلى الجنوب قليلاً من خط الاستواء، وقد اختير هذا الموقع لأنه بإطلاق الصاروخ منه فى مدار يتجه من الغرب إلى الشرق فإن حركة دوران الأرض سوف تساعد فى عملية الانطلاق، وقد اختير اليوم لكونه يوافق عيد الاستقلال السابع لكينيا عن إنجلترا، وقد أطلق على القمر اسم أوهورو Uhuru، والذى يعنى باللغة السواحلية "الحرية"، وللأسف مغراه أيضاً بالنسبة للفلكيين، فهو قد حرره لأول مرة من التأثير السلبي للغلاف الجوى الأرضى على عمليات الرصد.

ويمكن تشبيه أثر أوهورو فى فترة عمره لثلاث سنوات كما لو أن الأرض قد أحيطت بغلاف كثيف منذ نشأتها إلى يوم ١٢ ديسمبر عام ١٩٧٠، ثم أزيل الغلاف فى ذلك اليوم لتتكشف السماء بنجومها، وقد بين أوهورو أن السماء مغطاة بمصادر للإشعاع السينى، بعضها مرئى والبعض الآخر ليس كذلك، والبعض منها واضح كونه جزءاً من درب التبانة، مثل عقرب س - ١ ومصدر سديم العقرب، والبعض الآخر منتم

لمجرات أكثر بعداً. لقد بدا الكون يموج بالطاقة بصورة لم يتخيلها الفلكيون حتى بعد اكتشاف عقرب س-١، وقد بين أوهورو والأقمار التالية له أن المصادر السينية فى تغير كمثل أول نوع اكتشف منها.

وقصة الفلك بعد ذلك اليوم المشهود تحتاج لعدة كتب لروايتها، وقد كان ذلك بالفعل، ولكنى سوف أركز على مصدر معين من مصادر الإشعاع السيني، ذلك المسمى دجاجة س-١، لكونه أول مصدر اكتشف فى كوكبة الدجاجة.

إن بعض النجوم السينية التى اكتشفها أوهورو والأقمار التى من بعده تعطى نبضاً كالذى تعطيه النابضات، ويفسر ذلك بوران النجم النيوترونى الذى يكسب طاقته من المادة الملتهمه من رفيقه، والسبب فى كوننا لم نر ذلك النبض من عقرب س-١، (وأيضاً الكثير من النابضات) هو أن الأرض لم تقع فى مجال الشعاع "الفنارى" له. على أن النجم دجاجة س-١ لم يكن من النابضات، كما أنه لم يتشابه تماماً مع عقرب س-١، فالتغير الذى يحدث للأول فى إشعاعه أسرع بمراحل من الثانى، مما يدل على أنه فى قبضة مجال جنى غايه فى الشدة، ولما كان عقرب س-١ قد اعتبر نجماً نيوترونياً، فإن الأمر بدا مستغرباً، ومن جهة أخرى فإن سرعة الوميض قد بينت أن النجم غير المرئى لا يتجاوز قطره ٣٠٠ كيلومتر.

ومع دقة تحديد موضع دجاجة س-١ بدأ الرصد البصرى لتحديد موضعه، ولكن للأسف وجدت كثير من النجوم بالقرب من المكان، مما تعذر معه تحديد النجم المقصود، ربما يمكن للرصد الراديوى أن يقدم عوناً، وفى ١٣ مايو ١٩٧١ التقطت أجهزتهم فى مرصد جرين بانك فى وست فرجينيا بالفعل مصدراً راديوياً فى هذا الاتجاه، كما تأيد ذلك من مرصد وستبروك فى هولندا. على أن الأمر العجيب هو أنه حين التقط البث الراديوى انخفض البث السيني لدجاجة س-١ إلى الربع، ولم يكن فى استطاعة أحد إلى الآن تفسير ذلك تماماً، ولكن من المؤكد أن هذا المصدر الراديوى الجديد هو قرين لذلك النجم، وأن طاقته قد تحولت بوسيلة ما من إشعاع سيني إلى راديوى، وقد أعطى راصدو الراديو تقديرين لموقع المصدر، اتفقا سوياً على الموضع الذى حدد له من قبل، وكان ذلك فى كتالوج هارفارد، فأعطى الاسم HDE 226868 .

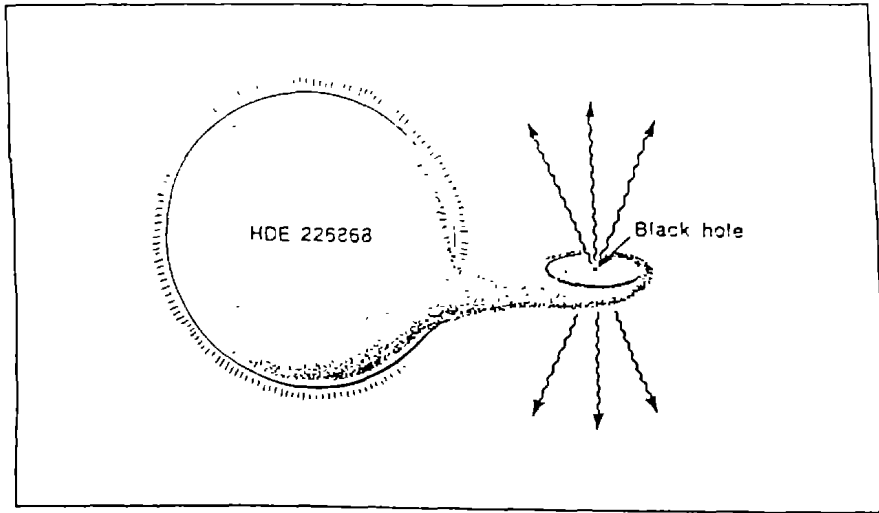
يعتبر هذا النجم من النوع B، أكبر وأشد تضيؤاً من الشمس، عملاق فائق أزرق، ولكنه وقد بدا خافتاً لهذه الدرجة يعنى أنه على بعد سحيق، وسرعان ما وجه الراصدون البصريون مناظيرهم فى ذلك الاتجاه، وما لبث أن وجدوه قريناً لنجم فى نظام ثنائى غير منظور، يدور حوله مرة كل ٦,٥ ساعة.

إن العملاق الأزرق لا يقل حجمه عن ١٢ مرة قدر الشمس، وأغلب هذه النجوم له كتل ٢٠ إلى ٣٠ مرة، وباستخدام قوانين كبلر ونيوتن، يكون القرين ذا حجم يبلغ ثلاثة

أضعاف الشمس، ولو كان النجم HDE 226868 أكثر كتلة، لكان قرينه بالتالى أكبر كتلة ليتمكن من الإمساك به، القرين إذن يبلغ على الأقل ثلاثة أضعاف كتلة الشمس! ولا يمكن أن يكون نجماً وضّاءً، وإلا لكشفت عنه المراصد، بالإضافة إلى أن الوميض يبيّن أن قطره لا يزيد عن ٣٠٠ كيلومتر، لقد تجاوز حد أوبنهايمر- فولكوف. لم يعد من شك فى أن قرين النجم HDE 226868 هو ثقب أسود.

منذ ذلك الحين تواترت الشواهد على أن النجم دجاجة س-١ هو ثقب أسود، من ذلك التحليل الطيفى للنظام وتحليل الحركة المدارية له، وقد وصلت الأبحاث التالية إلى تقدير لكتلة النجم HDE 226868 تبلغ ١٦ مرة قدر الشمس، مما يعنى أن دجاجة س-١ تبلغ سبعة أضعاف كتلة الشمس، مع احتمال أن يبلغ الأول ٢٣ ضعف الشمس، وفى هذه الحالة يكون الثقب الأسود ٢٠ مرة قدر كتلة الشمس.

من الصعب القطع بأمر جرم على بُعد آلاف من السنوات الضوئية، ولكن سوف يظل دجاجة س-١ أفضل نجم مرشح لأن يكون ثقباً أسوداً، ويستدعى ذلك قبول فكرة وجود مئات الملايين منها داخل مجرتنا وحدها، ولو أنه لم يكتشف إلا النزر اليسير منها للآن.



(شكل ٤-٣) على مقياس أصغر من (شكل ٤-٢) بكثير، كان أول ثقب أسود يتم التعرف عليه تفسيراً لمصدر الإشعاع القوى للموجات السينية بالقرب من النجم HDE 226868، الذى ينتزع الثقب الأسود المادة منه مكوناً طبقاً دوامياً تتحول طاقة الجذب فيه إلى أشعة سينية، هذا المصدر يسمى دجاجة س-١.

كم غزير من الاحتمالات :

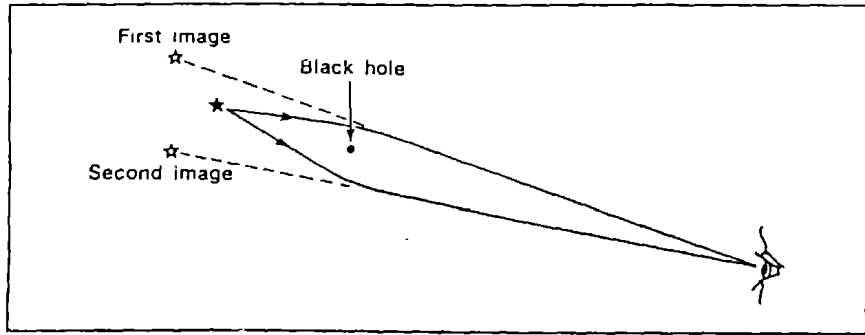
فيما يختص بعام ١٩٩١، وجدت خمس حالات لمصادر الأشعة السينية تعطى دلائل قوية بأن قوة جذب الثقب الأسود تعطى طاقة تكفى لإشعاع هذه الموجات، وفى حالتين من الخمس فإن الدلائل تبين أن المصدر فى نفس قوة دجاجة س-١، وبعد عشرين عاماً من إطلاق أوهورو يشعر المرء بالإحباط أن لم تزد الدلائل عن ذلك، مقارنة بحقيقة أنه منذ اكتشاف أول نابض عام ١٩٦٧ تعرف الفلكيون على خمسمائة نجم نيوترونى. على أن هذه المقارنة غير عادلة، فالنابض لا يشترط أن يكون جزءاً من نظام ثنائى لإمكان التعرف عليه، فالنجم المنفرد منه يمكن التعرف عليه عن طريق إشعاعه الخاص به. ولكن الثقب الأسود المنفرد الذى لا يجد ما يلتهمه يكون له من اسمه نصيب، أسود لا يمكن التعرف عليه. على أن حقيقة أن عدد النجوم المرشحة أن تكون ثقباً سوداء يساوى عدد ما يكتشف من نظم ثنائية من النابضات يوحى أن عدد الثقوب السوداء المنفردة يساوى عدد النابضات المنفردة.

كم يبلغ ذلك؟ يرى معظم الفلكيين أن عدد الخمسمائة نابض المكتشفة ليس إلا قمة جبل الجليد، فالنابض مهما كان الأمر لا يعيش للأبد، فما نراه منها هى النجوم الشابة، أما التى يتقادم بها العمر فتذوى ولا يمكن رؤيتها، إن لدى العلماء فكرة طيبة عن دورة حياة النجوم، وكيف أن عدداً منها ينتهى بانفجار مستعر أعظم كل عدة آلاف من السنين فى مجرة كمجرتنا، تحتوى المجرة على عدة ملايين من النجوم، وقد ظلت عدة آلاف الملايين من السنين، فإذا افترضنا انفجاراً كل ألف عام، كان معنى ذلك حوالى أربعة ملايين نابض ميت بداخل المجرة، ويقترح البعض أن ثلث العدد هو ثقوب سوداء منفردة فى المجرة. لو كان الأمر كذلك، فإن الأقرب منا يكون على مرمى حجر بالمقاييس الفلكية، مجرد خمس عشرة سنة ضوئية، مراوغ يستعصى على الكشف.

وحيث إن مجرتنا لا تتمتع بوضع خاص، فإن نفس الشيء ينطبق على بقية المجرات الكبيرة الحجم كمجرتنا، وقد يرى الفلكى المتحفظ أن القول بأن كل المجرات كبيرة الحجم تحتوى على ثقوب سوداء فائقة الحجم قول ينقصه الدليل، على أن الصور التى التقطها القمر الصناعى فى ١٩٩٠ قد أمدت الفلكيين لأول مرة بتصوير عن السماء من وجهة نظر الأشعة السينية، وصور فوتوغرافية خلال تلسكوبات بصرية. لقد وجد القمر خلال عدة شهور من إطلاقه ٢٤ شبه نجم يصدر الأشعة السينية (أى شبه نجم

يرى بصرياً ويصدر أيضاً أشعة سينية) فى منطقة من السماء لا تزيد عن ثلث درجة مربعة، مما يعنى ٧٢ مصدراً لكل درجة مربعة من السماء، ومن المستحيل تبرير إنتاج هذا الكم من الأشعة السينية بواسطة أشباه نجوم يمكن الإحساس بها على هذا البعد السحيق دون أخذ الثقوب السوداء فى الاعتبار.

وليس معيار الطاقة هو القول الأخير فى الأمر. فقد دهش علماء الفلك لرؤية بعض أشباه النجوم متطابقة فى الشكل، وكان التعليل أن الضوء الآتى منها قد عانى انحناء بسبب جاذبية جرم ما، كما يحدث فى العدسات البصرية. يعرف الفلكيون هذه الظاهرة باسم العدسة الجاذبية (شكل ٤-٤)، تحدث هذه الظاهرة أحياناً بسبب وجود مجرة تعترض مسار الأشعة بين الأرض والمصدر، ولكن فى حالات ثلاث على الأقل لم تشاهد مجرة معترضة، ومن المحتمل، وإن كان من غير المؤكد، أن السبب هو ثقب أسود هائل يبلغ قدر كتلة الشمس عدة آلاف بليون مرة.



(شكل ٤-٤) يمكن أن يقوم الثقب الأسود بعمل عدسة تعطى أكصر من صورة للجرم السماوى

خلاصة القول أن علماء الفلك قد تقبلوا الثقوب السوداء كظاهرة فلكية، كتطور طبيعى لدورة حياة النجوم فائقة الكتلة، كما أنها تلعب دوراً هاماً فى تطور أشباه النجوم والمجرات، لقد قبلوا الفكرة نتيجة الدلائل المتواترة من دراسات أشباه النجوم والنابضات، والنظم السينية الثنائية، والمجرات ذات مراكز الطاقة النشطة. منذ ثلاثين عاماً، قبل أن يكون أى من هذه الظواهر معروفاً، لم يكن أحد من علماء فيزياء الكون

يحمل الفكرة محمل الجد، وخطوة بخطوة أخذ الرياضيون يتابعون التطور منذ بداية الستينات، منقحين ومعدّلين نظرياتهم عن الثقوب السوداء، لكي يفسروا الظواهر الجديدة.

على أن ما فى جعبة أرباب النسبية إلى اليوم يمثل مصدر فزع وعدم ترحيب لدى علماء الفيزياء الفلكية مثلما كان من ثلاثين عاماً بالنسبة لفكرة الثقوب السوداء. ولكن، كما يعترف الراصدون أنفسهم، أنه فى أحلك الأيام قبل التعرف على أول شبه نجم، كان نفر قليل من علماء النسبية منكبين على العمل لصياغة نظرية عن الثقوب السوداء، مثل هذه الأبحاث قد أخذتهم، من الوجهة النظرية على الأقل، إلى حافة الزمن نفسه.

الفصل الخامس

ظلام عند حافة الزمن

نظريات الحافة المظلمة. كيف تعطى الفروض الرياضية تصوراً
جديداً للثقوب السوداء ولوجود الكون. العام الذى فيه أعطى الثقب
الأسود اسمه، وحتمية المفردات *singulariti* لماذا ليس للثقوب
السوداء ملامح، ولكنها تحيل رجال الفضاء إلى اسباجتى. كيف
تمكن هوكنج (بقليل من المساعدة) أن يعطى الثقوب السوداء حرارة.
نزع القناع عن حافة الزمن .

خلال عهود الظلام بالنسبة للثقوب السوداء، فيما بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٦٣، لم يظل
من العلماء على وفائه للقضية إلا نفر قليل، ويعد عمل أوبنهايمر وسنيدر، قبيل تفجر الحرب
العالمية الثانية، لم يحدث تقدم فى فهم معادلة الحالة للمادة المكتنزة إلى ١٩٥٧، على أنه
إلى ذلك الحين كان علماء الفيزياء قد ازدادوا فهماً للقوى الداخلية للذرة، وكذلك وضعت تحت
أيديهم إمكانات لم تتح لغيرهم من قبل، ألا وهى الحاسبات الإلكترونية، وبهايتين الوسيلتين
أمكن لفريق علمى فى جامعة برنستون أن يجروا حسابات حول تصرف النجوم المكتنزة بتفاصيل
أكثر، وكان الفريق بقيادة جون هويلر، المولود فى عام ١٩١١، وكان قد حقق وقتها شهرة
كبيرة فى علم الفيزياء^(١)، فهو قد عمل مع نيلز بور Niels Bohr رائد النظرية الكمية بلا
منازع فى الثلاثينات، وكان فى الأربعينات مشرفاً على الأبحاث ورفيقاً لريتشارد
فايمان Richard Feynman الذى يعد أعظم عالم فيزيائى فى الخمسين عاماً السابقة .

وفى باكورة عمله حول الثقوب السوداء قاد فريق عمل من الفيزيائيين
والحاسوبيين لتناول أعمال تشاندراسيخار عن الأقزام البيضاء، وأعمال أبنهايمر

(١) حصل على جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٦٥ - المترجم .

وفولكوف عن النجوم النيوترونية، ووجدوا العاملين فى إطار واحد، وبينوا أنه لا توجد طريقة لاستقرار نجم بارد تزيد كتلته عن حد معين^(١).

على أنه فى ذلك الوقت كان تفسير هويلر للنتائج شبيهاً بانطباع سير إدينجتون عن عمل تشاندر اسيخار منذ ربع قرن مضى ، لقد افترض أن النجوم بصورة ما سوف تفقد كتلتها ، لتتحاشى ، تخطى الحد الحرج الذى لا يجب أن تتجاوزه لبقائها ، ففى ١٩٥٨ قال فى كلمته أمام المؤتمر العلمى الذى كان يعقد فى بروكسل كل عام تحت اسم مؤتمر سولفاى :

ليس هناك مخرج واضح إلا أن نفترض أن النيوكلونات التى توجد فى قلب كتلة مركزة تركيزاً عالياً تتحلل إلى إشعاع ؛ سواء أكان مغناطيسياً أم جديباً أم على صورة جسيمات ، أو تجمع بين تلك الطرق ، بمعدل يمنع العدد الكلى للنيوكلونات من تخطى قيمة حرجة .

والنيوكلونات هو اسم جامع لجسيمات النواة ، أى النيوترونات والبروتونات ، وعلى ذلك فإن هذه العبارة تنطبق على الأقزام البيضاء والنجوم النيوترونية معاً ، ولم يوافق أو ينهايمر على هذا الرأى ، فانبهرى متسائلاً :

أليس من الأيسر افتراض أن النجوم عندما تتخطى الحد الحرج تنهار تحت وطأة جاذبيتها ؟

ولكن هويلر لم يقتنع ، وظل على أمله فى وسيلة ما تمنع هذا المصير عن النجوم ، وبعد ١٩٥٨ كان مفهوم النجوم النيوترونية يحظى باحترام متزايد ، ولكن فكرة الثقوب السوداء لم تجذب انتباه الفيزيائيين بصورة جدية ، فى الغرب على الأقل ، إلا بعد اكتشاف أشباه النجوم ، حين أدرك الفيزيائيون أن الثقوب السوداء لا تتكون فقط عند كثافات فائقة ، بل يمكن أن تتكون من مواد لها كثافة الماء ، وليس ثمة عملية غريبة تخلص النجوم المهددة بالتحول لثقب أسود من مادتها الزائدة عن الحد اللازم لذلك .

(١) كان هذا بداية مراجعة الحد الذى قال به أوبنهايمر ، والذى تعدل للقيمة الحالية وهى ثلاثة أمثال كتلة الشمس .

والعجيب أن انهيار المادة كان متفهماً فى مراجع الاتحاد السوفيتى منذ الخمسينات ، فقد قُبلت أعمال أوبنهايمر وسنيدر منذ البداية ، وبحلول الستينات كان قد تكوّن جيل كامل من الباحثين مقتنع بهذه الفكرة ، وهذا أحد الأسباب التى تفسر لماذا حين اكتشفت النوايخ وأشباه النجوم كانت الآراء التى أدت إلى فهم هذه الظواهر تأتى فى البداية من الاتحاد السوفيتى ، مثل زل - دوفتش . على أنه قبل اكتشاف أشباه النجوم ، كان هناك تطور أخير فى المواجهة الرياضية التى قدّر لها أن تكون ذات أثر بالغ على أبحاث الثقوب السوداء ، لا يزال أثره يتردد إلى اليوم .

خرائط جديدة للفضاء والزمن :

لقد ساهم هذا التطور فى حل لغز حير الأذهان منذ جاء سفارتزشلد بحله لمعادلة أينشتاين عام ١٩١٦ ، ما هو المضمون الفيزيائى لأفق سفارتزشلد حول الثقب الأسود ، للوهلة الأولى ، خُيّل لعدد من الباحثين أنه حد حقيقى ملموس ، يمثل حداً للفضاء ، فقبل كل شىء سوف يتزايد بطء الزمن مع الاقتراب من ذلك الأفق ، بحيث يتوقف أمامه تماماً ، معنى ذلك أن الاقتراب من أفق الثقب الأسود يتطلب زمناً لا نهائياً ، فلا يمكن بالتالى لجسم أن يعبره .

أو لننظر للأمر بصورة أخرى ؛ إن سرعة الهروب من ذلك الأفق هى سرعة الضوء ، ويعنى ذلك ، بالنظر للمعادلة من الوجهة الأخرى ، أن أى جسم يسقط إلى هذا الأفق من مسافة بعيدة سوف تصل سرعته إلى سرعة الضوء حين يصل إليه ، ومع ذلك فإن التسارع يظل يدفعه لزيادة السرعة ، وحيث إنه من المستحيل أن يتجاوز جسم سرعة الضوء ، فإن ذلك يعنى أن الأجسام تظل تحوم حول الثقب دون أن تتمكن من اختراقه ، بالضبط كما توجد مفردة (نقطة تفرد) فى قلب الثقب الأسود ، وهى منقطة ذات كثافة لا نهائية ، يبدو أنه توجد منطقة تفرد حقيقية حول أفق سفارتزشلد .

ولكن هذا التحليل برمته هو من وجهة نظر مراقب يجلس خارج الثقب ، يراقب الأشياء وهى تهبط إليه ، أما بالنسبة للشخص الهابط ، فإنه لا يرى شيئاً غير عادى عند ذلك الأفق ! فالمعادلة تدلنا على أنه طبقاً لساعة هذا الهابط فإن الوقت المقطوع للسقوط فى الثقب قصير للغاية ، فقط حين يعبر رائد الفضاء هذا الأفق يدرك أنه لن يتاح له أن يرتد للكون ، وأن مصيره للاستمرار فى السقوط للمفردة أمر لا محالة منه .

وبحلول الثلاثينات أدرك الفيزيائيون النسبيون أن سطح سفارتزشلد لا يمثل مفردة حقيقية بالمرّة ، فهو يبدو على هذه الصورة فى حله لمعادلة أينشتاين لأنه اختار هذه الصورة كدالة مسافية ، فالمفردة هى نتاج نظام للإحداثيات من صنع الإنسان يستخدم لقياس الزمكان حول الثقب الأسود ، كما ينتج نظام خطوط الطول والعرض الذى يحدد المكان على سطح الأرض نقاط تفرد عند القطبين ، وليس عندهما أى شىء حقيقى يُظهر أى شذوذ .

فلو أنك قمت برحلة إلى الشمال ، فسوف تنتهى حتماً إلى القطب الشمالى ، وهى النقطة التى لا شمال بعدها ، ولو واصلت رحلتك فى نفس الاتجاه لوجدت نفسك ، طبقاً لاصطلاحنا عن الاتجاهات ، تتجه نحو الجنوب ، ولكنك لا تشعر بأن شيئاً شاذاً قد حدث لك . نفس الأمر ينطبق على عبور أفق الثقب الأسود^(١)، إنك تجد نفسك سائراً فى طريقك نحو مركز الثقب، وليس شيئاً غير عادى قد حدث لك، ولكن قواعد تحديد الزمن والمكان طبقاً لنظرية أينشتاين قد انعكسا. فخارج الأفق يكون المسافر حرّاً (فى حدود معينة) فى التحرك فى المكان، ولكنه بلا جدال محكوم بحركة الزمن فى اتجاه واحد؛ من الماضى إلى المستقبل بمعدل ستين دقيقة كل ساعة، وبمجرد اجتياز الأفق والدخول فى الثقب يكون المسافر حرّاً أن يتجول فى الزمن، ولكنه محكوم بالسير فضائياً فى اتجاه واحد؛ تجاه مركز الثقب .

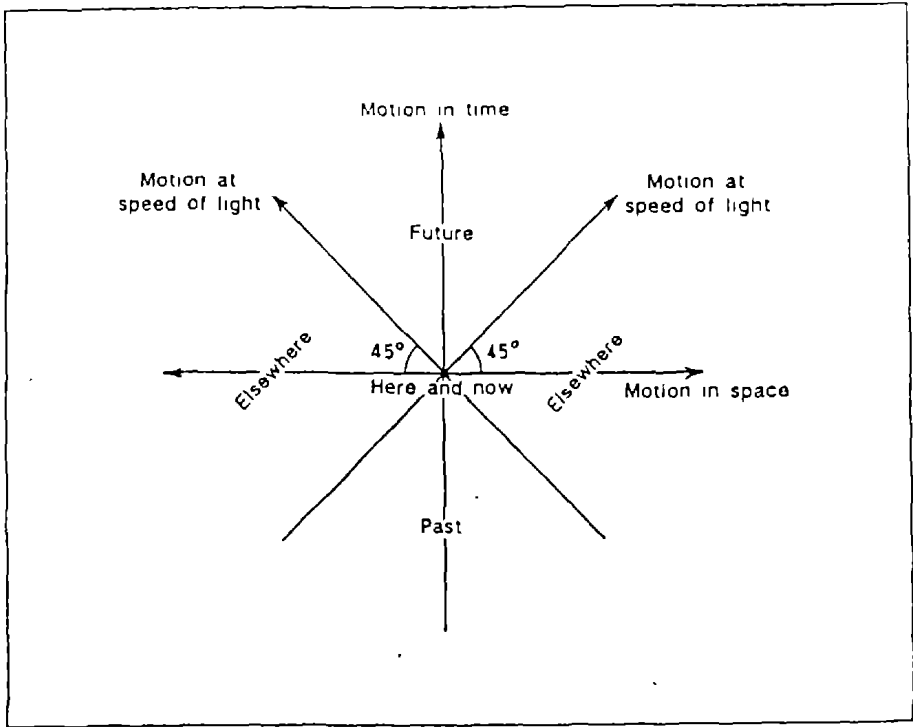
إن الرياضيات هى ما يتأثر عند سطح سفارتزشلد وليست الطبيعة الفيزيائية. وعلى ذلك فكل ما يحتاجه النسبوى هو رياضيات أفضل لوصف ما يحدث، ولكنه أمر أسهل فى القول عنه فى التنفيذ، خاصة آنذاك. لقد اتضح أن سفارتزشلد لم يصل إلى حل واحد لنظرية أينشتاين، بل إلى حلين، شىء يشابه الحل الموجب والحل السالب للجذر التربيعى. فالنظريات التى تصف الانهيار النهائى لجسم يقتحم الثقب الأسود تصف أيضاً، كحل بديل، ما يحدث لجسم يخرج من الثقب الأسود (يطلق عليه أحيانا فى هذه الحالة الثقب الأبيض). يشبه ذلك ما وصل إليه أينشتاين بالنسبة للكون، أحد حلين، إما أن يكون فى حالة تمدد أو انكماش، لكن من المستحيل أن يكون فى حالة ثبات. وعلى ذلك فإن تمدد الكون هو أحد حلين، بالضبط كما أن الثقب الأسود هو أحد حلين .

(١) الاسم الشائع له «أفق الأحداث events horizon» - المترجم

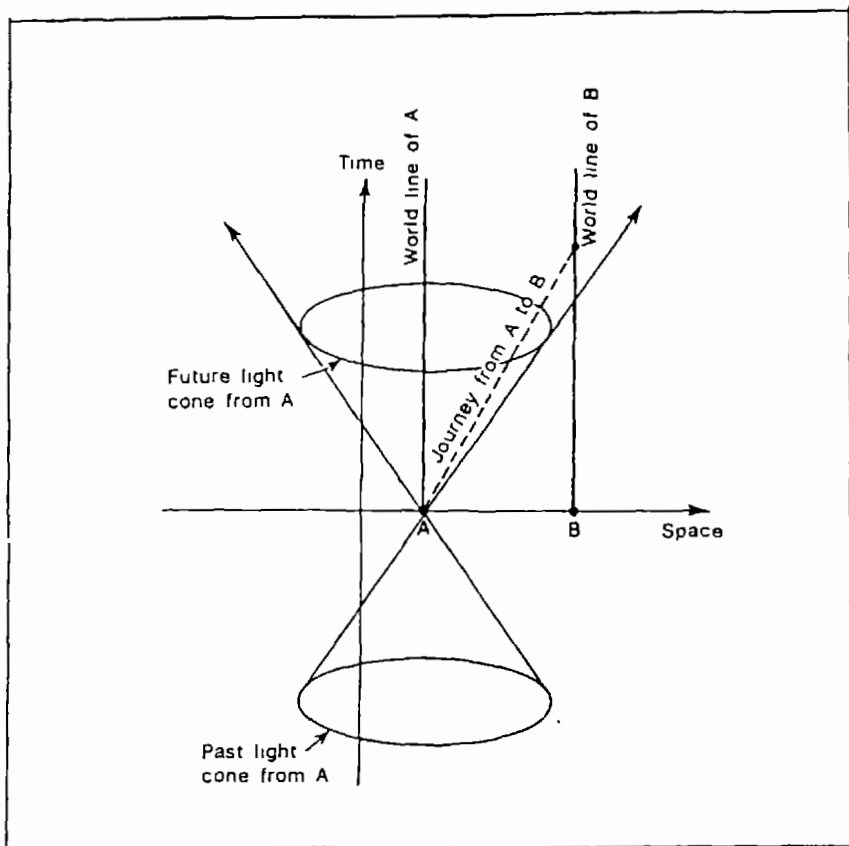
وقد وُضِعَتْ فى الخمسينات وسيلة لحل الموضوع على أساس فيزيائى، مع نظام إحداثيات يُيسّر علينا متابعة ما يجرى، واكتمل هذا العمل فى الستينات، وكان من اتخذ الخطوة الأولى فى هذا الطريق هو مارتين كرسكال Martin Kruskal رفيق هويلر فى برنستون. كان كرسكال متخصصاً فى البلازما، ولكنه كَوْنُ فَرِيْقاً مع زملائه تدارسوا النسبية فيما بينهم بصورة أقرب ما تكون للهواية، وقد توصل كرسكال إلى نظام إحداثيات يمكن فى إطاره أن توصف الثقوب السوداء عن طريق معادلات سلسلة، يتصل فيها الفضاء المسطح على البعد السحيق منه بالفضاء المنحنى بعنف داخله دون أية إشارة لنقطة تفرد (من وجهة نظر معينة يصف هذا النظام الإحداثى الأشياء من وجهة نظر شعاع ضوء مخترق للثقب)، ولكنه حين أطلع هويلر على هذا النظام، لسنوات قبل أن يقوم الأخير بأبحاثه عن النجوم المكتنزة مع هاريسون وواكانو، لم يبد له اهتماماً، فصرف كرسكال عنه النظر ولم يعن بنشره. وفى عام ١٩٥٨ تحقّق هويلر من أهمية بحث كرسكال، وتولى ترويجه فى الأوساط العلمية، على أن كرسكال الذى كان قد انغمس فى دراسات أخرى كان قد فقد الاهتمام بالأمر، ولم يقدّم بنشره رسمياً. وأخيراً قام هويلر بذلك نيابة عنه عام ١٩٦٠ ويعد حين قام روجر بنروز من جامعة أكسفورد بإدخال التعديلات على تمثيل كرسكال لنسيج الكون والزمن مصحوباً بالثقوب السوداء. فبالنسبة للرياضيين فإن "مترى" كرسكال هو مفتاح فهم الثقوب السوداء، أما بالنسبة للفيزيائيين فإن الرؤية الأساسية تتبع من تمثيل تصويرى، يعرف بشكل بنروز .

ينبع ذلك التمثيل التصويرى فى الواقع من رؤية منكوفسكى التى قادت إلى وصف الزمكان المسطح بواسطة أربعة أبعاد، ولكوننا لا يمكننا أن نرسم فى الأبعاد الأربعة، وحيث إن كل بعد من أبعاد الفراغ الثلاثة يتصرف مثل زميليه الآخرين، فإن دارسى النسبية درجوا على تبسيط الفضاء إلى بعد واحد هو البعد الأفقى، واعتبار البعد الزمنى هو البعد الرأسى، ومن ثم يمكنهم أن يصوروا الزمكان كمسطح ثنائى الأبعاد. ويبين شكل (٥-١) هذا التمثيل المبسط لشكل الزمكان (أو شكل منكوفسكى)، هذا الشكل متقدم بدرجة بسيطة عن شكل ٤-٢، وباختيار وحدة البعد الزمنى فيه سنة واحدة، ووحدة البعد الفراغى سنة ضوئية، فإن شعاع الضوء المنطلق من النقطة «أ» يمثل بخط يميل بزاوية ٤٥ درجة. فإذا ما تخيلنا مراقباً جالساً فى حالة سكون عند هذه النقطة، فإن خطه الكونى سوف يكون مستقيماً عمودياً هو محور الزمن (المحور الرأسى)، وبنفس الطريقة فإن مراقباً جالساً فى سكون عند النقطة «ب» يكون خطه الكونى خطاً رأسياً موازياً لمحور الزمن، حيث إن المسافة تكون ثابتة لا تتغير .

فإذا ما تحرك مراقب آخر منطلقاً من النقطة «أ» ، فإن خطه الكوني يمثل بخط مائل، وكلما زادت سرعته زادت زاوية الميل على المحور الرأسى، ولكنها لا يمكن أن تتجاوز الخط الممثل لشعاع الضوء، إذ لا يمكن لسرعته أن تتجاوز سرعة الضوء، لهذا السبب ينقسم الشكل إلى مناطق متاحة (المعرفة بالكلمتين «المستقبل» و«الماضى») وأخرى غير متاحة (معرفة بعبارة «منطقة غير متاحة»).



(شكل ١-٥) شكل متقدم نوعاً ما عن (شكل ٢-٤) ، وهو يربط موضع الأحداث في الزمكان بسرعة الضوء. من نقطة «هنا والآن» يمكن للمرء أن يسافر إلى أى مكان فى المستقبل، ويحصل على معلومات من أى مكان فى الماضى، ولكن يستحيل زيارة أو معرفة أية معلومات عن المنطقة المسماة «منطقة غير متاحة» .

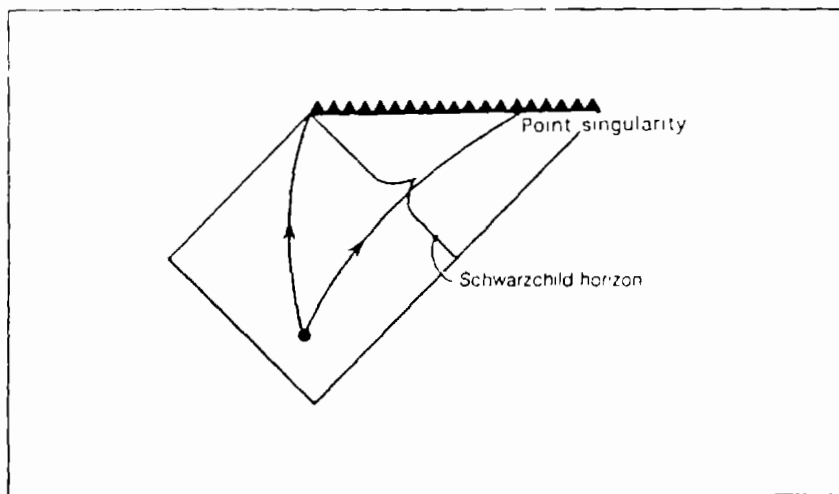


(شكل ٥-٢) من الأفضل في الواقع أن ننظر لمناطق الفضاء والزمن الممكن الوصول إليها من النقطة «هنا والآن» بمعرفة المخروط الضوئي للمستقبل والماضي. من النقطة «أ»، لا يمكن لمراقب أن يعرف أى شيء عن النقطة «ب» إلا عندما تدخل في مخروط بعد حين من الزمن ترتفع خلاله على خطها الكوني .

ويمثل (الشكل ٥-٢) نفس الفكرة بتوسع أكبر، أى على المستوى الفراغى بدلاً من المستوى ثنائى البعدين، فى هذه الحالة تكون المنطقة المتاحة هى فى الواقع المخروطان المكونان من دوران المثلثين المحدودين بشعاعى الضوء حول المحور الرأسى، الأعلى منهما يمثل «المخروط الضوئى للمستقبل» والأسفل المخروط الضوئى للماضى»، إن الحوادث التى تقع خارج هذين المخروطين لا يمكن أن تؤثر فى، أو تتأثر بما يجرى فيهما، إن الزمكان منقسم لا محالة بالنسبة لكل نقطة من نقاطه إلى مستقبل، وماض، ومنطقة غير متاحة .

وفى شكل بنروز، يمثل الزمكان بكل اتساعه (إلى ما لا نهاية) خارج الثقب الأسود فى شكل منكوفسكى بمعين هندسى، حتى يمكن أن تضمه صفحة واحدة. ويمثل ذلك رسم سطح الأرض على خريطة مسطحة فى صفحة واحدة، بواسطة إسقاط مركاتور^(١) المعروف فى رسم الخرائط، ورغم أن هذه الطريقة، مثلها فى ذلك مثل إسقاط مركاتور، تشوه النسب بين المساحات (فيمكن مثلاً أن تكون مساحة الزمكان داخل الثقب الأسود معادلة لبقية الكون)، إلا أن المهم فيها معرفة العلاقات بين أجزاء الزمكان، ما هو متاح وما هو غير متاح بالنسبة لنقطة معينة، مع مراعاة عدم تجاوز سرعة الضوء.

ويبين (شكل ٥-٣) هذه الفكرة، فالكون بأكمله خارج الثقب الأسود ممثل بالشكل المعين، والذي يمثل ضلعه ذو النتوء أفق شفارتزشلد. ويعبر النتوء عن رأس سهم يشير إلى أنه بعد ذلك الأفق لا بد من السير إلى اتجاه المفردة، وهى ممثلة بخط ذى نتوءات من المثلثات السوداء تغطى كل فضاء الثقب فى لحظة ما، إنها تمثل حافة الزمن! فمن اليسير أن نرى أنه لكى نرتد خارجين من مثلث الثقب الأسود إلى شكل المعين الذى يمثل بقية الكون علينا أن نصنع زاوية مع المحور الرأسى تزيد عن ٤٥ درجة، وهو أمر مستحيل كما قدمنا، لأنه يقابل التحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء.

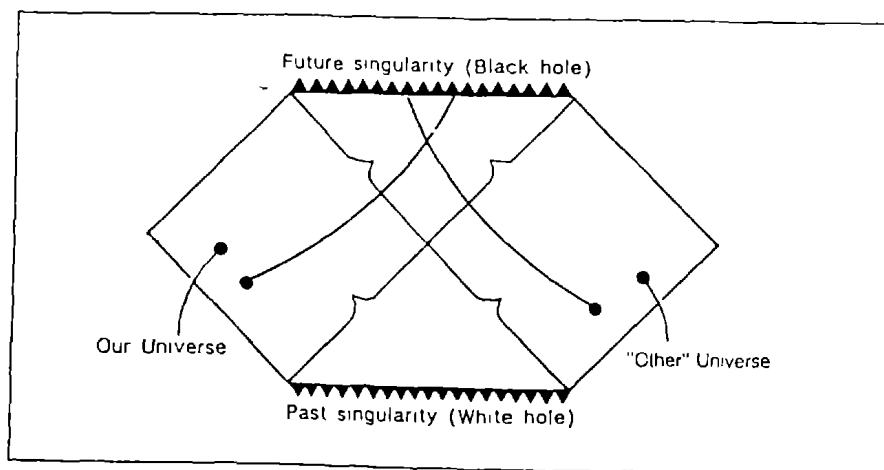


شكل (٥-٣) خريطة للزمكان بأكمله ممثل بالشكل المعين، والثقب الأسود بمثلث محدد بخط مميز بالنتوءات يمثل المفردة، كالاعتاد، يمثل السير فى اتجاه المستقبل بخط متجه لأعلى، والتحرك بسرعة الضوء بخط مائل بزاوية ٥٤ درجة عند أية نقطة. ويعبر رأس السهم فى الضلع المشترك بين المعين والمثلث عن استحالة الارتداد خروجاً من الثقب الأسود.

(١) إسقاط يستخدم فى رسم الخرائط تكون خطوط الطول والعرض فيه خطوطاً رأسية متعامدة، وهو مفيد فى الأعمال الملاحية، وإن كان لا يحافظ على نسب المساحات - المترجم.

على أن هذا يمثل فقط نصف القصة، فإين ما قلناه عن الحل الآخر من المعادلة، ونعني به حل الثقب الأبيض؟ يبين ذلك (شكل ٥-٤) والذي يعتبر الحل الرسومي الكامل لثقب سفارتزشلد، (متضمناً الكون الآخر!)، يبدو في هذا الشكل الثقب الأبيض في حيز الماضي، يمكن منه أن تبعث أشياء لمستقبل أى من الكونين، ولكن أياً من الأشياء فيهما لا يمكن لها أن تلج إليه. ويشارك الكونان في نفس مفردة الثقب الأسود في حيز المستقبل، من المستحيل تماماً أن يجتاز مسافراً الحدود بين الكونين، إذ يقتضى ذلك إما السفر في الماضي، أو السفر بأسرع من سرعة الضوء. ولكن اثنين من المسافرين واحد من كل كون، يمكن أن يتقابلا لفترة ما داخل الثقب الأسود، يتبادلان فيها المعلومات عن رحلتها الانتحارية، قبل أن يفنيا سوياً في مفردته .

فلو أن مصير كوننا الذى ولد لحظة الانفجار العظيم أن يفنى في مفردة ثقب أسود (وهو احتمال له وجهة شديدة قدمت إليه في كتابي «البحث عن الانفجار العظيم In Search of the Big Bang») فإن شكل بنروز يكون تصويراً لدورة حياة كوننا بأكمله ، ويقتضى ذلك أن تؤخذ فكرة الكون الآخر بكل جدية ، حتى ولو كان الاتصال بين الكونين مستحيلاً تماماً من ناحية المبدأ .



(شكل ٥-٤) يتطلب التصوير الكامل لاتصال الثقب الأسود بالكون وجود كون آخر، ومفردة أخرى في حيز الماضي لما يسمى «الثقب الأبيض»، ولكن الاتصال بين الكونين محال لأنه يعنى إما السفر في الماضي أو السفر بأسرع من سرعة الضوء .

هذا عن ثقب أسود بسيط غير دوّار، وهو حل شفارتزشلد لمعادلة أينشتاين، ومن ثم سمي ثقب شفارتزشلد الأسود، ولكن الواقع العملى يبين أن الثقوب السوداء تدور حول نفسها (ومنها ما يدور بأسرع مما تفعل النجوم النابضات)، وسوف نعالج ذلك فى الفصل القادم. وفى البقية الباقية من هذا الفصل سوف أعرض لطريقة تفاعل الثقب الأسود، دوارا وغير دوار، مع الكون بأسره .

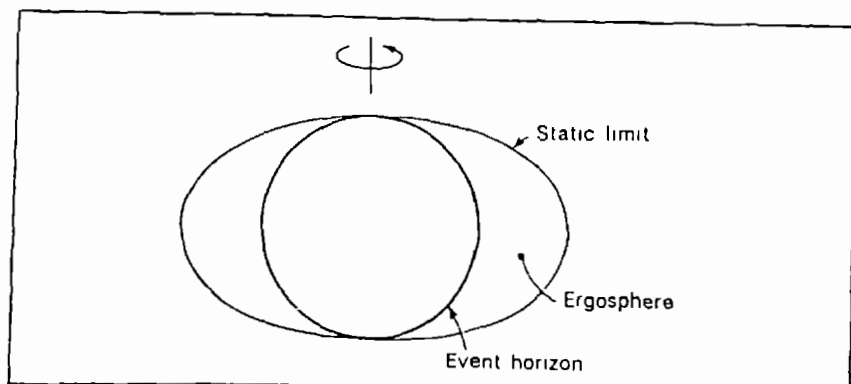
الثقوب السوداء الدوّارة :

تفجرت الحمية لدراسة الثقوب السوداء بعد عام ١٩٦٣ (متضمنا ذلك وضع بنروز للشكل الذى أصبح يعرف باسمه) بسبب أمرين؛ اكتشاف النجوم النابضات، واكتشاف حل أينشتاين الذى يصف الثقوب السوداء الدوّارة حول نفسها، وقبل أن نعرض لشكل بنروز الخاص بهذه الوحوش الجبارة، يجدر بنا أن نلقى نظرة على طبيعتها، وكيف أنها لا تحمل أفقاّ واحداً للأحداث، بل أفقين، وفيها لا تكون المفردة مجرد نقطة، بل حلقة .

وفى حين وضع شفارتزشلد حله المتضمن الثقب الأسود الساكن متعاصراً مع وضع أينشتاين لمعادلته، عام ١٩١٦، تطلب الأمر ٤٧ عاماً قبل أن يضع أحد الحل الذى يتضمن الثقب الأسود الدوار، إن فى هذا دلالة على مدى تعقد معادلة النظرية النسبية العامة، لدرجة أن الرياضيين لم يشعروا حتى هذه اللحظة بالرضا الكامل عن سبر غورها تماماً، وليس من المستبعد أن يحمل المستقبل المزيد من الحلول، مع المزيد من المفاجآت .

إن مكمن الصعوبة فى لغز الثقب الأسود الدوار، والذى وجد حله على يد روى كير Roy Kerr، عالم من نيوزيلندا يعمل بجامعة تكساس، هو أن هذا الثقب يجر الزمكان معه أثناء دورانه. لقد كانت هذه الحقيقة معروفة منذ بعيد، ولكن أحداً قبل كير لم يكن يعرف تماماً آثار هذه الظاهرة، كما تطلب الأمر اثنتى عشرة سنة قبل أن يُثبِت أن حل كير هو الحل الوحيد لهذه الظاهرة، بالضبط كما لم يثبت أن حل شفارتزشلد هو الحل الوحيد الخاص بالثقوب السوداء الساكنة غير المشحونة كهربياً إلا عام ١٩٦٧ (على يد فرنر إسرائيل). إن حل شفارتزشلد هو فى الواقع حل خاص من حل كير، يكون الدوران فيه صفراً .

فلو قدر لك أن تقع فى ثقب أسود دوار من ناحية أحد قطبيه، فلن يُتاح لك أن تحس بآثر دورانه، أما الاقتراب منه من ناحية خط الاستواء فسوف يضيف إلى قوة جذبهِ تدويراً فى نفس اتجاه دورانه. قد تقلح بواسطة صواريخ دفع مركبتك أن تقاوم قوة الجذب، ولكنك ستكون عاجزاً تماماً، ومهما بلغت قوة صواريخك، من مقاومة التدوير. وتعرف المسافة التى يظهر فيها هذا الأثر بالحد الاستاتيكي static limit، وهى تبلغ أقصى مداها عند خط الاستواء، فتراها تحيط بالثقب الأسود على شكل فطيرة منبعجة عند الوسط، كما هو مبين فى (شكل ٥-٥) وتسمى المنطقة المنحصرة بين الحد الاستاتيكي وأفق أحداث الثقب «كرة الطاقة ergosphere» (الأصل للمصطلح اللاتينى هو كلمة ergo ، بمعنى «الشغل الميكانيكى»^(١)) وذلك بسبب خاصية مثيرة اكتشفها بنروز.



(شكل ٥-٥) يقوم الثقب الأسود الدوار بجر الزمكان حوله وتسمى المنطقة المتأثرة بهذا الدوران كرة الطاقة حيث بين بنروز أنه يمكن توليد الطاقة منها .

كان بنروز أحد اللاعبين الرئيسيين فى لعبة الثقوب السوداء منذ مطلع الستينات. وقد ولد عام ١٩٣١، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة كامبردج عام ١٩٥٧ قضى بعدها تسع سنوات فى التدريس فى لندن وكامبردج وبرنستون وسيراكوزة وتكساس قبل أن يستقر فى كلية برُكبيك Birkbeck فى لندن، وفى ١٩٧٣ تحول إلى أوكسفورد

(١) من الممكن على ذلك تسميتها «كرة الشغل الميكانيكى» ولكننا نرى أن المصطلح المقترح فى المتن أفضل من المقابل الحرفى ، ويفى بنفس الغرض تماماً - المترجم .

كأستاذ للرياضيات، تتجاوز اهتماماته بكثير الثقوب السوداء التى هو مشهور بها (البعض من هذه الاهتمامات مذكور فى كتابه الشهير «أباطرة العقل الحديث The Empror's New Mind»). وقد تولدت رؤيته الخاصة عن الثقوب السوداء الدوارة عام ١٩٦٩، حينما بين كيف يمكن لهذه الأشياء أن تستغل كمصدر للطاقة .

فى هذا الوقت كان الباحثون من أمثال بنروز يستخدمون مصطلح الثقوب السوداء بصورة مستقرة، وكان أول من استخدم هذا المصطلح كتعبير عن النجوم المنهارة هو جون هويلر عام ١٩٦٧، فى البداية مع زملائه بصورة غير رسمية، ثم أعلنه على الملأ فى اجتماع عقد بالجمعية الأمريكية للعلوم المتقدمة بنيويورك فى ٢٩ ديسمبر من نفس العام. وفى الشهر التالى ظهر فى مجلة American Scientist، وبعدها كتب له الذبوع مفضلاً على مصطلحات أخرى مثل «النجوم المتجمدة frozen stars» و«المنهارات (على غرار النابضات) colapsars يقول هويلر فى كتابه "رحلة فى داخل الجاذبية والزمان A Journey into Gravity and Spacetime» : «كان تقديم مصطلح الثقوب السوداء شيئاً غير ذى بال كمصطلح جديد، ولكن كان له وقع نفسى هام، فبعده أصبح الفلكيون والفيزيو - فلكيون أكثر تقبلاً لفكرة أنها ليست محض خيال، ولكنها أجرام سماوية تستحق بذل الجهد والمال فى البحث عنها» .

ولم يكن بنروز من بين هؤلاء، لقد كان مفتوناً بالفعل بهذه الأجرام، وليس بحاجة إلى تحفيز جديد لدراساتها، وهو يقول إن فكرة استخلاص الطاقة من الثقب الأسود قد واثته بينما هو مستقل القطار فى طريقه للقاء طلبته فى لندن، منهمكا فى التفكير عن شىء جديد يقوله عن هذه الأجرام. فى عملية بنروز يسقط جسم داخل كرة الطاقة، حيث ينقسم إلى قسمين، يتجه أحدهما إلى أفق الأحداث، ولكن فى اتجاه ضد حركة دوران الثقب، الجزء الثانى يتجه بعيداً عن كرة الطاقة، وتكون حركة دورانه مع الثقب، ولكن بسرعة أكبر مما كان للجسم الأصلى، ذلك لأنه قد تلقى دفعة من جذب الثقب للفضاء المحيط به. ويمكن تصور تلك الدفعة على الجزء الثانى بأنه رد فعل من الجزء الأول، ذلك الذى اندفع إلى داخل الثقب، مثلما يتلقى كتف ضارب النار دفعة مضادة بعد إطلاقه القذيفة .

وبتقدير دقيق للأمور؛ مسار الجسم الساقط فى الثقب، وزمن الانقسام، فإن الجزء المبتعد عن كرة الطاقة سيحمل طاقة فائضة، اكتسبها من دوران الثقب، فى نفس

الوقت سوف تقل سرعة دوران الثقب شيئاً طفيفاً بسبب هذه الطاقة المسروقة منه، والتي تعتبر بمثابة ثمن للجزء الذى ابتلعه من المادة، والواقع إن كتلة الثقب ذاتها تقل شيئاً طفيفاً، إذ تحول جزء منها إلى طاقة اقتنصها الجزء المبتعد .

يمكن تفسير ذلك على ضوء طاقة الحركة لجسم داخل كرة الطاقة، فبالنسبة لجسم ثابت فى الفضاء خارج الأرض أو الشمس (ربما عن طريق صواريخ دفع تثبته فى الفضاء)، تكون طاقة حركته صفراً، هذا ما تقول به الحقيقة البديهية . ولكن، كن حذراً عند تطبيق البديهيات فيما يتعلق بالثقب الأسود، ففى كرة الطاقة يجب على الجسم أن يدور فى اتجاه مضاد لدوران الفضاء حول الثقب بسرعة معينة، حتى يمكنه أن يثبت وتكون طاقة حركته صفراً، فإذا ما دار الجسم بأكبر من تلك السرعة، فإنه لن يكتسب طاقة حركة من تحركه، بل سيفقد مثل هذه الطاقة، أو لنقل إنه يكتسب فى هذه الحالة طاقة حركة سالبة! هذه الإضافة للطاقة السالبة (والتي تعادل نقص الطاقة الموجبة) هى ما تجعل الثقب يفقد قدرأً من كتلته، حيث إن مجموع الطاقة مع الكتلة يجب أن يظل ثابتاً. ولا ننس أن الجزء المفقود من الطاقة يتعادل مع الجزء المقتنص منها بواسطة الجسم المبتعد عن الثقب .

وفى نفس الوقت فقد اتضح أنه مهما أضيف من كتلة للثقب الأسود فإن مجموع الكتلة مع عزم الدوران (مقدار مرتبط بسرعة دورانه) يظل أيضاً ثابتاً، هذه الظاهرة تعتبر من أهم الاكتشافات عن الثقوب السوداء. جاء هذا الكشف عام ١٩٧٠ على يد باحث من برنستون ، يدعى ديمتريوس كرستودولوس Demetrios Christodoulou ، وقد توصل إليه بمتابعة فكرة استغلال الطاقة من الثقب الأسود التى قال بها بنروز، وعلى نفس الدرب جاءت فكرة لا تقل أهمية عن الثقوب السوداء، وهى مساحة أفق الأحداث لا يمكن أن تتناقص، فهى إما أن تزيد أو تظل ثابتة. وينسب الفضل فى هذا الكشف الذى جاء فى السبعينات إلى ستيفن هوكنج، وسوف نعرض له فيما بعد .

وليست طريقة بنروز فى استخلاص الطاقة بالتي تفيد البشر حالياً، حتى لو تمكنا من العثور على ثقب أسود دوار، ولكنها على الأقل قد تعطى وسيلة لتعليل انفجارات الطاقة الهائلة من أشباه النجوم، ولكنى لا أستطيع أن أقاوم إغراء الإشارة لتنبؤ آخر لا يقل غرابة، وإن كان غير عملى، عن إمكانية استغلال طاقة الثقب الأسود الدوار فى تكبير الضوء، بما يحوله إلى قنبلة لثقب أسود، ففى بداية السبعينات بين بعض الفيزيائيين أن نفس الظاهرة التى قال بها بنروز عن طاقة الثقب الأسود يمكن أن تؤثر على طاقة شعاع الضوء الذى يخترق كرة الطاقة، وأطلقوا على هذه العملية "التشتت

فائق الإشعاع *superradiant scattering* . فلو تخيلنا أن الثقب الأسود قد أحيط بكرة سطحها الداخلي عبارة عن مرآة، وبها ثقب صغير يمر منه شعاع ضوء ضئيل للغاية، فإنه عند اختراقه كرة الطاقة سوف يُكَبَّرُ، ثم ينعكس على سطح المرآة فيُكَبَّرُ مرة أخرى، وهكذا يزداد قوّة مع كل ارتداد، فإذا كان ثقب الكرة المرآوية لا يزال مفتوحاً، فإن الشعاع سوف يخرج منها مُكَبَّرًا عدة مرات. ولكن لو تخيلنا أنه قد أُغلق، فإن عملية التكبير سوف تتصاعد إلى أن تنفجر تلك الكرة على شكل قبلة، صنعها الثقب الأسود .

وإذا ما كانت هذه التخيّلات مثيرة للدهشة، فإن الأكثر إدهاشاً هو ما يحدث داخل أفق الأحداث، فما المقصود بالمفردة حقاً؟ هل هذه الأشياء الغامضة ضرورة حتمية، حتى مع اختبائها داخل أفق الأحداث؟ وهل ثمة احتمال أن توجد دون الاختباء تحت عباءة هذا الأفق، فتتعامل مباشرة مع الكون الرحيب؟ لقد وجه بنروز اهتمامه إلى هذه التساؤلات قبل أن يفكر في مسألة طاقة الثقب الأسود، بادئاً بموضوع حتمية المفردة لنظرية النسبية العامة .

قاعدة المفردات :

إذا تصورت أن الثقب الأسود هو نتيجة انهيار نجم في نهاية حياته، تبلغ كثافة المادة فيه أكبر من كثافتها داخل نواة الذرة، فإن فكرة تكون المفردة في قلبه لن تكون بمثابة شطحة من خيال، حتى وإن وجدها إيدنجتون مفزعة، واستغرق هويلر عدة أعوام محاولاً تحاشيها. فطالما أننا نتعامل مع أمور غير مألوفة لنا على سطح الأرض، يجب ألا ندهش حين نتنبأ المعادلات بظواهر غريبة وشاذة، ولكن حين نتحدث عن ثقب أسود في حجم النظام الشمسي، تبلغ كتلته عدة ملايين من الشمس مثل شمسنا، ولكن كثافة المادة فيه أقل قليلاً من كثافة الماء، فإن فكرة وجود المفردة في قلبه تثير التساؤل. هل يمكن لكرة من الماء - بصرف النظر عن كمية هذا الماء - أن تضم مفردة في داخلها؟ لو أن لدينا كرة ضخمة من الماء طافية في الفضاء، أقل قليلاً من أن تكون ثقباً أسوداً، ثم أضفت إليها عدة قطرات من الماء لكي تصل للحد المطلوب، فهل يتصور أن تتكون المفردة لمجرد إضافة هذه القطرات ؟

يبدو الافتراض غير معقول ، ولكن تذكر أن كون الكثافة المتوسطة قريبة من الماء لا يعنى أن الكرة مكونة فعلاً من الماء، فكتلة تبلغ عدة ملايين من الشمس في حين لا يزيد عن نظامنا الشمسي سوف تنهار سريعاً تحت وطأة جاذبيتها، بصرف النظر عن

المادة التى هى مكونة منها . إن ما نقوله لنا المعادلة هو أن الثقب الأسود مكونٌ من أفق الأحداث، ومفردة، ولا شئ البتة بينهما . من الخارج، يمكن للمراقب أن يقيس كتلة الثقب من قوة جذبهِ، وسرعة دورانه، وشحنته إن كان مشحوناً، وهذا كل ما فى الأمر . ليس ثمة طريقة لمعرفة ما كانت عليه المادة التى ابتلعها الثقب قبل أن تدخل أفق الأحداث، أو التمييز بين ثقب مكونٌ من مادة نجمية وبين المكونٌ من أى شئ آخر، وقد عبّر علماء النسبية عن هذه الحقيقة بعبارة أن «الثقب الأسود ليس له ملامح»^(١)، والتى أطلقها هويلر وكب ثورن فى بداية السبعينات .

ولكن لدينا ما يُميز ثقباً أسوداً مكتنزاً عن آخر ضخّم الكتلة قليل الكثافة، على الأقل من وجهة نظر مراقب من الخارج، وأوضح مثال فى ذلك هو مصير مسافر جسر يغامر بالاقتراب من أفق الأحداث أو حتى اجتيازه . لقد تحدثنا إلى الآن بسرعة عن شخص يقوم بمثل هذه الرحلة، وما يمكن أن يراه خلالها، دون ذكر ما يمكن أن يحدث له بسبب الجاذبية والقوى المدية^(٢) التى يصادفها . فالمسافر الذى يسقط حراً بقدميه تجاه الثقب، لن يشعر بطبيعة الحال بأى وزن، ولكن لأن قدميه أقرب من رأسه للثقب فإنها سوف تكون تحت وطأة جذب أكبر، فيعانى من مط فى اتجاه مركز الثقب . ومن جهة أخرى، فلأن كل شئ يجذب لنقطة معينة، فإن الهابط سوف يتلوى حول نفسه، هذا المط مع التلوى (يسمى ذلك بعملية «المكرنة الاسباجتية» spaghetti) يشبه ما يحدث للمياه على سطح الأرض من اضطراب نتيجة قوى المدية (المد والجزر) بفعل جاذبية القمر أو الشمس .

بالنسبة لثقب أسود يزيد عن كتلة الشمس قليلا تكون القوى المدية متطرفة للغاية، ولثقب أسود بكتلة عشرة أضعاف كتلة الشمس (وعلى ذلك بقطر شفارتزشلد لا يزيد عن ٣٠ كيلو متراً) تكون القوى المدية عشرة أضعاف ما على سطح الأرض، وسوف يصادف المسافر هذا التأثير وهو على بعد ٣٠٠٠ كيلو متراً من الثقب، وقد لا يكون قد انتبه بعد لتمييزه بين نجوم السماء . فقبل أن يكون هذا المسافر سئ الحظ قد اقترب من الثقب بدرجة كبيرة، يكون قد عانى من عملية المكرنة المذكورة آنفاً بحيث لن يكون فى حالة تسمح له بمعرفة ما يحدث بعد ذلك .

(١) المقابل الوارد فى المتن لهذا التعبير هو A black hole has no hair - المترجم .

(٢) القوى الناشئة عن جذب جرم سماوى لما حوله ، تشبيهاً بقوة المد التى يمارسها القمر أو الشمس على المياه فى الأرض - المترجم .

ولكن بالنسبة للثقوب هائلة الكتلة قليلة الكثافة فإن الأمر يختلف، لن يعاني المسافر عند اقترابه من أفق الأحداث أكثر مما يعانيه مسافر عند الإقلاع فى طائرة، يمكن للمسافر الجسور فى هذه الحالة أن يظل على قيد الحياة ليدرس ما بداخل الثقب، ولكن ذلك لن يكون سوى مضيعة للوقت، إذ إنه فى خلال عدة دقائق سيكون غائصاً فى المفردة، ومن ثم يتعرض لنفس عملية المكينة، ولكن داخل الأفق هذه المرة وليس خارجه، على الأقل سوف يعاني من ذلك لو أن بداخل الثقب مفردة حقاً، فهل نحن متأكدون من ذلك ؟

فى الواقع نحن متأكدون، لقد أثبت بنروز ذلك، ونشر إثباته فى وقت يعود لعام ١٩٦٥، وذلك بحساب الطريقة التى تشوه بها الجاذبية داخل الثقب مخروط الضوء لأية نقطة فيه، فبالنسبة لثقب هائل الكتلة مكون من مادة متماثلة فى كافة الاتجاهات، فإن الموقف ليس إلا انهياراً نجمياً ولكن على درجة أشد، ويمكن اعتبار تكون المفردة أمراً منطقياً. ولكن بنروز أراد أن يبحث إذا كانت المفردة واجبة التكون لو أن السحابة التى تكون منها الثقب الأسود فائق الكتلة لم تكن على شكل كرة متماثلة. لنفرض أن الثقب قد تكون بالفعل من مائة مليون من الأجرام التى تعادل الشمس فى كتلتها، تساقطت معاً بطريقة معقدة ومشوشة، هل هناك احتمال أن تغوص الجزيئات التى تتكون منها هذه الأجرام إلى قلب السحابة دون أن تتصادم، ثم تندفع بعيداً عنه كما يقترب المذنب من الشمس ثم يبتعد عنها؟ فى هذه الحالة سوف تكون الكثافة عند القلب عالية جداً، ولكنها لن تصل إلى ما لا نهاية .

تصور معقول، ولكن بحث حالة مخروط الضوء داخل الثقب بدده سدى. فمخروط الضوء الذى سبق لى أن شرحته والذى له جوانب مستقيمة يختص بالفضاء المسطح، ولكننا نعرف من أعمال أينشتاين أن الجاذبية تحنى الفضاء بحيث يأخذ الضوء خطأ يمثل الجيوديسى للفضاء المنحنى، فأشعة الضوء الصادرة من نقطة ما سوف تنتشر متباعدة، ولكن الانحناء سوف يعمل كعدسة تجعلها تتقارب مرة أخرى، وإذا كانت الجاذبية بالقدر الكافى، فإن الأشعة سوف تتجمع فى نقطة، سوف يحدث ذلك لأية نقطة داخل الثقب، أمر محتم، وإلا تمكن الضوء من الفرار من الثقب. ولقد بين بنروز أن الحالة ما دامت كذلك، فإن النظرية النسبية العامة تحتم وجود نقطة تفرد داخل الثقب، وليس من المحتم أن تكون من نفس المفردة التى نحصل عليها من انهيار متناسق سلس لنجم كروى متماثل التكوين، ولكن، وكما بين بنروز فى مقابلة إذاعية

عام ١٩٧٣، «سوف تصل القوى المدية إلى ما لا نهاية، محدثة منطقة من الزمكان تقوم فيها الجاذبية باعتصار كل ذرة مادية وفوتون ضوئي إلى الفناء بالمعنى الحرفي» .

وتلقف الفكرة باحث في كمبردج عام ١٩٦٥ ، هو ستيفن هوكنج، لقد بين بنروز أن أى جرم ينهار بفعل الجاذبية لابد أن يكون مفردة، وقد أدرك هوكنج أنه بأخذ المعادلات من الجانب المقابل فمن المحتمل إمكان إثبات أن الكون المتمدد قد تولد من مفردة، وقد قضى عدة سنوات يعالج الرياضيات المتعلقة بالفكرة، بالتعاون مع بنروز، ثم نشرنا بحثاً مشتركاً بيننا فيه أنه بفرض صحة النظرية النسبية العامة، فإن الكون لابد أن يكون قد نتج من انفجار عظيم لمفردة، وبهذا الإنجاز الذى خلفه وراء ظهره، كان هوكنج - أكثر من أى شخص آخر - من قاد مسيرة الأبحاث النظرية والمثيرة للثقوب السوداء منذ بداية السبعينات، جنباً إلى جنب مع أبحاث النجوم السينية التى لم تكن أقل إثارة، وكان أكثر اكتشافاته شهرة هو انفجار الثقوب السوداء، وهو كشف يستدعى فرضاً يود كل الفيزيائيين من صميم قلوبهم لو يتحقق، ولكن ليس له إلى الآن أية شواهد على ذلك .

هزيمة الرقيب الكونى :

إن إثبات بنروز لوجود مفردة وراء كل أفق للأحداث لم يكن مزعجاً بدرجة كبيرة، حتى مع العلم بأن المفردة، بحكم تعريفها، موضع تتحطم فيه كل القوانين الفيزيائية، ويمكن لأى شئ أن يحدث فيها، ولكن الأمر المهم هو لو وجدت مفردة ليست متدثرة بأفق أحداث، ليس لأن هذه المفردة يمكن أن تكون مصدر قوة جاذبية هائلة، تقتنص أى شئ فى قبضتها، بل لأنها وقد تحطمت عندها قوانين الفيزياء سوف تتحدى الجاذبية ذاتها، فتطلق طاقة هائلة فى الكون. إنها فى الواقع ستتنصرف كثقب أبيض أكثر من كونها ثقباً أسوداً. والأسوء من ذلك، أن هذه الطاقة يمكن أن تكون على أية صورة، كما بين هوكنج وآخرون. ولكن الأمر الأكثر توقعاً أن تكون على صورة مكونات للمادة، بروتونات ونيوترونات، ولكن ما ينتج عن المفردة العارية يكون عشوائياً تماماً، وبالتالي توجد إمكانية، وإن كانت ضئيلة، أن تطلق واحدة منها مبنى مشابهاً لتاج محل .

وليس الفيزيائيون سعداء بهذه الرؤية، فما دام قد أثبت أنه لا يوجد أفق أحداث دون مفردة، فإن بنروز يفترض أنه لا يمكن أن توجد مفردة دون أفق أحداث. بدا

الافتراض شيقاً وجذاباً، وأطلق عليه «فرضية الرقابة الكونية Cosmic Censorship Hypothesis»، وللأسف لم يتمكن أحد من إثبات هذه الفرضية، بل إن فكرة أن الكون قد نشأ من انفجار مفردة تميل لدحض هذه الفرضية، وفي التسعينات جاءت شواهد أكثر عن هذه الظاهرة من الماثلات الحاسوبية التي بينت كيفية انهيار الأجرام غير الكروية.

والمفردة تُفهم في هذا السياق على أنها الموضع الذي تبلغ الجاذبية والكثافة فيه مالا نهاية، وليس من الضروري أن تكون نقطة هندسية، فقد تكون خطأ مستقيماً أو صفحةً مستوية. وقد اقترح كِب ثورن من كالتك CalTec عام ١٩٧٢ ألا يتكون ثقب ذو أفق إلا عن طريق الانهيار المتماثل، ويعتبر ثورن من القلة المتخصصة في الثقوب السوداء، وهو مولود عام ١٩٤٠، وحصل على درجة البكالوريوس عام ١٩٦٢ من كالتك، ثم الدكتوراه عام ١٩٦٥ من برنستون، ظاهراً على المسرح في نفس التوقيت الذي ثار فيه الاهتمام بانهيار النجوم، وقد عمل أستاذاً في كالتك، وكان على صلة وثيقة بهويلر.

كان اقتراح ثورن يماثل قوله بأنه مهما كان شكل الجرم المنهار، فإنه سوف يتحول إلى ثقب أسود فقط لو أنه اجتاز طوقاً تخيلياً ذا قطر محدد، وعرف ذلك بـ «تصور الطوق hoop conjecture». وفي عام ١٩٩٠ قام ستيوارت شابيرو Stuart Shapiro وسول تيوكولسكي Saul Teukolsky من جامعة كورنل في نيويورك بتمثيل عملية الانهيار حاسوبياً، وأثبتا بذلك صحة فرض ثورن، وأن الرقابة الكونية يمكن أن تُخترق.

وقد حسب العالمان تأثير انهيار أجرام شبه كروية ؛ كرة منبعجة بعض الشيء كالارض، أو جرم على هيئة سيجار، وأشياء مماثلة، إن الأجرام شبه الكروية المكدسة تنهار بالفعل إلى ثقوب سوداء مهما كان شكلها، فهي لصغرها قادرة في كل اتجاه على اجتياز الطوق ذي القطر المقابل لقطر شفارتزشلد، ولكن الحالة ليست كذلك مع الأجرام شبه الكروية الكبيرة .

فالجرم الذي على هيئة السيجار ينهار إلى شكل مغزلي، تمتد المفردة بداخله مستقيمة كشوكة تصل ما بين القطبين، والجرم على هيئة الكرة المنبعجة ينهار إلى شكل فطيري، ولكنه يتجاوز ذلك، متخذاً شكل السيجار، ثم إلى شكل قضيب مستدق، وفي كلتا الحالتين تمتد المفردة فيما يجاوز الطوق المفترض امتداداً شاسعاً، ومن ثم لا يوجد أفق يحجبها عن بقية الكون .

لقد بُنيت الحسابات أخذة في الاعتبار النظرية النسبية العامة، وبينت أن المفردات القضيبية العارية عن الأفق يمكن أن تحدث في الكون، على أنها ليست إلا تمثيلاً حاسوبيًا، ومن الجائز أن يكون قد فاتته شيء ما، وأن كافة الأجرام حين تنهار تخفى مفردتها وراء أفق أحداث، ولكن حتى لو كان هذا صحيحاً، فإن بحث هوكنج الشهير قد بين أن هذا الإخفاء لن يدوم للأبد، وأنه يوماً ما سوف تعرى المفردة، بكل ما يحمله ذلك من مضامين .

الثقوب السوداء باردة :

لقد ركز بحث كرسودولو عن عملية بنورز والثقوب الأسود الدوار ليس على الطاقة التي يقتنصها الجسم الفار بعيداً عن كرة الطاقة، بل على الطاقة المفقودة من الثقب ذاته، فحين يقتنص الجسم طاقة، تقل سرعة دوران الثقب شيئاً ما، إذ يخسر شيئاً من عزم دورانه. وقد تتصور أنه بإلقاء جسم ذي طاقة معينة يمكن أن تعاد الطاقة المقتنصة للثقب، فيسرع الثقب إلى حالته الأولى، ولكن حسابات كرسودولو بيّنت أنه في هذه الحالة سوف تكون الطاقة المعادة أكبر دائماً من المفقودة بسبب خسارة عزم الدوران. فعملية تبادل الطاقة لا يمكن أن تكون انعكاسية تماماً، بفرض أننا نريد أن نسترجع التغير في عزم الدوران بالضبط، ولقد قاد ذلك إلى مفهوم الكتلة غير القابلة للنقصان للثقب الأسود الدوار، والتي قال بها هوكنج، وربط بينها وبين مساحة سطح الثقب .

وقد فُتّن الفيزيائيون بهذا الكشف، لأن العمليات غير المنعكسة لها وضع خاص في الطبيعة؛ إنها مرتبطة بقانون غاية في الأهمية في الفيزياء، القانون الثاني للديناميكا الحرارية، إن هذا القانون ينص، في أبسط صورة له، على أن الأشياء جميعها تبلى، وبإمكانك أن ترى هذا القانون في فعاليته حين تضع قطعة من الثلج في كوب ماء ساخن؛ إن الحرارة تسرى من الجسم الأكثر سخونة (الماء) إلى الأبرد (مكعب الثلج) إلى أن يصبح السائل متجانساً في درجة حرارته، ثم تنتهي القصة. فالقانون مرتبط بتسلسل الأحداث مع الزمن، خذ فيلماً للعملية، فإذا ما عكست إدارته أحسست على الفور بأن هناك خلافاً .

ويعبر عن هذا القانون بصورة أخرى، إن كمية المعلومات في الكون (أو في نظام مغلق كالثلج في الكوب لو فرض أنهما في حيز مغلق تماماً) مآلها دائماً للنقصان، فحين كان النظام مكوناً من مكعب ثلج وماء ساخن، كان يتضمن كمّاً من المعلومات

أكثر مما أل إليه عندما تحول إلى سائل متساوٍ في درجة الحرارة. وقيس الفيزيائيون المعلومات في الواقع بصورة منعكسة، فهم يقيسون اللانظام، وليس النظام، ويعتبرون الفقد في المعلومات مكسباً لخاصية أخرى يطلقون عليها «الانتروبيا entropy» (تقابل زيادة اللانظام)، إن ما يحدث في غرفة مراهق دون أن يسمح لأمه بترتيبها مثل جيد للانتروبيا، فالقانون الذي يقضى بأن الانتروبيا لا يمكن أن تتناقص، بل على أحسن الفروض تظل ثابتة، هو من أهم قوانين الكون، وعلى ذلك فحين اكتشف الفيزيائيون أن الثقب الأسود يمتلك خاصية لا يمكن أن تتناقص، بل على أحسن الفروض تظل ثابتة، أخذ ذلك بلبهم .

وقد بين هوكنج عام ١٩٧١ أنه ليس من الضروري أن يكون الثقب دواراً حتى يتمتع بهذه الخاصية. فسطح ثقب ساكن إما أن يكون ثابتاً (إذا لم يمتص مادة أو طاقة) أو يزيد (في حالة امتصاصه لمادة أو طاقة)، وأنه لو أن ثقبين تصادما واندمجا فإن سطح الثقب الناتج يكون أكبر من مجموع سطحي الثقبين المندمجين. كل هذه الآراء تم التوصل إليها متواقفة مع انطلاق أوهورو. وقد كان التماثل بين حتمية تزايد سطح الثقب الأسود وحتمية تزايد الانتروبيا محفزاً لهوكنج مع زميله جيمس برادين James Bradeen (كان وقتها يعمل في جامعة ييل) وبرادون كارتر Bradon Carter (زميله في كامبردج) أن يضعوا تماثلات أخرى بين قوانين الديناميكا الحرارية وخصائص الثقوب السوداء، وهو عمل نُظر إليه في البداية على أنه مجرد حيل رياضية، لا تنبئ عن شيء ذي قيمة علمية. لقد كان القول بأن مساحة سطح الثقب هي بالفعل مقياس للانتروبيا الخاصة به يمثل مشكلة عويصة، إذ إن الانتروبيا هي أيضاً مقياس لدرجة الحرارة، فلو أن الثقوب السوداء كانت ذات حرارة، لأشعتها، وهو ما يتناقض مع ماهيتها، فكل إنسان يعلم أنه لا يمكن أن تشع شيئاً على الإطلاق .

حسناً، ليس كل إنسان بصفة قاطعة، فكما اعترف هوكنج في كتابه «موجز مختصر للزمن A Brief History of Time» ، فإن أبحاث "الميكانيكا الحرارية للثقوب السوداء" التي قام بها مع زميله كانت ترمى في المقام الأول إلى إثبات خطأ الشخص القائل بأن لها درجة حرارة، لقد بيّنت أبحاثهم أن درجة حرارة الثقوب السوداء هي الصفر المطلق، ولكنهم كانوا مخطئين .

كان الشخص الذي تحدى الجميع، واستمر في تحديه، هو جاكوب بكنشتاين Jacob Beckenstein ، وكان وقتها طالب دراسات عليا تحت إشراف هويلر. ويحكي

هويلر عن الظرف الذى أدى بتلميذه إلى سلوك هذا الطريق، كان ذلك إثر حديث عابر بينهما دار فى مكتبه عام ١٩٧٠ حول فيزياء الثقوب السوداء، لقد ذكر هويلر متندراً ما يشعر به من تأنيب ضمير حين يضيف الثلج إلى فنجان قهوة ساخن لكى يحصل على مزيج متوسط الحرارة، فهو بذلك قد ساهم فى زيادة انتروبيا الكون، أو كمية الطاقة المشتتة به. لقد فقدت المعلومات، وهى جريمة «يتردد صداها إلى آخر الزمن» كما عبر عنها هويلر. ثم استطرد قائلاً: «ولكننى لو سكبت فنجان القهوة الساخن فى ثقب أسود، فقد أخفيت عن العالم جريمتى». لقد كان يشير فى ذلك إلى قضية «الثقب الأسود ليس له ملامح»، وأن كل المعلومات المتاحة عنه هى الكتلة والشحنة وسرعة الدوران، فليس ثم معلومات إن كان قد تكون من مادة نجمية أم من فناجين من القهوة، أو ما إذا كانت فناجين القهوة التى سكبت به ساخنة أم باردة أم فاترة، فانتروبيا القهوة قد غاصت فى الثقب، مع الفنجان ذاته .

وانصرف بكنشتاين مفكراً فى هذه العبارات التى تجمع بين الجد مع الطرافة، ثم عاد بعد عدة أيام ليواجه أستاذه برد فعله عن الموضوع: «إنك لا تبدد الانتروبيا حين تسكب فنجان القهوة فى الثقب، فالثقب له بالفعل انتروبيا، وأنت تزيدها بذلك» .

وفى ثقة ربما تُعلل بقلة الخبرة فى المجال البحثى، اندفع بكنشتاين ليقتراح أن تكون مساحة سطح الثقب هى بالفعل مقياس لكل من الانتروبيا الخاصة به ولدرجة حرارته، ثم قام بحساب درجة الحرارة لثقب يبلغ قدر الشمس ثلاث مرات (أصغر ثقب ممكن حدوثه نتيجة انهيار نجمى) فوجدها لا تزيد عن جزء من مليون درجة فوق الصفر المطلق، والذى هو أقل من الصفر المئوى بـ ٢٧٣ درجة !. ودرجة الصفر المطلق هى الدرجة التى عندها تتوقف الحركة الحرارية للذرات والجزيئات .

إن الدرجة التى توصل لها بكنشتاين لا تكاد تذكر، بل وتنخفض أكثر للثقوب الأكبر جرمًا، ولكنها عظيمة المغزى، إنها بكل تأكيد ليست صفراً، وتعنى بالتالى أن الطاقة يمكن أن تشع من الثقب، كل هذه الأفكار تضمنتها رسالته للدكتوراه، ولكن فحواها كان بطبيعة الحال قد انتشر قبل ذلك .

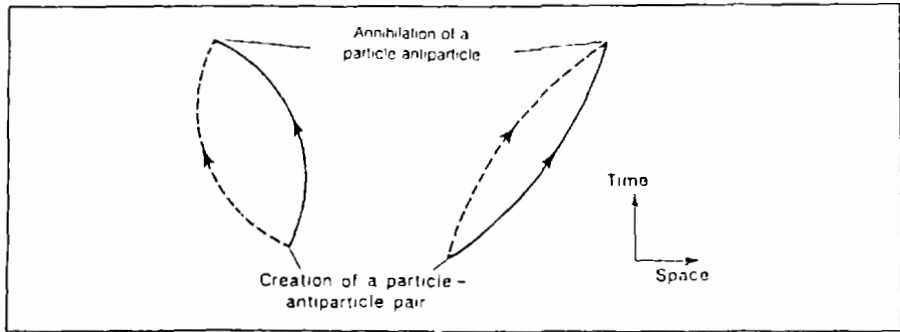
أما عن هوكنج، والذى كان فى هذا الوقت قد احتل مكانة خبير بالثقوب السوداء، فقد اعتبر تلك الأفكار مجرد هراء، وكان عمله مع زميليه رد فعل مباشر لها، وانتاب بكنشتاين القلق لهذه المواجهة الحامية (ليس فقط من هوكنج، ولكن من غيره أيضاً، من

بينهم فرنر إسرائيل). ورغم أنه واصل تطوير فكرته، إلا أن بحثه فى عام ١٩٧٣ قد ردّد صدق آراء هوكنج فى أن الخصىصة التى اكتشفها لا يجب النظر إليها كمعبرة عن درجة الحرارة «فمثل هذا القول يسبب تضارباً يجعله غير ذى فائدة»، إلا أنه رغم اهتزاز ثقة بكنشتاين فى رأيه، فإن تدعيمه سرعان ما جاء من جانب غير متوقع بالمرّة.

فى نفس العام، علم هوكنج أيضاً خلال زيارته لموسكو أن اثنين من الباحثين السوفيت، ياكوف زيلوفتش Yakov Zel'dovich وألكس ستاروبينسكى Alex Starobinsky قد اكتشفا أن الثقب الدوار يمكنه أن يخلق جسيمات من طاقته، ويبثّها فى الفضاء. وكان رأيا مثيراً ومحتمل التصديق، فالطاقة المطلوبة لخلق الجسيمات موجودة بالفعل فى كرة الطاقة على صورة ما من عملية بنروز. ولكن حين عالج هوكنج الأمر كانت دهشته بالغة، أن بيّنت المعادلات أنه حتى الثقب غير الدوار يمكن أن يبعث جسيمات فى الفضاء. لقد وصل بطريق آخر، على عكس ما كان يقصد، إلى تأكيد رأى بكنشتاين، وأعلن اعترافه عام ١٩٧٤ بأن الثقوب السوداء لها بالفعل درجة حرارة، وأنها تبعث جسيمات فى الفضاء، وهو ما يعرف بظاهرة إشعاع هوكنج (بما يحمل قدراً من عدم العدالة بالنسبة للعالمين السوفيتيين)، ولكن درجة الحرارة ليس صفة مستقلة للثقب بالإضافة للكتلة والشحنة وسرعة الدوران، فهى تعتمد على مساحة سطح أفق الأحداث، والذى يتحدد هو نفسه بتلك الخصائص الثلاث. فحتى الثقب الأسود الحار ليس له ملامح .

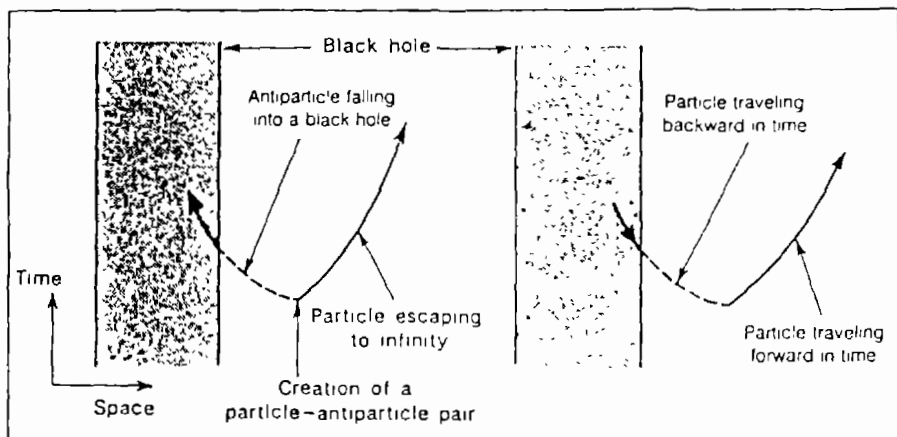
وتفهم ظاهرة إشعاع هوكنج على أساس كل من النظرية النسبية ونظرية ميكانيكا الكم؛ فالأولى تخبرنا عن إمكانية تحول الطاقة إلى كتلة، والثانية تقول بحتمية وجود عدم يقين كامن فى كل نظام فيما يتعلق بطاقته. ويعنى ذلك، ضمن أشياء أخرى، أن الطاقة لا يمكن أن تصل صفراً تماماً، فلو تحقق ذلك لما كان هناك عدم يقين، فما نتصوره من فضاء خالٍ تماماً يحتوى على قدر من الطاقة، لا يمكن أن تقاس بطريق مباشر، ولكن يمكن أن يتمخض عنها جسيمات قصيرة الأجل بصورة لا يتصورها عقل، فهى تظهر وتختفى فى غضون فترات لا تزيد عن 10^{-43} من الثانية. هذه الجسيمات يجب أن تظهر أزواجا، كل جسيم مصحوب بنقيضه، حتى يظل التعادل بالنسبة للشحنة الكهربائية محافظاً عليه، فالإلكترون (الجسيم سالب الشحنة) الذى يظهر خلال هذه العملية يكون مصحوباً بالبوزترون (الجسيم موجب الشحنة، والمطابق

للإلكترون في كافة الخواص الأخرى). وتسمى الجسيمات التي تخلق خلال هذه العملية «الجسيمات التقديرية virtual particles»، وهي سرعان ما تتفانى، كل جسيم مع نقيضه، فتُعاد للفضاء الطاقة التي استعيرت لخلقها (شكل ٥-٦). إنها فكرة غريبة للغاية، ولكن وجود هذه البحار الهائلة من الجسيمات التقديرية له تأثير ملموس على العالم الواقعي، ومن ثم فلا شك البتة في وجودها .



(شكل ٥-٦) إن ما نتصوره «فراغاً» في الكون هو في الواقع متهيج بحركة خلق وفناء للجسيمات التقديرية، تخلق من لا شيء تطبيقاً لمبدأ عدم اليقين، ولكنها تتفانى على الفور، معطية خطوطاً كونية على شكل منحنيات مغلقة .

ولكن ما الذي يحدث لمثل هذه الجسيمات حينما تخلق على حافة أفق الأحداث تماماً؟ في عملية مشابهة لعملية بنروز، يمتص أحد الجسيمين في الثقب، بينما ينطلق الآخر مبتعداً في الفضاء، لقد تحول إلى جسيم حقيقي، على حساب الطاقة الموجودة في كرة الطاقة (شكل ٥-٧)، وكما في عملية بنروز تماماً، يفقد الثقب قدرًا من الكتلة، فينكمش شيئاً ما . هذا الإشعاع من الجسيمات هو ما يعطى الثقب درجة الحرارة التي تنبأ بها بركنشتاين، وهي ترتبط بمساحة أفق الحدث بمعنى أنها تقل كلما اتسعت هذه المساحة .



لو أن هذه هي نهاية القصة لكانت مجرد إضافة لمعلوماتنا يُشكر عليها هوكنج، فهي قد جمعت بين ثلاث نظريات من أهم نظريات الفيزياء ؛ الديناميكا الحرارية والنسبية وميكانيكا الكم، ولكن هناك ما هو أكثر إزعاجاً في اكتشاف هوكنج .

الأفق المتفجر :

إن المزيج في اكتشاف هوكنج هو أن الثقوب السوداء الصغيرة تنفجر مخلفة وراءها مفردات عارية، فالثقوب السوداء الضخمة سوف تعوض أضعاف ما تفقده خلال إشعاع هوكنج، بما تمتصه من مادة من الكون، أو حتى من ضوء المشع من النجوم أو من الخلفية الإشعاعية للكون^(١) ، ولكن تصور ثقباً أسوداً تبلغ كتلته بليون (ألف مليون) طن، وهو كتلة كويكب صغير مثل أبولو، أو جبل مثل إفرست، إنه يلزم إضافة ستة آلاف بليون من هذه الكتلة لتكون كوكب كالأرض، فهذا الثقب المتواضع بالمقاييس الفلكية يكون قطر شفارتزشلد بالنسبة له في حدود 10^{-13} سم، تقريباً في حجم نواة الذرة، لن يكون باستطاعة مثله أن يمتص شيئاً على الإطلاق، فحتى ابتلاع بروتون أو نيوترون سوف تكون قزمة ضخمة بالنسبة له. ولكن طبقاً لحسابات هوكنج سوف تكون درجة حرارته حوالي ١٢٠ بليون درجة مئوية!، وسوف يعطى طاقة في

(١) إشعاع يملأ الكون متخلف عن الانفجار العظيم - المترجم .

حمية تبلغ ٦٠٠٠ ميجاوات، أى ما يوازى عدة محطات توليد طاقة فائقة القدرة، وتعادل الطاقة المنبعثة منه بانكماش قطره، وكلما استمر فى الانكماش زادت درجة حرارته، إلى أن يختفى هذا الشئ كلية، غير مخلف وراءه سوى الإشعاع الذى بثه فى الكون. وكاحتمال ثان، قد تُوقَف التأثيرات الكمية عملية انكماشه عند حجم معين. على أنه يوجد احتمال ثالث، أن يستمر الانكماش إلى أن يتلاشى أفق الأحداث، تاركا مفردة عارية. والأسوء من ذلك، أن هذه المفردة ستكون كتلة سالبة، معادلة لكتلة ما بُث من جسيمات .

ليس الأمر مزعجاً لو كان اهتمامنا منصباً على ما يتكون من ثقوب سوداء اليوم، فما يحدث الآن هو أنك لا تستطيع الحصول على ثقب أسود إلا بتكديس كتلة تبلغ عدة مرات كتلة الشمس، ثم تتركها للانهيال الجذبي، وما يتكون من ذلك من ثقوب سوداء لن تكون درجة حرارتها إلا فى حدود ضئيلة للغاية، لا تعطى من إشعاع هوكنج إلا النزر اليسير، ولكن قبل اكتشاف هوكنج لظاهرة انفجار الثقوب السوداء المتناهية الصغر بثلاث سنوات، كان قد أعلن أن إمكانية تواجدها فى الكون، تخلفت نتيجة الضغط الهائل الذى كان فى فترة الانفجار العظيم. تذكر أن الثقب الأسود يمكن أن يتكوّن من أى شئ على الإطلاق، شريطة إمكانية كبسه إلى القطر المطلوب، فالأرض ذاتها يمكن أن تتحول إلى ثقب أسود لو كُبست إلى عدة سنتيمترات. فإذا لم يكن الانفجار العظيم متماثلاً تماماً، فإن معنى ذلك أن توجد مناطق من الكون أكثر كثافة من المتوسط، ومناطق أخرى أقل من المتوسط، فى هذه الحالة ليس من المستبعد أن تخرج المناطق زائدة الكثافة من الانفجار العظيم على هيئة ثقوب سوداء متناهية الصغر .

وبهذه الطريقة، وفى عمليّن مستقلّين تماماً، بيّن هوكنج الاحتمال القوى بوجود ثقوب سوداء سابحة حرة طليقة فى الكون، وبأن مصير مثل هذه الثقوب هو التلاشى، مع احتمال قوى بأن تخلف وراءها كتلة سالبة. ولقد اخترت المثال الخاص بالثقب الأسود الصغير الذى بدأ بستة بليون طن لأن الحسابات تبين أن مثله لا بد وأن يكون قد تلاشى منذ أمد بعيد فى الفترة من حدوث الانفجار العظيم إلى اليوم، كل هذه الآراء لم يكن مرجحاً بها من معظم الفيزيائيين، هل تتذكر كلمات إيدنجتون التى سخر بها من تشاندراسيخار ؟

يجب أن تظل النجوم مشعة ومشعة، تتقلص وتتقلص، إلى أن تصبح - فى تصوّر - بقطر عدة كيلومترات، فتتعادل الجاذبية مع الإشعاع، ويبقى النجم فى سلام .

لقد أدار هوكنج هذا فى رأسه، وسوف أعيد صياغة عبارة إيدنجتون لكى تعبر عن رأى هوكنج :

يجب أن تظل الثقوب السوداء مشعة ومشعة، تتقلص وتتقلص، إلى أن يختفى - فى تصورى - أفق الأحداث، وتتفجر المفردة التى بداخله متلاشية فى الكون .

وليس أية مفردة، بل مفردة ذات كتلة سالبة، بهذا تكون حافة الزمن ذاته ظاهرة للعيان أمام الجميع! وحتى إلى التسعينات كان الكثير من الفيزيائيين يجدون الأمر هراء كما ظن إيدنجتون بفكرة الثقوب السوداء فى الثلاثينات، ففى الحديث الإذاعى الذى عبر فيه بنروز عن رأيه بالنسبة لعدم وجود دلائل مشجعة فى صالح الرقيب الكونى، قال :

لقد تردد كثيرا احتمال وجود المفردات، ولو كان الأمر كذلك لكان بمثابة كارثة على علم الفيزياء. ولكنى لا أؤيد هذا الخوف. حقيقة ليس لدينا نظرية تناهض نظرية مفردات الزمكان، ولكنى متفائل، وأعتقد أن نظرية كهذه لابد أن تظهر يوماً ما .

وبروح بنروز، أن الألوان أن نكتشف كيف أن وجود مثل هذه الحواف للكون يسمح بالسفر عبر كل من الفضاء والزمن، ولكن أود أولاً أن أراجع عن موضوع المفردات، لنلقى نظرة موجزة على الأمور الغريبة التى تحدث خارج أفق الأحداث مباشرة لثقب أسود. ذلك لأنه، وعلى الرغم من كل الغرابة والتشويه الهائل للزمان المصاحب للمفردة ذاتها، فإن مجرد الاقتراب من الثقب الأسود، حتى دون التجزؤ على الولوج إلى داخله، يمكن أن يسبب لك الدوار، عقلياً وجسدياً .

قوة طاردة محيرة :

إن أول شئ غريب تشعر به عند اقترابك من ثقب أسود هو ما نسميه القوة الطاردة، هذه القوة مألوفة لكل من ركب سيارة تسير بسرعة فى خط منحني، فهذه القوة تدفع بك إلى الخارج، لعلك تذكر حديث أستاذك للفيزياء عن هذه القوة، وأنها قوة تخيلية تنتج عن الدوران. وبصرف النظر عن الجدل حول كونها تخيلية أم حقيقية، فإن

آثارها لا تنكر. فلو أن سيارتك دارت بعنف إلى اليمين، فسوف تتوقع لكرة تنس على الطاولة الأمامية أن تُقذف بعنف لليasar، أما لو رأيتها بدلا من ذلك تتحرك بسلاسة إلى اليمين، فسوف يأخذ منك العجب مأخذه، ولكن الواقع أن هذا ما يحدث لو كنت في مركبة فضائية وقامت بمثل هذا الدوران على حافة أفق أحداث ثقب أسود، طبقا لما توصل إليه مارك أبراموفز Mark Abramowicz من المعهد الاسكندنافي للفيزياء النظرية بكونبهاجن .

كان أبراموفز منشغلا منذ بداية السبعينات بلغز القوة الطاردة التي تتمخض عن النظرية النسبية العامة، وفي التسعينات بين أن هذه القوة تعمل عكس المألوف، بأن تدفع بك بالفعل إلى الداخل، لو كان الجسم يمس أفق الأحداث، يحدث ذلك على بعد معين من الأفق، وهذا البعد يعتمد على خصيصة أخرى للثقب الأسود، كثيراً ما تثير الريبة .

تذكر أن الأفق يكون على بُعد من مفردة مركزية، حيث تكون سرعة الهروب مساوية لسرعة الضوء، فلو أن لديك صاورخاً ذا محركات لانهائية القدرة، ولديك قدراً لانهائياً من الوقود، وأدركت مؤخرة الصاروخ للمفردة مطلقاً لمحركاته العنان، فكل ما يمكنك عمله هو أن تظل محلقاً في مكانك عند أفق الأحداث، ولكن أفق الأحداث لا يتكون عند نفس البعد من المفردة، والذي ينحنى عنده الضوء في بواثر حول المفردة، إن هذا يحدث في الواقع على بعد مرة ونصف من قطر شفارتزشلد. وفيما بين هذا البعد، والذي يطلق عليه «دائرة سرعة الضوء speed-of-light circle» وأفق الأحداث، لا يمكن لشعاع الضوء أن يظل دائراً حول أفق الأحداث؛ فهو إما أن يقتحم الثقب، أو يدور منحنيّاً ثم ينطلق عائداً للفضاء في قوس مفتوح، وفيما بين أفق الأحداث ودائرة سرعة الضوء يمكن لصاروخك ذي القدرة اللانهائية أن يوازن نفسه مع قوة الجاذبية عند أية نقطة من الثقب، عن طريق الاستخدام الحكيم للمحركات، ثم بواسطة صواريخ جانبية، يمكن أن يدور حول الثقب، في هذه اللحظة تبدأ الإثارة بل في الواقع تبدأ عند دائرة سرعة الضوء. فبالنسبة للمسارات الدائرية لفوتونات الضوء ذاتها، تكون القوة الطاردة صفراً، ثم ينعكس اتجاهها عندما تتجه إلى داخلها. وقد بين أبراموفز أن الضوء في ذلك يتبع جيوديسياً محدداً، وهو المقابل النسبوي للخط المستقيم للمستوى المسطح. وحيث إن القوة الطاردة لا تظهر إلا عندما تتحرك في مسار منحني عن الجيوديسي، فإن فوتونات الضوء لا تعاني أية قوة طاردة، وبالمثل أية مركبة فضائية

تتحرك على مسارها، بأية سرعة مهما كانت، فإذا ما فرضنا أن قوة المحركات تعين المركبة على مقاومة الجاذبية بحيث تظل على نفس محيط دائرة سرعة الضوء، فإن الصواريخ الجانبية تدفع بها على ذلك المحيط بأية سرعة كانت، ولن يشعر ركبها بالوزن أو القوة الطاردة .

وعدم الشعور بالوزن فى تلك الحالة يختلف عنه بالنسبة لرواد الفضاء حين يخرجون من نطاق جاذبية الأرض، فهم يتحركون وقتها متحررين من الجاذبية الأرضية، ولا يحتاجون بالتالى لأية قوى دفع طالما هم فى مسارهم الحر، بينما يستخدم المسافرون الخيالون حول الثقب قوى هائلة للحفاظ على تحركهم فى المسار الدائرى، ومع ذلك فهم لا يشعرون بالوزن إطلاقاً .

وفى حالة الدوران فى مسار دائرى، حول الأرض مثلاً، توجد سرعة واحدة محددة تتساوى فيها القوة الطاردة مع قوة الجاذبية، عندها يمكن للمركبة أن تستمر فى اندفاعها دون اللجوء إلى محركاتها، فى مثل هذه الحركة، لن يشعر الرواد بالوزن^(١). أما للدوران فى دائرة بسرعة أخرى، فإنه يلزم استخدام محركات دافعة دون انقطاع لتوجيه المركبة فى مسارها، وفى هذه الحالة يشعر الركاب بضغط حوائط المركبة على أجسادهم. ولكن فى المسار حول دائرة سرعة الضوء، لا تحتاج المحركات إلا لمعادلة الجاذبية، وعندها يمكن التحرك بأية سرعة فى حرية تامة .

على أنه فى حالة التحرك داخل محيط سرعة الضوء فإن القوة الطاردة تكون مضافة للجاذبية، وبالتالي فإن قوة الدفع الخارج المطلوبة للحفاظ على مسار المركبة تكون أكبر كلما زادت سرعة الدوران. وبدلاً من أن يشعر الركاب بطرد للخارج أثناء ذلك، يشعرون بطرد للداخل، بعبارة أخرى، تعمل قوة الطرد على النوام على تباعد المركبة عن محيط دائرة الضوء .

كل ذلك يتجاوز مجرد اهتمام من النسبويين بأمر غريبة، إن الثقب الأسود الوحيد الذى اكتشف للآن هو الدجاجة س-١، حيث تنتزع المادة من قرين الثقب بفعل جاذبيته الهائلة، مكونة قرصاً تراكمياً دواراً، تصل فيه درجة الحرارة إلى حد إمكان بث أشعة سينية، هذه الأشعة هى التى دلت على وجود الثقب الأسود .

(١) تستخدم هذه الحقيقة فى تدريب رواد الفضاء على حالة إنعدام الوزن وهم على سطح الكرة الأرضية - المترجم .

ولكن كيف يُغذى القرصُ التراكمى الثقبَ بالمادة؟ طبقاً للرؤية الجديدة لأبراموفز، بمجرد أن تعبر المادة حيزَ دائرة سرعة الضوء فإن سرعة الدوران سوف تدفع به إلى داخل الثقب بدلاً من أن تطرده لخارجه، وتصبح العملية كما لو أنك قلبت سائلاً في كوب بسرعة، فبدلاً من أن يهبط عند مركز الدوران، إذا به يرتفع كسنام الجمل. إن عملية كهذه من شأنها أن تؤثر على إشعاع الأشعة السينية، وبالتالي يمكن مراقبتها دون اللجوء إلى المغامرين التخليين .

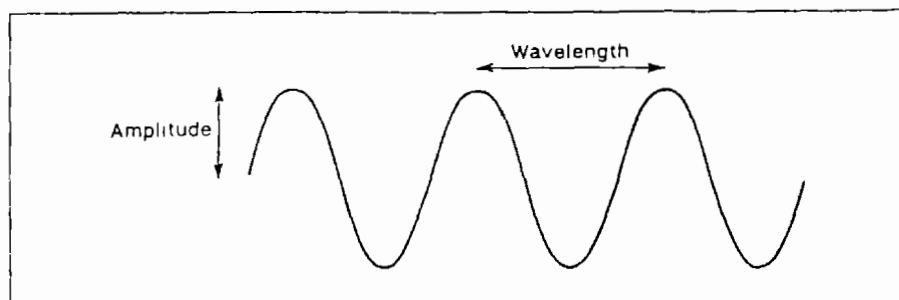
ولكن انعكاس القوة الطاردة ليست هى الشئ الوحيد العجيب الذى يمكن لهؤلاء المغامرين مشاهدته، اختر ثقباً كبير الحجم بدرجة كافية، حيث لا تكون قوة الجذب عند الأفق متطرفة. حتى بدون عبور ذلك الأفق ، سيتمكن المغامرون من استخدام تشوه الزمكان حول الثقب للقيام برحلة عبر الزمن ، ولكن فى اتجاه واحد، فى اتجاه المستقبل .

مركبة زمن ذات اتجاه واحد :

إن دور الجاذبية فى إبطاء سريان الزمن ليس محل شك، لقد قيست هذه الظاهرة بالفعل، عن طريق الانزياح الأحمر الجذبى للضوء بواسطة الأقزام البيضاء .

وقد وضحتُ من قبل ظاهرة الانزياح الأحمر الجذبى عن طريق الطاقة المفقودة من الضوء فى محاولته التحرر من قوة جذب لجرم مكنز، ولكن ظاهرة مط الزمن الجذبى يعطينا منظوراً آخر لما يحدث. فمن وجهة النظر هذه، يمكن للضوء ذاته أن يعمل كساعة، فهو يسير بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية، وبالتالي يمكن أن يستغل طوله الموجى كمقياس لمرور الزمن. إن الموجات الكهرومغناطيسية التى تصنع الضوء، كما بينَ ماكسويل، هى عبارة عن مجالين متعامدين، أحدهما كهربى والآخر مغناطيسى، يتذبذبان بتردد معين، يمكننا أن نتصور هذه الموجات بصورة مبسطة على النحو المبين فى الشكل (٥-٨) فى هذا الشكل يقصد بسعة الموجة مدى اهتزازها، وبالطول الموجى المسافة بين نقطتين متماثلتين، وليكن قمتين فيها، فإذا ما تخيلت نفسك راصداً تحصى القمم التى تمر بك، فسوف تجد أن الزمن بين قمتين يساوى

الطول الموجي مقسوماً على سرعة الضوء، وكل قمة يمكن أن تعتبر ومضة من طاقة، وبالنسبة لضوء ذي طول موجي معين (أى لون معين) تناسب هذه الومضات متتابعة على فترات منتظمة، بالضبط كدقات الساعة. وفى الواقع هذه هى الطريقة التى تُعرَّف بها الثانية الزمنية اليوم .



(شكل ٥-٨) موجة

كان التعريف السابق للثانية الزمنية باستخدام سرعة دوران الأرض حول محورها، وهى ساعتنا الفلكية الأصلية، وتقدر الثانية بناء على ذلك كجزء من ٨٦٤٠٠ جزء من طول اليوم الفلكى (حاصل ضرب $24 \times 60 \times 60$)، ولكن طول اليوم يتغير تغيراً طفيفاً على مدى السنة لأسباب فلكية، وبالتالي فإن سرعة دوران الأرض حول محورها أبعد ما تكون معياراً منضبطاً للقياس. وعلى ذلك فإن الثانية تعرف الآن على أساس تردد إشعاع عنصر السيزيوم، فالثانية هى الزمن الذى ينقضى بعد انبعاث ٩١٩٢٦٣١٧٧٠ ومضة من ذلك الإشعاع. هذا ما يقصد اليوم بتعبير «الساعة الذرية»، والتى هى فى الواقع ساعة ضوئية، بهذا التردد تُضبط كافة الساعات على الأرض اليوم. ولكننا نريد أيضاً أن نلاحظ الأرض فى اختلالها الطفيف، إذ نريد أن تكون الساعة الثانية عشرة مطابقة لوضع الشمس فى كبد السماء، ولهذا السبب فإن المسؤولين عن ضبط التوقيت يسمحون أحياناً بشيء طفيف من التجاوز يحقق لنا ذلك. وما يهمنا فى هذا بالنسبة للانزياح الأحمر هو أن كل ثانية تساوى أية ثانية أخرى، وأنها تُعرَّف بمدلول سرعة موجات كهرومغناطيسية معينة، هى موجات الضوء .

والآن، لنطبق هذا المفهوم بالقرب من الثقب الأسود، فليحمل المغامرون عنصر السيزيوم، وقيسوا تردد إشعاعه، حتى يتأكدوا أنه بالضبط كما هو في موطنهم الأصلي وسوف تغمرهم السعادة حين يرون أن كل شيء على ما يرام، على أن مراقباً على البعد يلتقط هذا الإشعاع سوف يجد أن طوله الموجي قد استطال شيئاً ما ، وذلك بسبب الانزياح الأحمر الجذبى. فالوقت الذى ينقضى لبث ذرة السيزيوم للعدد السابق ذكره من الترددات عند المغامرين، والذى يمثل الثانية بالنسبة لهم، يستغرق أكثر من نفس عدد الترددات لذرة السيزيوم الموجودة على مركبة المراقبين، فبالنسبة للمراقبين يعيش المغامرون حياتهم بسرعة أبطأ.

ولكن بالنسبة للمغامرين فإنهم لا يلاحظون تغيراً فى الأمر، بل تراهم يجادلون فى أن المراقبين هم الذين يعيشون حياتهم بسرعة أكبر! ذلك لأنهم إذا ما تمكنوا من التقاط إشعاع ذرة السيزيوم التى لدى مراقبيهم، فإن الضوء سوف يكتسب طاقة تعطيه انزياحاً تجاه اللون الأزرق، والذى يمثل تردداً أعلى، وبالتالي سوف يستخلص المغامرون أن الوقت يمر أسرع من معدله فى الكون من حولهم .

إن أيّاً من التصورين صحيح، فإذا ما أطلق المغامرون صواريخهم لكى يعودوا أدراجهم إلى زملائهم المراقبين، فإن الزمن المسجل لدى المغامرين سوف يكون أقصر مما سجّل لدى زملائهم. الأكثر من ذلك، سوف يكون عمر المغامرين أقل بالفعل من عمر زملائهم، فظاهرة مط الزمن ليست تأثيراً خادعاً نتيجة أسلوب مختار لقياس الزمن، فاستخدام الضوء لذلك هو فى الواقع استخدام التوقيت الكونى. فالضوء، كما أدرك أينشتاين، هو الشيء الوحيد فى الكون الذى يعتبر مقياساً أساسياً لا يختل للطول والزمن على السواء. وإذا ما صعب عليك أن تتصور أن المراقبين قد زانوا عمراً عن المغامرين، فتذكر أن الجميع مخلوق من ذرات، وكما أثّرت الجاذبية فى ذرة السيزيوم فتغير إشعاعها، فإنها تؤثر بنفس الطريقة فى كافة ذرات أجسام الطرفين. إن الزمن يسير ببطء حقيقى بالقرب من الثقب الأسود .

وهذا ما يمكّننا من استخدام الثقب الأسود كوسيلة للسفر المريح فى الزمن، فكلما اقترب المغامرون من الثقب، زاد تأثير هذه الظاهرة. إن بإمكان المغامرين أن يرتبوا رحلات مكوكية بينهم وبين زملائهم المراقبين، فى كل مرة يقضون عدة ساعات بزمّنهم، ليجدوا أنه قد مر عدة قرون، أو مئات من القرون، بحسب تخطيط المغامرين

ومدى قربهم من الثقب، على مركبة المراقبين، ولن يكونوا بالطبع هم نفس الأشخاص
فى كل مرة .

إن هذا يبدو ضرباً من الخيال، وقد استُغل بالفعل فى العديد من قصص الخيال
العلمى، ولكنه مبنى على أسس علمية راسخة، الشيء الوحيد الذى يؤخذ على هذا
التصور هو ضرورة البحث عن ثقب أسود هائل الكتلة، حتى يمكن تفادى قوة مدِّية
متطرفة، وأقرب موضع متوقع لذلك هو منتصف المجرة، أى على بعد أكثر من ٣٠ ألف
سنة ضوئية، فللوصول إلى هذا البعد السحيق فى زمن معقول يلزم إيجاد طريق
مختصر عبر الفضاء .

إن هذه فكرة أخرى من أفكار الخيال العلمى، إيجاد نفق عبر ما يسمى «الفضاء
الأعظم hyperspace» ، ولكن ، هل تصدق أن هذه الفكرة أيضاً لها أساس علمى
راسخ ؟

الفصل السادس

اتصالات الفضاء الأعظم

كيف تتحقق قصص الخيال العلمى . الثقوب البيضاء، ثقب الديدان، وأنفاق الزمكان. رحلة إلى كون آخر، وإلى ماضينا، الحائط الأزرق وطريق الالتفاف حوله. فتح عنق الفضاء الأعظم، بواسطة وتر مضاد للجاذبية .

حينما أراد عالم الفلك كارل ساجان أن يكتب قصة علمية، احتاج لوسيلة خيالية يقطع بها أبطاله مسافات شاسعة عبر الكون ، وقد كان يعلم طبعاً أنه من المستحيل التحرك بأسرع من سرعة الضوء، كما كان على دراية أيضاً بالعرف السائد فى مجال القصص العلمى، والذي يسمح للكتّاب أن يستغلوا حيلة الطرق المختصرة عبر "الفضاء الأعظم hyperspace" للالتفاف حول المشكلة ، ولكنه كعالم أراد شيئاً أكثر رصانة من حيلة اتفاقية . هل ثمة من رداء أكثر احتراماً يكسوه قصته ؟ لم يكن ساجان يعرف الإجابة، فخلفيته العلمية كانت فى مجال دراسة الكواكب . ولكنه كان يعرف الشخص المناسب تماماً الذى يمكن اللجوء إليه لجعل فكرة الانتقال عبر الفضاء الأعظم فى كتابه "اتصال Contact" يأخذ صورة أكثر إقناعاً من الناحية العلمية .

كان هذا الشخص هو كيب ثورن من كالتك ، وقد راقبت له الفكرة حتى أنه كلّف اثنين من طلبة الدكتوراه لديه، ميشيل موريس Michael Morris وألفى يورتسفر Ulvi Yurtsever أن يضعوا شيئاً من التفاصيل لما يعرفه النسبيّيون باسم "ثقب الديدان wormholes" فى ذلك الوقت من الثمانينات كان النسبيّيون مدرّكين منذ أمد بعيد أن معادلات النظرية النسبية العامة تسمح بمثل هذا الاتصال عبر الفضاء العظيم . إن ذلك فى الواقع هو جزء متكامل مع حل شفارتزشك لمعادلات أينشتاين ، وقد اكتشف أينشتاين نفسه ، خلال عمله فى برنستون مع نوثان روزن Nothan Rosen

أن حل شفارتزشلد يمثل فى الحقيقة ثقباً أسوداً يعمل كمعبر بين منطقتين من زمكان مسطح ، "معبر آينشتاين - روزن Einstein - Rosen bridge" ، يتعلق ذلك بوجود مجموعتين من الحلول للمعادلات، على ما قدمناه فى الفصل الخامس. ولكن قبل أن يُخرج ساجان الموضوع إلى الضوء مرة أخرى ، كان من المستقر أن هذا النوع من الاتصال ، خلال طرق مختصرة عبر الفضاء الأعظم ، ليس إلا ضرباً من الخيال ليست له قيمة عملية على الإطلاق .

واكتشف موريس ويورتسفر أن هذا الظن خاطئ ، فعن طريق البدء بنهاية المشكلة، قاموا بتشكيل هندسة لزمكان يناسب مطلب ساجان ، يحتوى على ثقب دودة يمكن عبوره مادياً عن طريق البشر ، بعد ذلك راجعوا قوانين الفيزياء، ليعرفوا ما إذا كان فيها ما يمكن أن يساعد فى إنتاج هذه الهندسة ، ولدهشتهم البالغة، ومع ابتهاج ساجان الشديد، وجدوا ضالتهم ، (يبدو أن ثورن لم يفاجأ بذلك، فيعتقد موريس أنه كان يعرف الحل مسبقاً) . الحقيقة أن المتطلبات الفيزيائية بدت مخترعة وغير منطقية ، ولكن ليس هذا بيت القصيد ، المهم أنه لم يوجد فى قوانين الفيزياء ما يمنع من السفر عبر ثقوب الديدان ، لقد ثبت أن روائى الخيال العلمى على حق، فالاتصال عبر الفضاء الأعظم يقدم بالفعل، على الأقل من الناحية النظرية، وسيلة للانتقال من منطقة لأخرى عبر مسافة شاسعة، دون الاضطرار إلى التخطى لآلاف السنوات خلال الفضاء العادى بسرعة تقل عن سرعة الضوء.

وقد وضعت النتيجة التى توصل إليها العالمان فى شكل صورة زيت غلاف الكتاب، ولكن القليل من القراء من أدرك أنها مؤسسة على آخر ما توصل إليه علم النسبية آنذاك ، منذ ذلك الحين صارت الأبحاث المتعلقة بثقوب الديدان كمعبر لأسفار يمكن أن تتحقق مادياً الشغل الشاغل للكثيرين من العلماء المغرمين بالظواهر الغريبة ، ويبدأ الأمر كله بمعبر آينشتاين - روزن ، ولكن قبل أن نرى إلى أى مدى كانت النتيجة التى توصل إليها ثورن ورفاقه مفزعة، علينا ألا ننسى أن ثقوب الديدان لم تكن ، كما وصفها ساجان عام ١٩٨٥ ، سوى نتائج رياضية خيالية ، ليس لها أساس من الواقع المادى بالمرّة .

معبر آينشتاين :

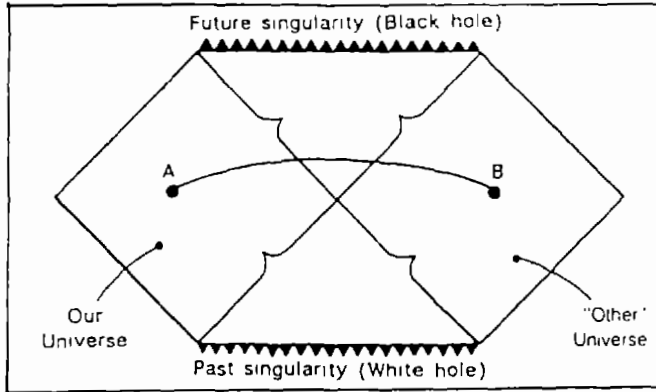
من أكثر الأمور إثارة فى تاريخ العلم أن يُعلم أن ثقوب الديدان كانت محط دراسة مفصلة منذ أمد أبعد بكثير من الوقت الذى أخذت فيه الثقوب السوداء بجدية . فإلى

تاريخ يرجع إلى ١٩١٦، أى أقل من سنة على وضع آينشتاين لمعادلات النسبية العامة، أدرك عالم استرالى هو لودفيج فُلَم Ludwig Flamm أن حل شفارتزشلد ينبئ عن ثقب دودة يصل بين منطقتين من الزمكان المسطح ، أى بين كونين ، وتدافعت الآراء حول هذا الموضوع لعدة عقود تلت، كان أكثرها شهرة أعمال هرمان وايل Hermann Weyl فى العشرينات (كان وايل رياضياً ألمانياً درس فى جامعة جوتنجن، معقل ريمان، وتخصص فى الهندسة الريمانية) ، وآينشتاين وروزن فى الثلاثينات ، وجون هويلر فى الخمسينات ، ولكن اهتمامهم لم يكن منصباً على تلك التى تسمح بعبورها، كما يذهب الخيال العلمى (وتسمى ثقوب الديدان الضخمة، أو المايكروسكوبية) .

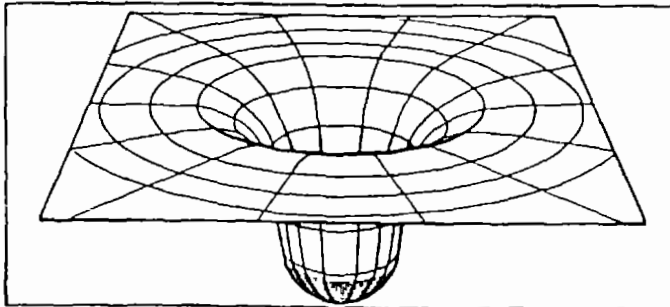
وقد بدأ اهتمام الناس بثقوب الديدان أول الأمر عند التفكير فى طبيعة الجسيمات الأولية مثل الإلكترونات ، فلو كان الإلكترون يوجد فى نقطة بالمعنى الحرفى، لكان أفضل تشبيهه لوصف الزمكان حوله هو باستخدام "متري" شفارتزشلد ، كامل مع ثقب دودى غاية فى الضالة (سمى ، لسبب واضح، بثقب دودة مايكروسكوبى) ، يصل إلى كون آخر . وقد فكر المنظرون فى احتمال أن تكون كافة الجسيمات الأولية ما هى إلا ثقوب ديدان، وأن تكون الشحنات التى تحملها هى بسبب خطوط مجال كهربى آتية من الكون الآخر ، وراقت مثل هذه الأفكار لآينشتاين وغيره من النسبيين ، وهم المهتمون بوصف نسيج المادة بناء على فكرة الجسيمات ، والتى هى فى النهاية نتاج تشوه الزمكان ، عندئذ يكون كل شئ قد فُسر بواسطة النسبية العامة. ولكن أملهم لم يتحقق، وإن كانت فكرة قريبة من ذلك (كما سنبين فى الفصل الثامن) قد أثارت ضجة حامية فى التسعينات ، فما توصل إليه النسبيون فى ذلك العصر المتقدم هو أن ثقوب الديدان لا تقدم وسيلة للعبور بين الأكوان .

وتُفهم المشكلة بصورة أيسر عن طريق شكل بنروز (شكل ٦-١) ، فثقب شفارتزشلد يمكن تمثيله على هذا الشكل كخط واصل بين جانبي الشكل ، ولكنك تلاحظ أن أى خط من هذا القبيل يتعارض مع أحد الأسهم التى لا تسمح بحركة ضدها ، إذ يعنى ذلك تجاوز سرعة الضوء. ثم إن هناك مشكلة أخرى، وهى أن تلك الثقوب غير مستقرة ، فلو تخيلت "ندبة" فى الزمكان تكونت بفعل جرم كالشمس ضغط إلى قطر شفارتزشلد المقابل له ، لحصلت على شكل كالمبين فى (شكل ٦-٢) ، والشئ المدهش فى هندسة شفارتزشلد أن الكتلة لو انكمشت إلى قطر شفارتزشلد، فلن

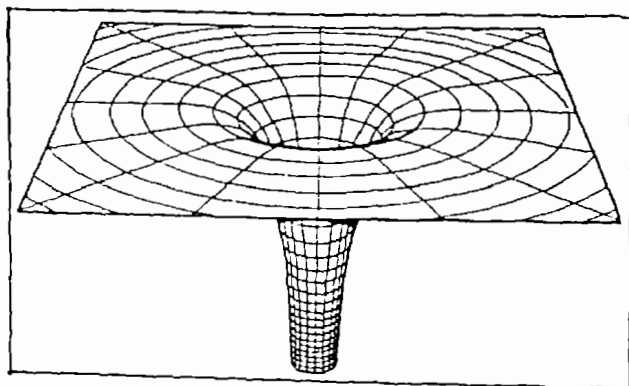
تحصل فقط على حفرة لا قاع لها، كما فى (شكل ٦-٣)، بل سوف تنفتح على منطقة أخرى من الزمكان المسطح (شكل ٦-٤)، ولكن هذا الممر الذى يُغرى بعبوره لن يدوم إلا لجزء من الثانية، فلو أنك ألقيت نظرة على شكل بنروز مرة أخرى، لأمكنك أن تأخذ شرائح خلال الشكل تقابل لحظات متتالية من الزمن (الماضى فى أسفل الشكل والمستقبل فى أعلاه)، يرسم لها شكل الزمكان المشوه بالنذبة. يبدو من ذلك كيف يتكون العنق من تشوهين متقابلين، ينموان إلى أن يتصلا ببعضهما البعض، بعد ذلك يتباعد التشوهان إلى أن ينفصلا مرة أخرى. ولجزم فى كتلة الشمس تستغرق عملية تكوين الثقب الدودى من حالة الانفصال الأولى نتيجة مفردة الماضى إلى تكون العنق كاملاً إلى الانفصال الثانى نتيجة مفردة المستقبل حوالى جزء من عشرة آلاف جزء من الثانية، طبقاً للتوقيت داخل المفردة. فالثقب الدودى لا يسمح حتى بمرور الضوء خلاله قبل أن ينغلق مرة أخرى؛ إن المحصلة النهائية هى أن الجاذبية تعوق الاتصال بين الأكوان.



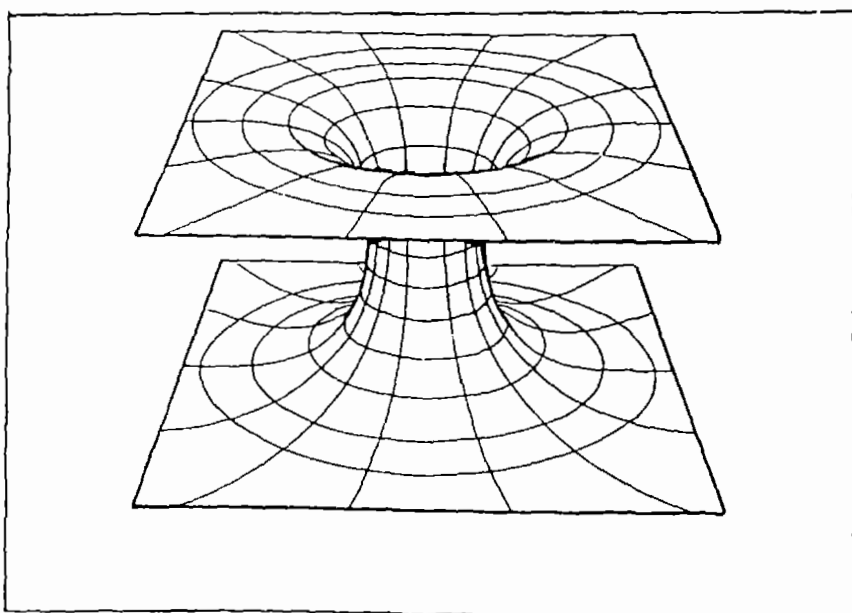
(شكل ٦-١) لكى يتم الانتقال بين كون وآخر، يمر الإنسان عبر الصفحة، فتتعارض حركته مع اتجاه الأسهم التى تمنع الحركة ضدها.



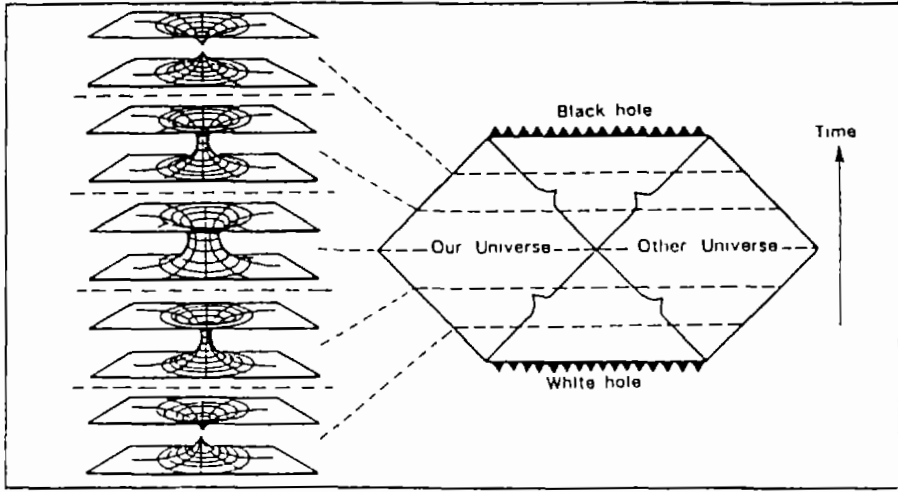
(شكل ٦-٢) تأثير جزم على الزمكان.



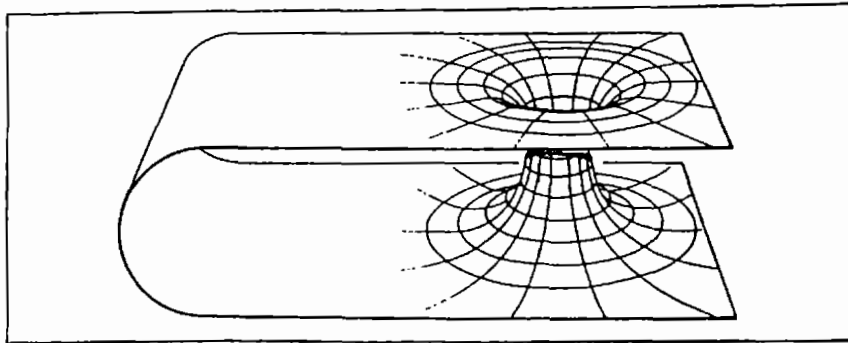
(شكل ٦-٣) ينظر دائماً للثقب على أنه حالة متطرفة من الشكل السابق، بحيث يعمل ثقباً في الزمكان بالمعنى الحرفي .



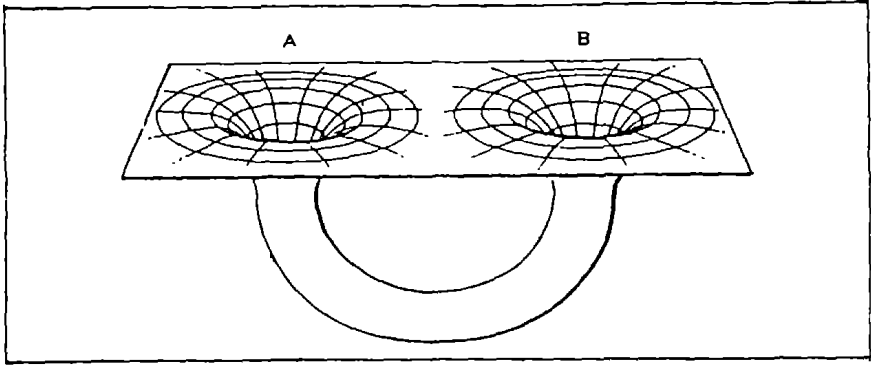
(شكل ٦-٤) ولكن تذكر أن هناك نسخة أخرى من الزمكان متضمنة في المعادلة، فالثقب الأسود هو عادة عنق ، أو ثقب دودي، يصل بين كونين .



(شكل ٦-٥) العيب فى الشكل السابق أن الاتصال يزول لحظياً ، فمع مرور الوقت ينشأ الثقب الدودى ثم يكتمل ثم ينقلب مرة أخرى فى غضون جزء من الثانية لدرجة أن الضوء نفسه لا يجد فرصة للمرور بين الكونين .
لعل هذا محبط للإنسان ، ذلك لأن العنق يبدو ملائماً ليس فقط للعبور بين الأكوان، بل بين مناطق من كوننا ، فالفضاء قد يبدو مسطحاً بالقرب من فتحتى العنق، ولكنه منحني بركة على البعد من الثقب الدودى، بصورة تجعله بالفعل طريقاً مختصراً داخل مناطق الكون (شكل ٦-٦) . لو تصورت انفراد الكون بأكمله ليكون مسطحاً فيما عدا بالقرب من الثقب الدودى فسوف تحصل على (شكل ٦-٧) ، وفيه يصل ثقب دودى منحني بين منطقتين منفصلتين تماماً من الكون . ولا تتخذ بأن المسافة بين فتحتى الثقب تبدو أقصر على الفضاء المسطح عما هى خلال الثقب الدودى ، فالمعالجة بمفهوم الزمكان رباعى الأبعاد تبين أنه حتى الثقوب الدودية المنحنية يمكن أن تكون طريقاً مختصراً بين النقطتين "أ" و"ب".



(شكل ٦-٦) لو أمكن إيجاد طريقة لاستبقاء الثقب الدودى مفتوحاً ، فقد يكون وسيلة للانتقال عبر الكون.



(شكل ٦-٧) الثقب الدودي فى هذا الشكل يُعتبر طريقاً مختصراً فى الأبعاد الأربعة حتى ولو بدا أطول .

يمكن على الأقل أن يقوم الثقب بهذه الخدمة لو لم ينغلق فى لمح البصر، واحتاج الانتقال عبره إلى التحرك بأسرع من سرعة الضوء ، وتنبع المشكلة الثانية من كون أن مفردة المستقبل فى شكل بنروز لتقب شفارتزشلد الأسود تقع فى خط أفقى، فتجعل أى شىء يعبر أفق الأحداث يصطدم بها لا محالة ، ولكن هذه ليست نهاية القصة فيما يتعلق بالاتصال عبر الفضاء الأعظم ، فثقب شفارتزشلد لا يحمل أية شحنة كهربية، وليس دوّاراً ، ومن المثير أنه حينما يُضاف أى من هذين العنصرين : الشحنة أو الدوران، فإن طبيعة المفردة سوف تتغير، فاتحة مجالا للعبور خلال الكون، وبسرعة أقل من سرعة الضوء .

شحن خلال الفضاء الأعظم :

لا يُعتقد أحدٌ كثيراً فى احتمال وجود الثقوب السوداء المشحونة ؛ فلو أن ثقباً أسود كَوْن لنفسه شحنة موجبة مثلاً، لتعادل على الفور عن طريق اقتناص جسيمات سالبة كالإلكترونات ، وطرد أية جسيمات موجبة يجدها فى طريقه كالبروتونات ، ومن جهة أخرى فلا يعتقد أحد كثيراً فى عدم دوران الثقوب السوداء ، فبال تأكيد يجب أن تكون كذلك . ومع ذلك ، فقد يكون من المناسب بحث حالة ثقب أسود مشحون وساكن، حتى مع استبعاد هذا الفرض ، وبيان كيف يقدم طريقة لإنشاء معبر عبر الأكوان ، بهذه الطريقة بدأ النسبيون بحثهم لهذه الظاهرة. وأيضاً، مرة أخرى ، قبل أن يجف المداد الذى كتب به أينشتاين معادلات النسبية .

ويُعرف وصف نسيج الزمكان بالقرب من ثقب أسود غير دوّار بهندسة رايسنر-نوردشتروم ، ولكن على عكس أينشتاين وروزن، لم يعمل رايسنر ونوردشتروم معا. فقد كان لهاينرك رايسنر Heinrich Reissner فضل السبق في هذا المجال، بأن نشر بحثاً في ألمانيا عام ١٩١٦ الجاذبية الذاتية للمجالات الكهربائية في مضممار نظرية أينشتاين، ثم أكمل الفنلندي جونار نوردشتروم Gunnar Nordstrom بحث الموضوع عام ١٩١٨ . ومرة أخرى ، يسهل فهم الموضوع من خلال رؤية النسبويين القياسية، شكل بنروز .

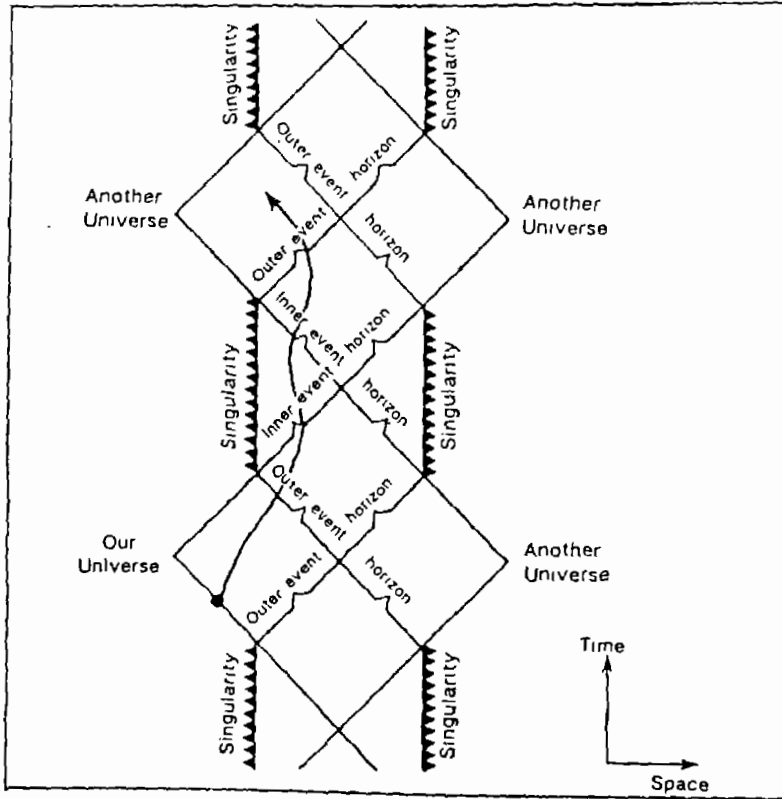
إن إضافة شحنة كهربية للثقب الدوار تمده بقوة مجال ثانية، تُضاف للجاذبية ، ولكن لأن الشحنات المتشابهة تتنافر (الموجبة مع الموجبة والسالبة مع السالبة) فإن قوى المجال الكهربى تعمل عكس عمل الجاذبية، تحاول أن تفجر الثقب أشلاء بدلاً من ضم شمله بقوة ، ويعنى ذلك وجود أفق أحداث آخر خاص بالمجال الكهربى داخل الأفق الخاص بالمجال الجنبى .

وما يعنيه هذا بالمدلول المادى هو وجود سطحين كرويين متداخلين، يحيطان بالمفردة ، كل أفق يعتبر موضعاً لتوقف الزمن من وجهة نظر مراقب خارجى. ويكون نصف قطر الأفق الخارجى أقل قليلاً من مثله لثقب غير مشحون ، فى حين يتناسب قطر الثانى مع مقدار الشحنة الكهربائية ، فيكون أبعد عن المفردة حين تكون الشحنة كبيرة . ومن ناحية المبدأ ، لو كانت الشحنة بحيث يتطابق الأفقان، فإنهما يتفانيان، لتُترك المفردة عارية ، ولكن هذا الوضع غير مُتصوّر عملياً. ومع ذلك فإن هندسة رايسنر-نوردشتروم لا يوجد فيها مكان لرقيب كونى، والأكثر من ذلك، فإن مسافراً جسوراً يقترب من المفردة لن تجنّبه إليها، بل ستطرده عنها، ممثلة شيئاً مثل الجاذبية العكسية.

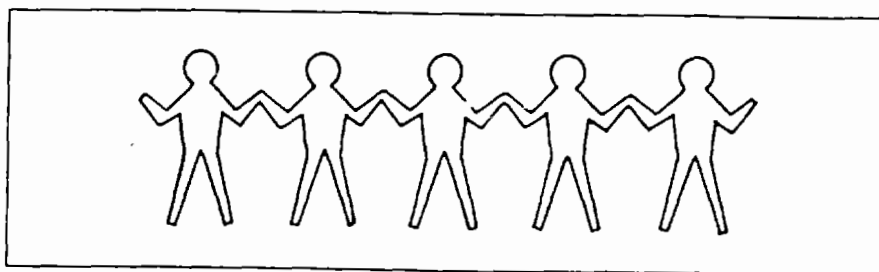
ولكن حتى هذا لا يمثل إلا بداية العجائب للثقب المشحون، تذكر أنه بمجرد عبور أفق الأحداث فى ثقب شفارتزشلد فإن الفضاء والزمن يتبادلان الأدوار ، ونتيجة لذلك لا يكون الخط الكونى للمفردة خط نقطة فى الفضاء تتحرك رأسياً مع الزمن، بل يكون خطاً أفقياً يملأ الفضاء بأكمله، ومن ثم لا يكون هناك مفر من الوقوع فيها . ولكن حين تعبر أفق الأحداث فى هندسة رايسنر-نوردشتروم، فإن انعكاساً ثانياً للأدوار سوف يحدث، حين تعبر الأفق الثانى، فيعود الخط الكونى للمفردة رأسياً (شكل ٦-٨) ، فى هذه الحالة يمكن للملاح الماهر تحاشى الوقوع فى المفردة ، متحركاً بأقل من سرعة الضوء ، وأن يستدير ليعبر أفق الأحداث مرة أخرى خارجاً من الثقب ، ففى نفس الوقت التى تحاول الجاذبية فيه غلق الأبواب بين الاكوان ، يفتحها المجال الكهربى على

مصراعيتها. ولكن مفهوم الاتجاه الواحد لا يزال سارياً ، إذ لا يمكن للمسافر العودة من حيث جاء ، فهو لا محالة متجه إلى منطقة أخرى من الزمكان ، يشار إليها عادة بأنها كون آخر ، فمحاولة الرجوع تستدعي ، كما هو واضح من الشكل ، التحرك بأسرع من سرعة الضوء .

حتى هذا ليس نهاية القصة ، أعد النظر إلى (شكل ٦-٨) ، تجده مفتوحاً من الناحيتين، معطياً الفرصة لعدد لانهاى من الأكوان ، يطلق على هذه الخريطة عادة اسم "طوبولوجيا العرائس الورقية" paper doll topology، حيث تمثل الأكوان المتتالية بعرائس متشابكة الأيدي إلى ما لا نهاية كالمبين فى (شكل ٦-٩) .



(شكل ٦-٨) خريطة الزمكان لثقب أسود مشحون كهربياً ، تبين كيف يربط بين عدة أكوان (أو عدة مناطق فى الكون). فلأن المفردة قد أصبحت رأسية، فإنه يمكن تحاشيها والتنقل بين كون والآخر .



(شكل ٦-٩) تمثل خريطة مجموعة من الأكوان بمجموعة لانهائية من العرائس الورقية متشابكة الأيدي .

كل هذا صحيح من ناحية المبدأ، ولكن حيث إن الثقوب السوداء المشحونة لا توجد في كوننا، فإن الأمر ينحصر في الغرابة والإثارة ، عدا شيء واحد، إن دوران الثقب يعطى تأثيرات شبيهة للثقب المشحون ، وعلى وجه الخصوص ، فإن عزم دوران الثقب يُضاد الجاذبية أيضاً ، ويدفع بأفق الأحداث الداخلى بعيداً عن المفردة ، فاتحاً الأبواب أمام الأكوان الأخرى . وعلى العكس من الثقوب المشحونة، فإن الثقوب الدوارة موجودة بالفعل ، كما أن للثقب الدوار خصيصة يتميز بها ، وهى أن المفردة ليست نقطة ، بل حلقة يمكن للمغامر أن يقتحمها، ويعيش بداخلها ليرى ما يحدث ، وإلى أن تقدم ساجان لثورن بطلبه البرىء، كان هذا أقرب ما توصل إليه الرياضيون لوصف السفر المقنع خلال الثقوب الدودية الكبيرة .

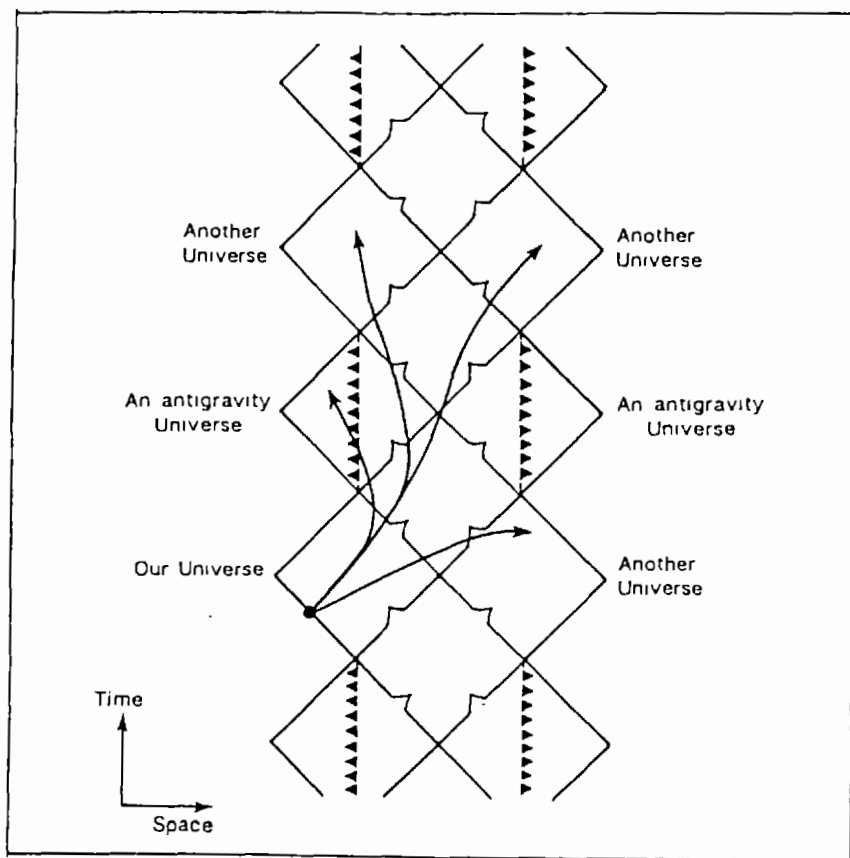
وصل الأكوان :

ينبعج أفق الأحداث الداخلى للثقب الدوار مثل انبعاج كرة الطاقة لثقب كِر، عند خط الاستواء دون القطبين ، لقد عقد هذا شكل الزمكان حول ثقب كِر ، وهو ما يفسر طول المدة التى استغرقت لحل معادلته . ولكن الثقب المشحون متماثل فى الأبعاد، وبالتالي أكثر سهولة ، ولذلك فبمجرد أن وضع كِر معادلته عام ١٩٦٣ ، ليسمح بإضافة تأثير الدوران ، أصبحت إضافة تأثير الشحن الكهربى أيضاً أمراً مباشراً إلى درجة كبيرة ، وقد قام بهذا العمل إرزا نيومان Erza Newman فى جامعة بتسبرج عام ١٩٦٥ .

ويعرف هذا الحل - والذي يعرف بحل كر-نيومان - الزمكان حول ثقب دوار، مشحون كهربياً . فإذا ما وضعت الشحنة تساوى صفراً في هذا الحل، تحصل على حل كر للثقب الدوار غير المشحون ، وإذا ما وضعت الدوارن فيه يساوى صفراً، تحصل على حل رايسنر-نوردشتروم للثقب المشحون الساكن ، وإذا وضعتهما معا مساويين للصفر ، تحصل على حل شفارتزشلد للثقب الساكن غير المشحون. فحل كر-نيومان لمعادلات آينشتاين تتضمن كافة الخصائص المتصورة للثقوب السوداء، الكتلة والشحنة وسرعة الدوران . وفى توافق مع مبدأ عدم الملامح للثقوب السوداء، فإن هذا يمثل الحل النهائى للمعادلات ، على الأقل فيما يخص الثقوب السوداء ، وحيث إن الثقوب المشحونة غير متصورة عملياً ، فسوف نركز على الأعاجيب المتاحة حرفياً للثقوب الدوارة غير المشحونة .

أولاً ، المفردة الحلقية . يفرض التزامنا بالشروط المعتادة للكتلة وحجم حلقة المفردة (بحيث لا يتمزق المغامر إرباً بفعل القوى المدية) يمكن للمغامر أن يقتحم الثقب من أحد أقطابه ثم يواصل مباشرة خلال الطوق الذى صنعه المفردة. وبمجرد أن يفعل ذلك، فإن العالم ينقلب رأساً على عقب . تقول المعادلات إن حاصل ضرب المسافة فى قوة الجاذبية فى هذا العالم يكون مقداراً سالباً . ويمكن أن يُترجم ذلك بأن تكون الجاذبية عادية تماماً ، ولكن الفضاء يكون هو السالب ، وهو أمر يشق على النسبيين إعطاء مدلول له . ولهذا السبب يميلون للتركيز على الاحتمال الآخر ، وهو أن الجاذبية تكون هى العنصر السالب ، فيتعرض المغامر لقوة تنافر لا تجاذب، فيعمل الثقب كثقب أبيض لا أسود.

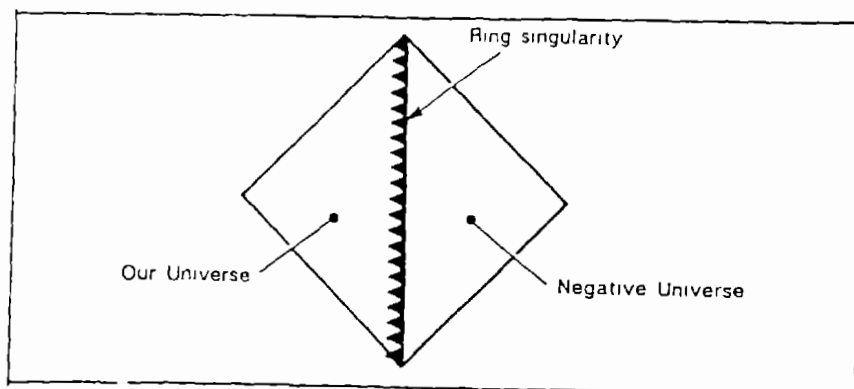
ذلك مضمون قاس على التصور، ولكن هناك ما هو أقسى بالنسبة للمعادلات التى نتحدث عن الجاذبية المنعكسة ، فالمغامر الذى يغوص فى الحلقة ويظل قريباً منها دائراً حول مركز الثقب الأسود على بعد مناسب يجد نفسه ماضياً فى زمن معكوس. ووجه الرحمة الوحيد بقوانين الفيزياء التقليدية أمام هذا الاحتمال يتمثل فى عدم إمكانية الرجوع إلى نفس الموضع الذى كان فيه المغامر، بالضبط كما شاهدنا فى هندسة رايسنر-نوردشتروم (شكل ٦-١٠) . فيمكنك بمعنى معين أن تصل إلى الكون التالى "قبل" مغادرتك الأول ، ولكن ليس ثمة من وسيلة أن تتصل بنفسك هناك لتخبرها عما وجدته فى المستقبل .



(شكل ٦-١٠) خريطة الزمكان لثقب أسود دوار ، يتشابه بقدر كبير مع الثقب المشحون، ولكن يتضمن عنصراً إضافياً، الجاذبية السالبة . أ- رحلات مسموح بها . ب- رحلات ممنوعة .

ومع ذلك ، فكما رأينا في حالة ثقب مشحون بشحنة كافية لأن يتطابق أفقا الأحداث، فیتقانيا تارکین المفردة عارية ، يحدث نفس الشيء للثقب الدوار بسرعة كافية ليطيع بأقصى أحداثه معرّياً مفردته ، ولكن تظل المفردة في هذه الحالة على شكلها الحلقي. لن يكون متاحاً فقط أن يسافر المرء خلالها، بل أن يراقبها من بعد عن طريق تلسكوبات جبارة .

ولكن لو قام الإنسان بالسفر خلال الحلقة إلى منطقة الكون السالب، فلن يتعذر عليك الرجوع من حيث أتيت. وشكل بنروز لهذه الحالة غاية في البساطة ، كونان أحدهما موجب والآخر سالب ، بينهما المفردة الحلقية ، كما هو موضح (بشكل ٦-١١) ، يمكنك في هذه الحالة من حيث المبدأ أن تقترب من المفردة من أية نقطة في الزمن أو في الفضاء في أحد الكونين ، وتتجول خلالها في طريقة مناسبة ، ثم تعود بالضبط لمكانك الأول، ولكن قبل مغادرتك له . إن مفردة كهذه لو كانت موجودة في الكون ، فإن السفر من نقطة جلوسك الآن إلى أية نقطة في الفضاء ، وإلى أى زمن ؛ ماضٍ أو حاضر أو مستقبل، سوف يكون متاحاً ، فقط لو عرف الإنسان الطريق الصحيح الذى يتخذه ، ويتم كل ذلك دون الاضطرار للسفر بسرعة أكبر من سرعة الضوء.



(شكل ٦ - ١١)

بالطبع قد تموت بسبب التقدم في العمر خلال الرحلة، ولكن ليست هذه هي النقطة الأساسية ، فمعادلات النسبية تتيح بالفعل السفر عبر الزمن، ولهذا فليس من عجب أن يتمنى الفيزيائيون من كل قلوبهم لو وجد الرقيب الكونى ، وحيث لا تبدو بادرة لهذا ، فإن العزاء الوحيد هو أنه ليس من المحتمل أن يدور ثقب بالسرعة المطلوبة للتخلص من أفقى أحداثه.

لندع الآن الخصائص الغريبة للمفردة الحلقية، ونركز مرة أخرى على الخريطة العامة لثقب كِر. إن هندسة هذه الخريطة تشبه طوبولوجيا العرائس الورقية لهندسة رايسنر-نوردشتروم ، فبتجاهل الكون السالب ، يمكننا أن نمثلها (بالشكل ٦-١٠) ،

ولكن مع تخفيف النتوءات الممتلئة للمفردة الحلقيّة، ليدل ذلك على عدم حدثها كما فى المفردة النقطيّة.

الخط النهائي لهذه الحسابات، حتى مع التجاوز عن أفكار الجاذبيّة السالبة ومناطق الزمن السالب، أن الأجرام التى يعرف الفيزيائيون قطعاً بوجودها، كالثقوب السوداء الدوّارة التى يعتقد أنها مغذيات الطاقة لأشباه النجوم، تتيح بالفعل السفر خلال الفضاء الأعظم إلى أكوّان أخرى ، فكيف يُترجم ذلك ؟ هل يوجد حقاً طبقات من الزمكانات تعلو بعضها البعض إلى ما لا نهاية ، (مهما كان تفسير ذلك)؟ من المقبول أيضاً فى سياق معادلات النسبيّة العامّة أن نقول إن كل هذه الطبقات هى جزء من كوننا ، والذى يقوم فيه الثقب الدوار بخدمة الاتصالات بين مناطق الفضاء الأعظم، على الصورة التى شرحتها سابقاً عن الثقوب السوداء ، فالثقب الأسود يصل بين نقاط الفضاء ، ليس مرة واحدة ، بل مرات عديدة، مقدّماً معبراً إلى مناطق أخرى فى أزمان أخرى ، فالكون الآخر الذى خرجت منه بعد رحلة كالمبينة (بشكل ٦-١٠) هو كوننا، ولكن قبل مليون عام (أو بعد مليون عام) . إن هذه الأفكار قاسية على فكرنا البديهي لدرجة أن العلماء شعروا بارتياح إلى حد ما حين قدمت حسابات عام ١٩٧٠ احتمالاً بأن الجاذبيّة الحقيقيّة للكون الواقعي بما يحتويه من أفق أحداث ومفردات يغلق هذه المعابر فى الفضاء الأعظم قبل أن يمر أى شىء فيها ، يبدو أن ثقوب الديدان لا توجد إلا فى كونٍ خاٍٍ، وبالتالي لا يوجد ما يمر خلالها.

حزمة من انزياح أزرق :

هذه المشكلة المتعلّقة بثقوب الديدان عُرفت بدايةً عن طريق الرياضيين الذين درسوا الثقوب البيضاء ، ويبدو أن واحداً منهم على وجه الخصوص، هو دوجلاس إيردلى Douglas Eardley قد نجح فى بداية السبعينات بصورة قاطعة فى إثبات أن الثقوب البيضاء لا يمكن أن توجد فى كوننا . كان ذلك مصدر إحباط لى، إذ إنه جذب البساط من تحت تفسير منطقى بعض الشىء لكيفية تكوّن المجرات على أساس نظرية وضعها العلماء السوفييت فى الستينات، أعجبتُ بها أشد الإعجاب، لدرجة تأليف كتابٍ عنها^(١) .

(١) كان اسمه ، وهو أمر منطقى تماماً : Whit holes .

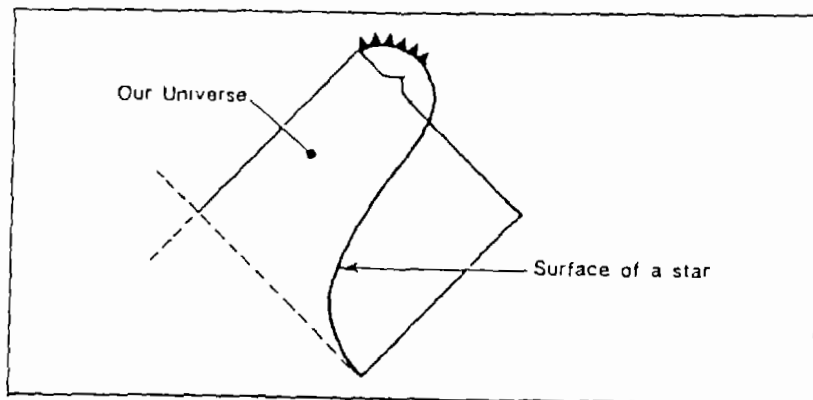
وقد كان أشهر من ساهم فى إحياء فكرة الثقوب البيضاء فى الستينات إيجور نوفيكوف Igor Novikov . كان مغرماً بالشواهد المتعلقة بالانفجارات النشطة فى الكون ، مثل الأنشطة المصاحبة لأشباه النجوم . وإلى ذلك الحين لم يكن أحد قد بحث باستفاضة الطريقة التى تتولد بها الطاقة نتيجة وقوع المادة فى ثقب أسود هائل الكتلة ، ثم ترتد خارجه من قطبية^(١) ، وقد تساءل الكثير من العلماء عن احتمال أن يكون الثقب الأبيض أيسر فى شرح هذه الظاهرة من الأسود . وقد اقترح نوفيكوف أنه بدلاً من أن نتصور الانفجار العظيم قد حدث فى مفردة لحظياً ، أن تكون أجزاء من المفردة قد تأخرت عن الانفجار شيئاً ما . إن انفجار هذه «البذور المتأخرة lagging cores» يمكن أن يثبت مادة فى الكون بنفس الصورة التى نراها اليوم من أشباه النجوم . والأكثر من ذلك ، فإن جاذبية تلك البذور ، حتى قبيل انفجارها ، يمكن أن تجمع حولها من مادة السديم الكونى ما يمكن اعتباره نويات لتكون المجرات فيما بعد . هذا للأسف مجمل التفسير الذى عصف به إيدلى ، ولنبدأ بيان السبب بإلقاء نظرة على شكل بنروز .

كما يتحدث النسبيون عن الثقوب السوداء والبيضاء ، يتحدثون أيضاً عن «الثقوب الرمادية grey holes» . فالثقوب السوداء هى التى يسقط فيها المادة والإشعاع ، ولا يخرج منها شئ البتة ، والثقوب البيضاء تنفث المادة والإشعاع ، ولا يمكن لشئ أن يسقط فيها البتة ، أما الثقب الرمادى فهو جرم يمكن للمادة والإشعاع أن ينفثا منه ، ليرتفعا إلى مسافة معينة من أفق الأحداث له ، ثم يعودا إليه مرة أخرى^(٢) ، ولا تنس أن هذه الثقوب الثلاثة تفسر على أساس مفردتين ، واحدة فى الماضى والأخرى فى المستقبل . ويبين شكل ٦-١٢ حقيقة أن هذا القول مؤسس على مثالية رياضية صرفة ، فالشكل يبين الوضع الواقعى لانتهيار نجوم ضخمة الكتلة إلى ثقب أسود . فالزمكان يوصف فعليا بدقة بواسطة حل شفارتزشلد فى المنطقة فوق (أو خارج) سطح النجم ، أما النجم ذاته فيجعل جزءاً لا بأس به إلى اليمين من مخطط الزمكان بلا معنى . فقط حين ينهار النجم يتحقق "مترى" شفارتزشلد بذاته فعلاً ، وتكون لمفردة المستقبل فقط إمكانية الوجود ، فللنجم الواقعى لا توجد مفردة للماضى ، ولا أفق أحداث له يمكن لشئ أن يخرج منه . فمن بين العناصر الثلاثة للموضوع ، ليس سوى الثقب الأسود ما يمكن أن يتحقق واقعياً .

(١) شرح ذلك فى كتاب شاركت فى تأليفه مع مارتين ريس Martin rees ، الفلكى الذى وضع النموذج لذلك ، بعنوان "مصادفات كونية Cosmic Coincidence" .

(٢) لو صحت الفكرة القائلة بأن الكون سوف يعود بعد الاتساع الناتج عن الانفجار العظيم إلى الانكماش إلى مفردة فى الانسحاق العظيم ، فإن معنى ذلك أننا نعيش فى ثقب رمادى .

وطبيعاً يُمكن لثقب دوار بسرعة كافية أن يخلق ثقب كِر الأسود، والذي يعطى معبراً لأكوان أخرى، بحيث أن المادة المنهارة في كوننا تبتث فيها من خلال مفردة الماضي كثقب أبيض ، ولكن هناك بعض الصعوبات أمام هذا التصور أيضاً. الأولى متعلقة بإشعاع هوكنج .



(شكل ٦-١٢) سبب الإحباط: الثقب الأسود الذي يتكون في زماننا ليس له مفردة ماض، حيث إن مفردة المستقبل هي ما تتكون من انهيار النجم . يلغى هذا الاحتمالات المثيرة للسفر عبر الفضاء والزمن ، مالم توجد طريقة اصطناعية لفتح عنق الثقب الدودية .

فالمفردة التي تقع أفقية عبر مخطط الزمكان في المستقبل (تسمى هذه المفردات الأفقية "فضائية النزعة" spacelike لأنها تشمل كل الفضاء، ولكن فقط للحظة من الزمن) لا تعاني من تبعات التبخر الذي قال به هوكنج. فمن وجهة نظر تلك المفردة، يقع الزمن برمته في الماضي، ولا يوجد مستقبل يحدث فيه ذلك الإشعاع (مع الافتراض دائماً بأن الزمن غير قابل للانعكاس، وهو افتراض لا يزال يدور حوله بعض الجدل) ، أما المفردة فضائية النزعة المتعلقة بالماضي فيمكن أن تنتج الجسيمات من خلال عملية هوكنج، بغزارة قد تصل إلى أن تفنى معها هي نفسها. هذه الجسيمات مألها بطبيعة الحال أن تملأ داخل الثقب، فتتجمع بلا مندوحة لتصنع مفردة مستقبل فضائية النزعة .

ولا يغير ذلك في الحقيقة من ثقب شفارتزشلد كثيراً، وإن كان يُلقى بعض الضوء على ما يحدث داخل الثقب، والذي كان يُظن دائماً ألا يضم شيئاً جديراً بالاهتمام. المأخذ الوحيد يحدث حين نطبق نفس المنطق على المفردة الرأسية (زمنية النزعة timelike) المصاحبة للثقب الدوار. فقبل كل شيء، إن حقيقة أن هذه المفردة هي مفردة مستقبل أُديرت لتصبح زمنية النزعة هو ما يجعل من ولوج مركبة للثقب ثم الخروج منه للوصول

لكون آخر، دون أن تسحقها الجاذبية، أمراً محتملاً من حيث المبدأ. ولكن إذا ما تبخرت المفردة زمنية النزعة ذاتها فى عملية هوكنج، فما الذى يحدث لكل الجسيمات التى أنتجت؟ مرة أخرى، كما يذهب بعض الرياضيين كأبسط تفسير للمعادلات، سوف تتجمع لتكوين مفردة فضائية النزعة، تسد الطريق أمام الأكوان الأخرى.

ويجب على أن أصرح بعدم اقتناعى بكل هذا الجدل. إن الخصيصة الرئيسية لبخر هوكنج، فى صورته الأصلية، أنها تتضمن عمليات تحدث عند أفق الأحداث، بحيث عندما تُخلق أزواج من الجسيمات، تفر البعض منها مبتعدة، بينما تُمتص قرائنها داخل الثقب فى حالة من الطاقة السالبة. وليس واضحاً تماماً أن هذا يمكن أن يحدث داخل أفق الأحداث ذاته، ومع ذلك فإن رياضيين أعلى منى منزلة يأخذون هذا الجدل مأخذ الجد، وإذا كان من حقهم هذا فإن معناه أن العمليات الكمّية توصد الباب الذى تفتحه النظرية النسبية للأكوان الأخرى، وحيث لا يوجد تحت أيدينا نظرية شاملة تجمع بين النظريتين، فإنه يمكن القول بأن هذا لا يمثل القول الفصل فى الأمر. ويمكننا أن نرى كيف أن نتائج حاسمة للغاية يمكن أن تتقلب رأساً على عقب بالنظر فيما قام به إيردلى، والذى بدا وقت الإعلان عنه أنه قد وضع سحابة كثيفة على احتمال وجود الثقوب البيضاء، حتى على أساس من النظرية النسبية.

إن النقطة الجوهرية التى أظهرها بنظرته الواقعية لانهيار النجوم هى ضرورة الأخذ بالتوزيع الواقعى للمادة خارج النجم، وليس الاعتماد على معادلات منمقة تصف الزمكان المنحنى، ولا تتور مثل هذه المشاكل حين نصف الانفجار العظيم ذاته، حيث لم يكن ثمة "خارج"، وبالتالي لا يوجد مادة أو طاقة فى الخارج تشغل بالنّا. ولكن بالنسبة للبذور المؤجلة يختلف الأمر، فلقد سبق أن نوهت بأنه من بين الأشياء المثيرة فى عمل نوفيكوف تفسير ظهور المجرات خلال تمدد الكون. نقطة الضعف هى أن هذه البذور سوف تمسك بالمادة، بل وبالضوء، بشدة أكثر من اللازم. تذكر أن الضوء الفار من سطح الثقب الأسود يعانى انزياحاً أحمر لدرجة فقدته لكل طاقته، فهو انزياح أحمر لانهائى. ولكن الضوء الذى يلج الثقب يكتسب طاقة، وحين يعبر أفق الأحداث يكون قد حدث له انزياح أزرق لانهائى، ولا يهمنا هذا الأمر، طالما أن الشعاع محبوس داخل الثقب (وإن كانت له تداعيات مثيرة سوف أتعرض لها فى الفصل الثامن)، ولكن فكر فيما يحدث لثقب أبيض، فى كون واقعى يتكون بالفعل من مادة وطاقة، يحاول أن يخرج من المفردة.

إن القلب المتمدّد للثقب الأبيض سوف يحوز حقلاً جذاباً مساوياً تماماً لمائله من الثقب الأسود، وعلى ذلك فإن المادة والطاقة سوف تتكدس فوقه آتية من الكون الخارجى ، حتى مع محاولة الثقب الأبيض أن يتمدد للخارج . والمشكلة أشد حدة على وجه الخصوص بالنسبة للبذرة المؤجلة المتخلّفة عن الانفجار العظيم ، حيث كانت وقتها محاطة بجحيم مستعر من الطاقة يمكنها أن تتغذى عليه . ولكن إيردلى بيّن أن الكون اليوم به أيضاً كمّ هائل من الطاقة، فقط فى ضوء النجوم، يمكن أن يحدث نفس التكدس عند أفق الأحداث. وقبل كل شيء، فإذا كان الانزياح الأزرق لانهائياً، فإن أدنى كمية من طاقة تلج الثقب كافية لأن تتسبب فى مشكلة الانزياح الأزرق. ويتمثل هذه المشكلة اليوم فيما يسمى بظاهرة «الحائط الأزرق»^(١) blue sheer ؛ حائط يحيط بالثقب، به من الطاقة الهائلة ما يكفى لأن يحنى الضوء الزمكان فى ثقب أسود يحيط بالأبيض. وكما عبر عن ذلك نك هربرت Nick Herbert - الفيزيائى - من ستانفورد "إن كوناً كالذى نعيش فيه يضم من الطاقة والمادة ما يكفى لخلق حوائط زرقاء تخنق أى ثقب أبيض وليد فى مهده". وتشير الحسابات إلى أن عملية الخنق هذه لأية بذرة مؤجلة تحاول أن تنشط من جديد اليوم لن تستغرق أكثر من جزء من ألف من الثانية.

لم تُحل إلى الآن بصورة نهائية المعادلات متناهية الصعوبة التى تصف تفاعل الحوائط الزرقاء مع ثقوب الديدان ، ولكن بنهاية الثمانينات كان الكثير من الفيزيائيين يعتقدون أنها تقف عائقاً ضد الاتصال بين الأكوان. ولك أن تتخيل مدى دهشتهم حين بيّنت الدراسات فى بداية العقد التالى مباشرة أن هذا الظن ليس صحيحاً .

اقتحام الحائط الأزرق :

لم يقم بهذا العمل أحد قبل أن ينشط ثورن وزملاؤه لتحقيق مطلب ساجان ، ولكن النتيجة تترتب أيضاً بصورة منطقية من عمل إيردلى ، ومن ثم فإنه من المعقول أن نبدأ به، ولكنى أعد بأن أعود لمنظور الخيال العلمى ، لنرى أية حقائق مثيرة تمخّضت عنه .

(١) الترجمة الحرفية "الستارة الزرقاء" ، ولكن الستارة لا يمكن أن تكون من القوة المطلوبة لحجب الثقب الأبيض كما سيرد - المترجم .

بيِّن إيردلى أن مشاكل الحوائط الزرقاء تنشأ فى الكون الواقعى لأنه بالإضافة إلى الأخذ فى الاعتبار انحناء الزمكان نتيجة للمفردة ، يجب أيضاً أن ندخل الطريقة التى بها يتفاعل الزمكان المنحنى مع الطاقة والمادة فى الكون الخارجى . ولكن كيف يتم ذلك التفاعل ؟ لقد افترضت هذه الدراسات أن الزمكان خارج الثقب الأبيض أو الأسود مسطح ، وهو فرض يقترب من الحقيقة بالنسبة لمناطق من الفضاء على مستوى نظامنا الشمسى أو مجرة درب التبانة ، لدرجة أخذها كحقيقة مسلم بها ، فهى أول خطوة فى عملية التقريب للواقع . ولكنها قد لا تكون الحالة على مستوى الكون بأسره ، فمعادلات أينشتاين تُبيِّن أن الاحتمال بعيد أن يكون الكون مسطحاً ، بل إما على شكل سرج مفتوح أو منغلق على شكل كرة . وقد بين باحثون أنه لو كان كروياً (وهو الأمل المحبذ لدى أغلب الفلكيين لأسباب سنعرض لها فى الفصل الثامن)، فإنه من المحتمل أن توجد ثقوب فى قصة الحوائط الزرقاء، حتى وإن لم تكن فى الحوائط ذاتها .

رحلة فى الفضاء الأعظم :

بسبب سهولة التعامل مع حل رايسنر- نوردشتروم عن حل كِر، فإن التركيز إلى الآن ينصب على تصرف ثقب مشحون فى نموذج رياضى مثالى لكون واقعى. ومن المتوقع أن يكون بالإمكان حمل النتائج التى يتم الوصول إليها إلى ثقب كر الدوار، ولكن الدراسات لا تزال مبكرة، ومن ثمة فالاحتمال قائم أن يحمل إضافة الدوران المزيد من المفاجآت. وتنشأ مشكلة الحوائط الزرقاء بالنسبة للتصور القديم (بكلمة القديم نعنى قبل ١٩٨٨) عند أفق الأحداث الداخلى، والذى يطلق عليه أيضاً «أفق كوتشى Cauchy horizon» ومن الممكن شرحها على أساس فيزيائى كنتيجة لجلوس مراقب عند ذلك الأفق يرى المستقبل اللامحدود للكون الخارجى فى حيز الزمن المحدود لتوقيته ، ولكن لنفرض أن الكون الخارجى ليس له مستقبل لامحدود! ماذا لو أنه محدود، ولكن بلا حدود، كسطح الكرة ؟

دُرس هذا الاحتمال بصورة أساسية بواسطة فلسلى ميلور Filcity Mellor أثناء عمله مع إيان موس Ian Moss الأستاذ السابق لهوكنج وبول ديفز Paul Davis الذى كان وقتها أستاذاً فى نيوكاسل ولكن استقر به المقام فى جامعة إدليد باستراليا . لقد بحثوا فى الوصف الرياضى للثقوب الدودية المصاحبة لثقب أسود مشحون فى هندسة

كون مغلق ، له بذاته أفق أحداث كوني ، بعبارة أخرى، كان عليهم التعامل مع ثلاثة أفق أحداث ؛ اثنان للثقب وواحد كوني . كما تضمنت النماذج خصيصة أخرى أيضاً ، متعلقة بالثابت الذى وضعه أينشتاين لكى يجعل الكون الذى تصفه معادلاته ساكناً . ولكن هذا الثابت فى صورته الجديدة لم يدخل لهذا الغرض، بل يهدف إلى العكس تماماً، لشرح كيف يمكن للكون أن يتمدد على الرغم من الجاذبية المفرطة للمفردة الأولية . فهو يعمل على حافة تلك الفترة المبكرة من عمر الكون كنوع من الضغط المقاوم للجاذبية ، يسمح للكون الوليد أن ينمو من حجم أقرب لنواة الذرة إلى حجم ثمرة جريب فروت فى غضون جزءٍ من الثانية، ثم يذوى تاركا الكون يواصل تمدده .

تُسمى مرحلة هذا التمدد السريع بمرحلة «التضخم inflation»، وتمثل عنصراً أساسياً فى رؤية العلماء الحاليين للانفجار العظيم . وأصبح لازماً إعادة الحسابات المتعلقة بالثقوب الدودية مع وجود هذا الثابت الكوني. فى مثل هذه التصورات يكون الفضاء الذى لا يحتوى على مادة مركزة قريباً من المسطح، ويطلق عليه "فضاء دى سيتير" *de Sitter space*، إلا أنه بالنسبة للزمكان ذاته فلا يزال منحنيًا انحناءً طفيفاً يمكنه من الانغلاق على نفسه . فالزمكان أشبه بثقبين أسودين على طرفى النقيض من الكون ، وقد بين ميلر وموس أنه فى هذه الظروف يمكن للكون أن يحتوى على العديد من الثقوب السوداء منفصلة بمناطق تنتمى بدرجة كبيرة إلى فضاء دى سيتير، وأن هذه الثقوب يمكن (لو سُحِنت) أن تتصل عن طريق ثقوب دودية مستقرة. وفى بعض الأحيان، يمكن لمفردة عارية أن تتكون، متحدية الرقيب الكوني، وأن يسافر المرء بين ثقب والآخر .

وكانت المساهمة الأساسية لبول ديفز فى هذا العمل تتمثل فى إضافة التأثيرات الكمية. فكما بين هوكينج بكل حماس فى بداية السبعينات ، يمكن لتلك التأثيرات أن يكون لها وقع خطير على سلوك الثقوب السوداء، وكان من الطبيعى أن يثار التساؤل حول أن تعيق تكون الثقوب الدودية. ولكن كلا ، وفى عام ١٩٨٩ بين ديفز وموس أن أخذها فى الاعتبار لثقب أسود مشحون فى كون مغلق ، لن يمنع تصور المروق خلال الثقب إلى كون آخر ، كما أنه لا التأثيرات الكمية ولا الثابت الكوني يمنعان الثقوب الدودية القابلة للعبور عن التكون، وأن حلول «ميلر وموس» يمكن أن تقدم معابر حقيقية بين الأكوان .

كل هذا العلم متعلق بالخصائص الطبيعية للكون، ثقب سوداء متكونة بصورة طبيعية، كمثل تلك المرتبطة بأشباه النجوم ، أو متخلفة عن التكس الهائل للانفجار العظيم ذاته ، فلو أنه أمكن للرياضيات أن تعمم ذلك إلى الثقوب الدوارة ، فإن ذلك يعنى أن اتصالات الفضاء الأعظم يمكن أن تتحقق فى كوننا .

هندسة ثقب الديدان :

لم تزل هناك مشكلة يجب على مهندس ثقب الديدان الحريص الانتباه إليها. إن أبسط الحسابات تقترح أنه مهما كان ما يحدث خارج الكون، فإن المسار الحقيقى لمركبة عبر الثقب (أو بالأحرى محاولة المرور عبره) يجب أن تؤدي إلى غلق بوابة النجم على التو . إن المشكلة هي أنه حتى مع التجاوز عن عملية تكس الإشعاع من الموجات الراديوية أو الضوئية للمركبة عند المفردة مكونة حائطاً أزرق ، فإن أى جسم يكتسب تسارعاً يؤدي، طبقاً للنظرية النسبية، إلى اهتزازات فى نسيج الزمكان تسمى "موجات الجاذبية gravitational waves" . هذه الموجات ثبت فى الفضاء من ثنائيات النجوم النابضات ، مما يستنزف طاقتها ويؤثر على مسارها تأثيراً ملموساً ، مما يعتبر أصدق دليل إلى الآن على دقة النظرية النسبية. قموجات الجاذبية المتقدمة على المركبة فى دخولها الثقب ، سوف تتضخم بصورة لانهائية عند اقترابها من المفردة ، محنية الزمكان حولها بما يغلق الباب أمام المركبة ، فحتى لو وجدت ثقب ديدان طبيعية ، فإنها سوف تكون غير مستقرة لأدنى اهتزاز ، بما فى ذلك اهتزازات من يحاول المروق خلالها .

ولكن ثورن ورفاقه وجدوا حلاً لساجان إزاء ذلك، فالثقوب فى قصته ليست طبيعية فى المقام الأول، بل مهندسة، ويقول فى ذلك أحد أبطال قصته :

يوجد نفق فى حل كير الصحيح لمعادلة أينشتاين ،
ولكنه غير مستقر. إن أقل اضطراب سوف يغلقه تماماً ،
ويحيل النفق إلى مفردة لا تسمح بمرور أى شئ على الإطلاق. ولقد تخيلنا حضارة متقدمة لدرجة إمكانها أن
تتحكم فى طريقة انهيار النجم لتحافظ على استقرار
النفق ، وهذا أمر بالغ الصعوبة ، فعلى تلك الحضارة أن
تراقب الثقب وتتابعه على الدوام .

ولكن النقطة هى أن ذلك وإن كان صعباً إلا أنه ليس مستحيلاً ، فيمكن تنفيذ ذلك عن طريق عملية تسمى "التغذية المرتجعة السالبة negative feedback" ، تُمكن من إزالة الاضطرابات التى تلحق بثقوب الديدان عن طريق خلق اضطرابات مضادة تماماً لها. هذه العملية هى عكس عملية التغذية المرتجعة الإيجابية positive feedback التى نألفها حين يصدر مكبر الصوت (الهورن) صوتاً مزعجاً ، وذلك بسبب توجيهه إلى لاقط الصوت (الميكروفون) . فى هذه الحالة فإن أقل شوشرة يلتقطها لاقط الصوت تدخل جهاز التكبير الإلكتروني، فتخرج مكبرة من مكبر الصوت، فيلتقطها لاقط الصوت فتكبر ثم تذاغ مكبرة، وتتوالى العملية إلى أن يضج الناس من شدة الضوضاء. تصور لو أن جهاز التكبير الإلكتروني كان مبرمجاً بحيث يصدر موجة صوتية مضادة تماماً للشوشرة الملتقطة ، إن عملية تغذية الشوشرة بين اللاقط والميكروفون تكون بحيث يلاشى بعضها أثر بعض . بنفس المنطق يمكن لتلك الحضارة المتقدمة أن تنتج بصورة ما ترددات مضادة تماماً لموجات الجاذبية ، تزيلها قبل أن تغلق الثقوب الدودية .

ولكن من أين تأتى تلك الثقوب بادئ ذي بدء؟ لقد وصل فريق ثورن إلى طريقة تخالف تماماً ما درج عليه القوم قبلهم فى التفكير بشأن الثقوب السوداء . فبدلاً من أن تكون نقطة البداية لديهم هى بحث ما يصير لجرم من أجرام السماء، كنباض أو شبه نجم، بدعوا برسم هندسة تتيح خلق ثقب دودى قابل للعبور، ثم عادوا القهقري بالمعادلات لمعرفة أى شكل من أشكال الطاقة والمادة كفى لتحقيق هذه الهندسة ، وحين نسترجع الحوادث نجد أن ما وصلوا إليه كان أمراً عجباً ، لقد كان المطلوب خلق مجال ينتج نوعاً من القوة الطاردة ، أو الضغط السالب .

ويردد ذلك صدى ما يبتغيه العلماء من الثابت الكونى، ألا وهو الحفاظ على تمدد الكون فى مراحله الأولى. ولسوف أعود إلى بيان الرابطة بين الأمرين حالاً ، فالعامل الحرج للحفاظ على ثقب دودى مفتوحاً هو أن يمارس ضغطاً سالباً أكبر من طاقة الكتلة للجرم الذى يكون الثقب الأسود ، أو بعبارة أخرى قوة طاردة^(١) تلاشى أثر جاذبيته داخل الثقب الدودى ذاته . فلخلق ثقب باتساع عدة كيلومترات (فى حدود نجم نيوترونى تقريباً) يتطلب الأمر خلق ضغط سالب يفوق الضغط داخل النجم النيوترونى.

(١) يطلق عليها antigravity ، وقد ترجمت حرفياً فى قاموس أكاديمية جاذبية مضادة ، تسمى بمردول البادئة anti بانها «مضاد» ، وهو مصطلح غامض يتضمن تناقضاً ، ومن ثم نفرض أن نسميها بمردول الصحيح ، (وقد فسرت المادة فى ذات القاموس بانها قوة طاردة ، وقد كان بالأحرى التحرر من الترجمة الحرفية) - المترجم .

وليس من عجب أن يطلق العلماء على المادة التي تتيح خلق هذا الضغط «المادة الشاذة exotic matter»^(١). وقد بينَ فريق كالتك أن أى ثقب دودى قابل للعبور يُصمَّم هندسياً يجب أن يحتوى على مثل هذه المادة. وقد كان من شأن عمل موريس وميلر أن يخفف من هذا المطلب القاسى ، إذ أن عملهم قد بينَ إمكانية وجود ثقوب دودية طبيعية دون اشتراط هذه المادة . ولكن بما أن الحضارة المتقدمة لا تضمن وجود ثقوب دودية طبيعية حيث يشاؤون ، فلا مندوحة إذن من الاحتياج للمادة الشاذة .

إن وجود الضغط السالب فى كوننا، والذي ينتظر خلقه من المادة الشاذة، أمر لا يخطر على بالنا بالتأكيد ، أليس كذلك ؟ ولكن رويداً ، قد تكون مخطئاً فى ذلك . لعلك تذكر أن بحر هوكنج يخلق حالة من طاقة سالبة، وهى تعادل نوع الضغط السالب الذى يعمل عند أفق الثقب الأسود ، زد على ذلك أن هناك طريقة أمكن بها بالفعل إنتاج مثل هذا الضغط السالب وقياسه معملياً .

إنتاج الضغط السالب :

إن مفتاح اللغز فى قضية القوة الطاردة قد عثر عليه العالم الهولندى هندريك كازيمير Hendric Casimir ، الذى كان مولده فى لاهاي عام ١٩٠٩ ، وأشهر مساهماته العلمية هى فى موضوع التوصيل الفائق، ظاهرة غريبة تفقد فيها بعض المواد حين تبريدها مقاومتها الكهربائية (كانت الدهشة بالغة لدى العلماء الفيزيائيين والمهندسين أن يكتشفوا أن هذه الظاهرة قد تحدث عند درجات أعلى نسبياً ، ولكن ليس إلى درجة حرارة الغرفة)^(٢) . إلى عام ١٩٤٢ كان كازيمير يعمل فى معامل فيليبس الجبارة، وبعدها تحول إلى ظاهرة أشد غرابة من التوصيل الفائق ، متضمنة فى قلب النظرية الكمية^(٣) ، تعرف اليوم بظاهرة كازيمير.

(١) وجه الشذوذ فيها أنها تولد قوة تنافر بين جزيئاتها بدلاً من قوة الجاذبية التى قال بها نيوتن - المترجم .

(٢) يوجد فى الواقع نوعان من التوصيل الفائق ، ذلك الذى يؤثر على المواد الموصلة كهربياً ، ويحتاج إلى درجة حرارة تزيد عن الصفر المطلق بدرجات قليلة للغاية ، (أربع درجات مثلاً) ، والنوع الثانى يعمل على المواد غير الموصلة كالخزفيات ، ويمكن حدوثه عند درجة حرارة فى حدود مائة درجة فوق الصفر المطلق -- المترجم .

(٣) والتوصيل الفائق أيضاً متضمن فى قلب النظرية الكمية - المترجم .

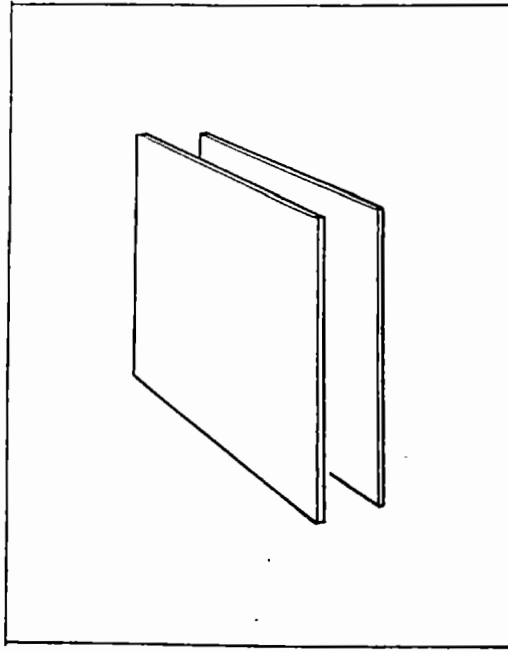
أبسط طريقة لفهم ظاهرة كازيمر هي بتصور لوحين معدنيين متوازيين، على قرب شديد من بعضهما البعض، لا شيء بينهما ، كما هو مبين (بشكل ٦-١٣) . وقد سبق أن بينا أن الفراغ الكمى ليس خواءً خالصاً ، بل يملج بنشاط محموم متمثل فى الخلق والافناء اللحظى لأزواج الجسيمات التقديرية ، من بين هذه الجسيمات الفوتونات، وهى الجسيمات التى تحمل القوة الكهرومغناطيسية ، ومن بينها جسيمات الضوء ، هذه الجسيمات هى أسهل ما ينتج من جسيمات تقديرية ، أولاً لكونها هى نفسها نقيض نفسها ، وثانياً لأن كتلتها صفر ، فلا يتطلب لها طاقة كتلة، وكل ما يتطلب استعارته من طاقة من الفراغ الكمى هو الطاقة التى يحملها الفوتون ، وكما سبق أن ذكرنا فهذه الطاقة تعتمد على تردد الفوتون ، كلما زاد التردد زادت الطاقة ، وعلى ذلك فبإمكاننا تصور الفراغ من وجهة نظر النظرية الكمية كبحرٍ طامٍ من الفوتونات بكل الترددات المتصورة.

إن النشاط الذى تقول به النظرية الكمية يعطى الفراغ طاقة، ولكنها طاقة متساوية فى كل الأنحاء فلا يمكن استغلالها، أو حتى الإحساس بها . فاستغلال الطاقة لا يكون إلا حين يوجد فرق فى مستواها بين نقطة وأخرى ، بحيث تسرى بينهما ، وأبسط مثال لذلك هو الطاقة الكهربائية التى تسرى فى منزلك ، فأحد السلكين يكون فى جهد التوزيع (٢٢٠ فولت غالباً) أما الثانى فيكون فى جهد الصفر (موصل بالأرض) ، ولا تستغل الطاقة الناتجة عن فرق الجهد هذا ما لم تُوصل الدائرة الكهربائية، فتسرى الطاقة مع سريان التيار الكهربى فى الجهاز الذى تنشئ تشغيله . إن فرق الجهد هذا هو المطلوب لتشغيل الجهاز، وليس الجهد فى حد ذاته ، فلو فرض وكان السلكان فى جهد متساوٍ ، سواء أكانا فى جهد ٢٢٠ فولت أم ألف فولت ، فلن يسرى التيار بينهما ، ولن يستفاد من الطاقة الكهربائية .

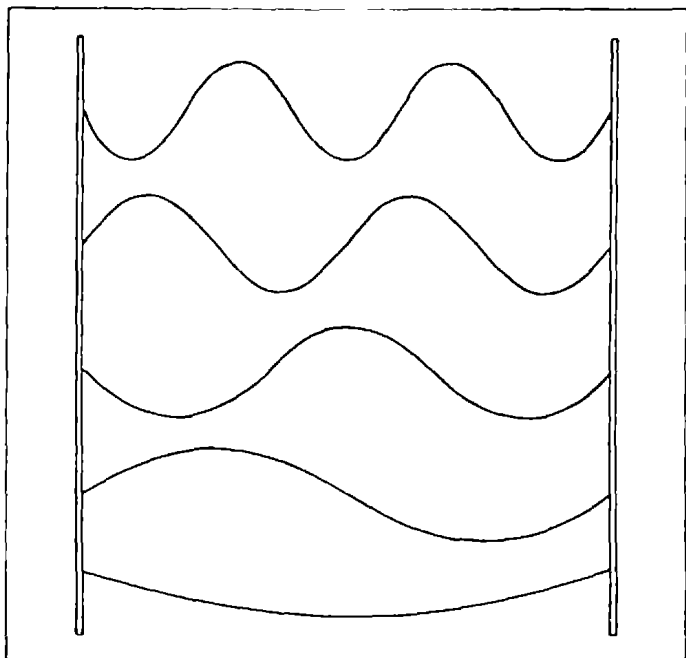
وقد بين كازيمر أن اللوحين يمكن أن يولداً أنماطاً محددة من الموجات الكهرومغناطيسية، كمثال وتر الجيتار الذى لا ينتج إلا أنغاماً معينة تعتمد على طوله ، فالأنغام من وتر معين للجيتار تولد على أساس أن طرفيه ثابتان لا يهتزتان ، ومن ثم فإن النغمة الأولى له تكون المقابلة لأن يهتز بطوله كاملاً. وعند شد أقوى ، يمكن أن يهتز كوترين مثبتتين فى المنتصف، وهى النغمة التالية له ، وتكون أحدُ صوتا ، ومع كل شد أقوى تنتج نغمات أشد حدة، وتسمى هذه النغمات الأعلى من النغمة الأولى «التوافقيات أو overtones, harmonic» .

بنفس المنطق بين كازيمير أن الموجات الكهرومغناطيسية التي يمكن أن تُخلق بين اللوحين لا تكون إلا بترددات معينة، تعتمد على المسافة بين اللوحين (شكل ٦-١٤). يعنى ذلك أن بعض الترددات تكون مخدمة ، وهى الترددات التى لا تتوافق مع المسافة بين اللوحين ، بينما تكون الترددات خارجهما مفتوحة لكافة الترددات. معنى ذلك أن كمية الطاقة من الفوتونات التى تخلق داخل اللوحين أقل منها خارجهما، فيتولد ضغط على اللوحين ، أو بمعنى آخر يتولد ضغط سالب بينهما يدفعهما للتقارب، وهو ما أكدته التجربة .

وتتابعت التجارب لقياس الضغط السلبى الناشئ عن ظاهرة كازيمير، بين ألواح مسطحة أو مقوسة ، ومن مواد مختلفة، وعلى مسافات تتراوح بين ١٤ إلى ١٥ نانوميتر (النانوميتر يساوى جزءاً من ألف مليون جزء من المتر، أى 10^{-10} متراً). وكل هذه القياسات طابقت تنبؤات كازيمير تماماً .



(شكل ٦-١٢) تجربة كازيمير لإنتاج ضغط سالب بين لوحين .



(شكل ٦-١٤) بعض الترددات فقط هي المسموح بتولدها بين اللوحين .

كان العالم الذى أغرم بكتابة قصص الخيال العلمى مثل ساجان هو روبرت فورورد Robert Forward من معهد أبحاث هوجز بكاليفورنيا ، بل إن شهرته فى ذلك - على عكس ساجان - تفوق شهرته كعالم ، فهو من كتب عن استخدام المادة المضادة لتوليد قوى دفع للمركبات الفضائية، ووصف شكل الحياة التى تطورت على سطح نجم نيوترونى . بالنسبة لهذا العالم ذى الخيال الخصب ، فإن توليد الطاقة من الفراغ بناء على ظاهرة كازيمر أمر يسير .

ويتكون تصميم فورورد لما أسماه "بطارية الفراغ المتذبذب vacuum-fluctuation battery" من لولب من رقائق مصنوعة من الألومنيوم غاية فى دقة السمك ، ومشحونة كهربياً . وبينما يعمل المجال الكهربى على تنافر هذه الرقائق يحاول تأثير كازيمر أن يشدها إلى بعضها البعض . فلو سمح للوحين بأن يتقاربا ببطء ، فإن الطاقة المتولدة من ظاهرة كازيمر سوف تتسرب ، كما يحدث لجهاز أكورديون عندما ينضغط . وحين يكتمل انضغاط «الأوكورديون» ، فإن النظام يمكن إعادة شحنه من مصدر خارجى، بالضبط كما تشحن البطاريات العادية .

إن هذه البطارية بطبيعة الحال غير عملية بالمرة، ولكن ليس هذا هو بيت القصيد، فهى من الوجهة العلمية مسموح بها ، وقد أكد ثورن ورفاقه أنها تفى تماماً بالغرض فى إنشاء الثقب الدودى المنشود .

على أنه بالنسبة لمثل هؤلاء من ذوى الخيال الخصب، يتبقى مشكلتان يواجهان رجال الحضارة المتقدمة فى بناء الاتصالات عبر الفضاء الأعظم، أن يكون الثقب واسعاً بما يتيح العبور خلاله، وأن تحجب المادة الشاذة عن المسافرين . وقد جاء أكثر الاقتراحات وجهة من مات فيزر من جامعة واشنطن بسانت لويس مايسورى . كان العنصر الرئيسى فى اقتراحه عبارة عن وتر.

سفينة تقاد بالأوتار ، أهى اقتراح قابل للتطبيق ؟

لو أن أفكارنا عن نشأة الكون صحيحة، فإن تمدد الكون الذى نشاهده قد نشأ عن انفجار هائل نتج عن ضغط سالب لجاذبية مضادة عنيفة ، يعبر عنه بالثابت الكونى المذكور آنفاً . وقد تباطأت سرعة التمدد إلى القيمة التى هى عليها اليوم حينما نوت المجالات المصاحبة لذلك الثابت ، أخذة إياه معها إلى الفناء ، ولكن ليس ثمة من سبب وجيه يجعلنا نعتقد أن عملية التباطؤ قد تمت متمثلة فى كافة نقاط الكون الوليد. بل على العكس تماماً ، قد بينت الحسابات أن التغيرات التى صاحبت التحول من حالة التضخم إلى حالة التمدد المتمهل قد تمت فى أجزاء الكون على استقلال فيما بينها ، وتعرف هذه الأجزاء باسم «النطاقات domains» . إن التحول داخل كل نطاق كان متمثلاً ، ولكن تكونت فيما بينها حدود أدت إلى تشوهات فى نسيج الزمكان .

وقد أثبتت الحسابات أن هذه التشوهات تمثل تصدعات فى ذلك النسيج، وتكون على أكثر من صورة، جدران أو أنابيب أو حتى نقاط هندسية لا أبعاد لها. وبناء على هذه القصة فإننا لا نرى مثل هذه الجدران لأنها قد اختفت عن الأنظار خلال المدة الطويلة منذ الانفجار العظيم، أما النقاط فيصعب الإحساس بها تماماً (وإن كانت نسخة أخرى من النظرية ترى أنها تتجول فى الكون على صورة أقطاب مغناطيسية مفردة، قطب شمالي دون قطب جنوبي، أو العكس). أما بالنسبة للأنابيب فيوجد احتمال قوى أن تكون موجودة فيما بيننا، وأن يكون لها دور معين فى توزيع المادة فى نطاق الكون

تعرف هذه الأنابيب باسم "الأوتار الكونية cosmic strings"، وهي رفيعة بصورة لا يتخيلها العقل، فقطرها ليس إلا جزءاً من ألف بليون بليون بليون جزء من السنتيمتر، ورغم ذلك فإن وزن كيلومتر واحد منها يصل إلى وزن الأرض. ولو تصورنا أن وترًا من هذه الأوتار طوله عشرة بلايين سنة ضوئية قد كُور على نفسه، فلن يزيد حجمه عن نواة الذرة، ولكن كتلته تصل إلى كتلة كوكبة من المجرات. ويرى بعض الفلكيين أن وجود أوتار حلقيه منها هو ما صنع بذرة تكوّن المجرات، بسبب قوتها الهائلة في ضم المادة إليها.

ولكن هذه القوة الهائلة هي خصيصة مرتبطة بالسطح الخارجي لتلك الأوتار، أما فيما يختص بقضية ثقب الديدان القابلة للعبور، فهي الخصيصة الأقل إثارة، أما الأكثر إثارة فهو ما يجري داخل تلك الأوتار.

أفضل وسيلة لتصور ما بداخل الأوتار هي ما تحتوى عليه متبقيًا من فترة تمدد الكون الأولى. فهي ليست ممثلة بالمادة، بل بمجالات الطاقة الأولية في حد ذاتها، وهذه المجالات لا تزال تحمل بصمة الثابت الكوني، الضغط السالب الهائل الذي امتد في كافة أنحاء الكون في فترة طفولته المبكرة. وفي حين أن الطاقة في وتر مطّاط تحاول أن تجعله ينكمش على نفسه، فإن الطاقة في الوتر الكوني تحاول أن تجعله يتمدد. إن ما في داخل الوتر الكوني هي المادة الشاذة التي يمكن أن تغطي احتياج أى شيء يتطلبه إنشاء ثقب دودي مستقر.

كانت قفزة مات فيسار في خياله أن يستغنى عن التماثل الكروي، والذي يلجأ إليه النسبيون عادة لتيسير الحسابات. ففي مقال قدمه لمسابقة علمية (لم يفز فيها، ولكن ناله تقدير من منظّمى المسابقة) اعتمد على ما جاء في كتاب مجموعة ثورن، وصمم هيكلًا لزمكان يسمح بالمرور عبر الثقب الدودي، ثم تصور المكان الملائم لوضع المادة الشاذة لكي تنتج هذا الهيكل. ولأننا نتعامل مع فضاءين ثلاثي الأبعاد (كونين، أو منطقتين من كون) متصلين ببوابة نجمية، فإن سطحي بوابتي الدخول والخروج للثقب يجب أن يكونا ذوي أبعاد ثلاثة. ولقد سبق لى أن وضّحت ذلك في معرض الحديث عن الثقوب السوداء، مع احتمال إضافة الدوران لها، مما يجبر السطح الكروي على الانبعاج عند خط الاستواء. ولكن فيسار، وهو مهندس ماهر في هندسة الفضاء الأعظم

الخيالية، قرر أن يصنع سطحاً مسطحاً يعبره مسافروه، دون إزعاج من جاذبية قوية، وبدون تعرض للمادة الشاذة . والهيكل الذى توصل إليه هو مكعب سداسى الأوجه، تُكدس المادة الشاذة على طول حوافه ، فالمسافر الذى يقتحم هذا الزمكان من أحد أسطحه لن يعانى قوى مدّية، ولن يقابل أى شكل من أشكال المادة، شاذة أو معتادة، بل سوف يتابع الخروج والدخول بين المكعبات، ربما لأكوان أخرى، عبر أسطح مسطحة.

ولم يشير فى هذه المقالة إلى الأوتار الكونية، ولا إلى الحسابات التى نشرت فى المقال الرسمى الذى ظهر فى مجلة Physica Review D. ولكن الذى ظهر فى المقال الأخير هو أن الشد الموجود فى أحرف المكعبات يناظر "وترا تقليديا ذا شد سالب . وبينما يقول إن وتراً كهذا ليس له ميكانيزم معروف لإنتاجه فى الوقت الحاضر، يقول إن مثل هذا الميكانيزم ربما كان معروفاً فى مراحل ميلاد الكون الأولى . فأين هو المكان الأفضل له الذى يبحث فيه عن المادة الشاذة التى يريد لها أحرف مكعباته ؟

يعتبر أى أمل لإنتاج جهاز كهذا أبعد من إمكانياتنا الحالية بمراحل ، ولكن، كما يؤكد موريس وثورن ، ليس بالأمر المستحيل "فليس فى مقدورنا الآن أن نُلغى تماماً احتمال السفر عبر الثقوب الدودية" على حد قولهما . ويبدو لى أن ثمة تماثلاً هنا يضع عمل الحالمين من أمثال ثورن وفيسار فى سياق نافع ومثير . فمنذ خمسة قرون مضت شطح خيال ليوناردو دا فنشى إلى تخيل مركبة تطير فى الهواء ، وصمم الطائرة الحوامة والطائرة ذات الأجنحة ، ويقول مهندسو الطيران أنه كان بإمكانه تصنيعها لو كانت المحركات اللازمة لها موجودة فى عصره ، وفى أقل من خمسة قرون كان حلمه الجسور قد تحقق بأكثر مما تصور هو. قد يتطلب الأمر أكثر من خمسة قرون لتحقيق حلم فيسار، ولكن من وجهة نظر القوانين الفيزيائية فالحلم ليس مستحيلاً ، بل قد تكون حضارة كونية متقدمة قد حققتة بالفعل كما يرى ساجان .

على أنه لو أن تلك الحضارة قد امتلكت الوسائل الفائقة للتحكم فى الأوتار الكونية، وإمكانيات تحديد مكان الوتر المناسب لاستخلاص المادة الشاذة لبناء البوابة النجمية، فإنه تبقى مشكلة طريفة، فالوصول لذلك الوتر المطلوب لتحقيق السفر عبر الكونى، يحتاج إمكانية السفر عبر الكونى!

ولكن حتى لو كان لدى تلك الحضارة الفائقة إمكانية السفر عبر الكونى بالفعل، فقد يظل لديها حافز على بناء الثقوب الدودية، فقد ذكر موريس وثورن فى آخر المقال الذى نشره : «ولقد اكتشفنا أنه من ثقب دودة يمكن لحضارة متقدمة أن تنشئ آلة للسفر إلى الماضى عبر الزمن» . وبعبارة أخرى، فإن كل بوابة نجمية هى أيضاً آلة للزمن .

على أن هذا يُعتبر فى الواقع نصف الرواية، إذ إن هناك طريقاً مستقلاً آخر يمكن لقوانين الفيزياء به أن تتيح إمكانية السفر إلى الماضى، وقد نُشر بحثٌ بهذا الخصوص قبل نشر موريس وثورن لعملهما عن استغلال الثقوب الدودية فى ذلك بخمسة عشر عاماً كاملة. إن النظرية النسبية العامة تخبرنا فى الواقع بأنه توجد طريقتان لتحقيق الآلات الزمنية ، ولننظر لهما بشيء من التفصيل .

الفصل السابع

طريقتان لبناء آلة الزمن

كيف لا يحمل المنطق البديهي أى منطق، تناقض مقتل الجدة وكيف يكون علاجه، قطرة شرودنجر ونظرية الاكوان المتعددة، الاشتباك مع الزمن، هل الزمن خداع؟ التايكونات المسافرة عبر الزمن، آلة زمن كونية، وآلة تبلر الزمنية، والأنفاق الزمنية، النمط الأمريكي السوفيتي، البلياردو الزمكاني والتواريخ الكونية - إضافة اثنين واثنين (وأكثر من ذلك) بأسلوب رتشارد فاينمان.

يخبرنا المنطق البديهي أن السفر عبر الزمن أمر مستحيل ، كما يخبرنا أنه من الهراء أن نقول بانكماش الأجسام ومط الزمن مع ازدياد السرعة، وأن رائد الفضاء الذى ينطلق بسرعة قريبة من سرعة الضوء يكون عند عودته أكثر شباهاً من توأمه المقيم. إن المنطق البديهي ليس بالشئ الملائم للحكم على الأمور المتعلقة بالقوانين الكونية، وحين يتطرق الأمر إلى السفر خلال الزمن على وجه الخصوص، يجب علينا النظر فيما تقوله تلك القوانين، لا ما يريده منطقنا منها أن تقوله. فإذا ما اتضح أن السفر عبر الزمن أمر ممكن، فإن هذا يتطلب التخلّى عن بعض مفاهيمنا التى ألفناها، ولكنها لن تكون المرة الأولى بالنسبة للفيزيائيين منذ عدة قرون.

أقصد بالسفر عبر الزمن بطبيعة الحال السفر فى الاتجاهين، عملية معينة تتيح لك أن تنطلق من نقطة ما ثم تعود إليها فى نفس لحظة انطلاقك (أو قبلها)، إن عملية كهذه تسمى «مسار مقفل زمنياً closed timelike loops, CTL» وبمفهوم «المنطق البديهي» تصور هذه الأنواع من الأسفار بيانياً بتخيل ما يحدث للمسافر عبر الزمن لو أنه سافر راجعاً فى الزمن إلى الوراء، واستطاع بصورة ما من تدبير خطة أو تسبب فى غير عمد فى

مصرع جدته قبل أن تحمل بأمه. وبالتالي فلن يُقدَّر له أن يولد، ولن يقدر للرحلة أن تجرى، وبالتالي فلن تقتل الجدة، وستعيش إلى أن تحمل بأمه، فيولد، ... وهكذا.

التضاريات والاحتمالات :

بصياغة أكثر علمية فإن المسارات الزمنية تتناقض مع مبدأ السببية، والذي يقضى بالآ تحقق النتيجة قبل تحقق سببها، فلو أننى ضغطت على مفتاح الإضاءة، فإن الضوء يأتى بعد الضغط وليس قبله. فحتى فى إطار نظرية النسبية، والتي تسمح بأن يرى اثنان من المراقبين نفس الأحداث فى ترتيب زمنى مختلف، فإنها لا تسمح بأن ينعكس ترتيب السبب والنتيجة. ويُقر أغلب الفيزيائيين بأن قاعدة السببية لا يمكن اختراقها، ولكنهم فى الواقع لا يملكون برهاناً على ذلك. إن أحداً لم يشاهد بعد اختراقاً لهذه القاعدة، ولكن ليس هناك أى شىء فى علم الفيزياء يتطلب أن تكون صحيحة، إنها ليست إلا بديهية حدسية لنا، مصاغة فى رطانة علمية.

كيف إذن تحل مشكلة الجدة المقتولة؟ إن لدينا طريقتين راسخين قد تمت مناقشتهما من قبل العلماء والفلاسفة، وأيضاً كُتِّبَ الروايات الخيالية. الأول أن الماضى لا يمكن تغييره، وقد رسخ فى زمنه، فكل شىء حدث فى الماضى، بما فيها زيارتك لجذتك، قد حدث ولا مجال لتغييره. فمهما كان قصدك من رحلتك، فإن شيئاً ما لن يغير الماضى، فقد تحول أحداث بينك وبين قصدك، كأن تخطئ فى تحديد الهدف، أو تقف مجريات الحوادث بينك وبين لقاءها.

وبتعديل طفيف لهذه الرؤية، قد تستطيع تغيير الماضى، ولكن بلا جدوى؛ فإن كنت قد قطعت شجرة، نبتت غيرها على الفور، فلو أنك قتلت جدتك وهى طفلة، فإن جدك يتزوج أختها بدلاً منها. وفى روايته «تغيير مجريات الحرب» يحكى فرتز لايبير Fritz Leiber عن مجموعتين يتحاربان، كل يحاول هزيمة خصمه بتغيير المجريات الماضية لصالحه. ومع ذلك، فإن كافة المحاولات تذهب سدى قبل أن تتراكم تأثيراتها على مدى الزمكان - مطيعة ما عبر عنه أحد أبطال قصص لايبير بأنه «قانون ثبات الحقيقة the Law of Conservation of Reality»

إن أكثر أوجه هذا القول إزعاجاً لنا هو مقدار ما يمتلئه من مصادرة على حريتنا فى الإرادة. فلو أن الماضى محدد بصورة قاطعة فى المسار المغلق للرحلات الزمنية، فربما أن المستقبل أيضاً محدد بصورة قاطعة، ويكون كل إدراكنا بمرور الزمن، بما فى ذلك قراراتنا التى نتخذها، ليست حقيقية إلا بقدر ما تفعله الصور الساكنة حين تبدو

متحركة عند تشغيل الفيلم، ومن شأن فكرة كهذه أن تنزع عن قصة الحياة أكثر عناصرها تشويقاً.

والوسيلة الأخرى لحل تناقض قضية الجدة أكثر إثارة. لقد بات من المستقر أن العالم بون الذري تحكمه علاقات مبنية على الاحتمال، فالنواة المشعة حين تبت مكوناتها، تنقص في مقدار من الزمن نصف كتلتها بالضبط، وهو ما يسمى «فترة نصف العمر half-time period»، وقد أثار القول بخضوع هذه العملية للصدفة البحتة أينشتاين، فقال قولته المشهورة «إن الله لا يقذف بالنرد».

على أن كافة الشواهد تقطع بأن العمليات على المستوى الكمي تحكمها الصدفة. وقد وضع إيريون شرودنجر^(١) dinger Erwin Schr هذه الفكرة في ثوب تجربة ذهنية شائعة، تعرف بتجربة قطة شرودنجر. يتخيل شرودنجر قطة في صندوق، به مادة مشعة وعداد جيجر، وقارورة من السيانيد معلقة في خيط، وجهاز ألي، فحينما يلتقط العداد إشعاعاً، يحفز الجهاز الآلي بحيث يتسبب في قطع الخيط فتتكسر القارورة، باعثة المادة السمية لتقتل القطة.

فإذا ما أغلقنا الصندوق، وانتظرنا فترة نصف العمر بالضبط، فإن احتمال تحلل المادة تكون نسبته ١ : ١ بالضبط. هذا عن المادة المشعة، فماذا عن القطة؟ أهى حية أم ميتة؟ يقول المنطق البديهي إنها يجب أن تكون في حالة من الحالتين. ولكن منطق الفيزياء الكمية يرى في المسألة وجهاً آخر، مفاده أن حالتها لن تتحقق إلا حين نفتح الصندوق، أما قبل ذلك فكل شيء في الصندوق، بما في ذلك القطة، يكون في تلك الحالة البينية. وعلى ذلك فإن وصف حالة القطة بمفهوم ميكانيكا الكم - تلك النظرية التي اجتازت بنجاح كل ما واجهها من اختبارات - أنها تجمع بين الحياة والموت.

كيف يكون ذلك؟ أحد حلول هذا اللغز يؤسس على فرضية تعدد الأكوان^(٢) many-worlds hypothesis تقول الفرضية أن الكون حينما يواجه باختيار

(١) حائز على جائزة نوبل عام ١٩٣٣ مشاركة مع بول ديراك - المترجم

(٢) الترجمة الحرفية تعدد العوالم، ولكن لفظ عالم هنا يقصد به الكون، (ويؤيد النص الأصلي ذلك خلال الشرح)، فتوخينا أن تكون الترجمة معبرة عن المعنى، خاصة وأن فكرة تعدد الأكوان جزء من القضايا التي يعرض لها الكتاب، ولا داعي لإيجاد مصطلحين لنفس الشيء - المترجم

يؤدى إلى احتمالين، فإنه يتبع بالفعل كليهما، منقسماً إلى كونين (يوصفان بأنهما متوازيان، فى حين أن الوصف الرياضى لهما أنهما متعامدان). وطبقاً لهذا التصور، فإنه حينما تواجه المادة المشعة باحتمال أن تشع أو لا تشع، فإنها لا تكون فى تلك الحالة الغريبة بين الحالتين، مشعة وغير مشعة فى آن واحد، بل ينقسم الكون بالنسبة لها إلى كونين، تكون فى أحدهما مشعة وفى الآخر غير مشعة. وحين تقدم على رفع الغطاء فإنك فى أحد الكونين ترى القطة ميتة، وفى الكون الآخر فإنك تراها حية. والكونان كلاهما، بما فيهما من أجهزة وقطة و(أنت)، حقيقى، إلا أن أحدهما لا يعرف شيئاً البتة عن الآخر.

إن الوصف الكمى لتعدد الأكوان لا يؤخذ بجدية بأية حال من قبل أغلب الفيزيائيين، على أن المثير فى الأمر أنه من بين القلة التى تأخذ به، علماء لهم وزنهم العلمى الذى لا يُنكر، منهم كـب ثورن وستيفن هوكينج (الذى يظن أن بإمكانه تفسير نشأة الكون على أساس هذه الفرضية)، بل إن جون هويلر قد أظهر اقتناعه يوماً ما بهذا الرأى، وإن كان قد عاد وأبدى تشككا فيه. إن هذا الرأى يقدم بالتأكيد حلاً مُرضياً لمعضلة الجدة، فالذى يحدث حين يقتل المسافر عبر الزمن جدته العجوز المسكينة (أو بالأحرى جدته الطفلة المسكينة)، فإن تفرعاً جديداً من الأكوان سوف ينشأ، يرتقيه المسافر فى عودته إلى الحاضر، وفيه يكون قد أب إلى كون مخالف تماماً عن الذى بدأ منه الأحداث.

ولقد بحث الخيال العلمى هذا الاحتمال، وأشهر الأمثلة فى هذا الخصوص رواية Bring the Juilee للروائى وارد مور Ward Moore فبطل القصة يعيش فى عالم مماثل تماماً لعالمنا، عدا أن فيه قد انتصر الجنوبيون على الشماليين فى الحرب الأهلية الأمريكية، فيسافر فى رحلة إلى الماضى ليدرس المعركة الحاسمة فى تلك الحرب، ثم يخطط تسلسلاً من الأحداث يؤدى إلى قلب نتيجتها، وحين يعود إلى الحاضر فإنه يعود إلى عالمنا نحن، تاركاً عالمه الأسمى سائراً فى طريقه المعتاد. كما أن الموضوع قد طرق فى سلسلة الأفلام الشهيرة «العودة للمستقبل Back to the Future».

وعلى ذلك فإن لدينا وسيلتان تتيحان السفر عبر الزمن دون إخلال بمبدأ السببية، أن تكون السببية عائقاً ضد التغيير بالنسبة للماضى، أو بخلق أكوان جديدة تستوعب التسلسل الجديد للأحداث. إلا أنه يوجد أيضاً احتمال آخر غاية فى الغرابة؛ وجود

مسار زمنى مقفل تكون فيه الأحداث هى نفسها سبباً لنفسها (أو إن شئت، حدث بلا سبب)، وهذا الاحتمال أيضاً لم يغفل عنه الخيال العلمى.

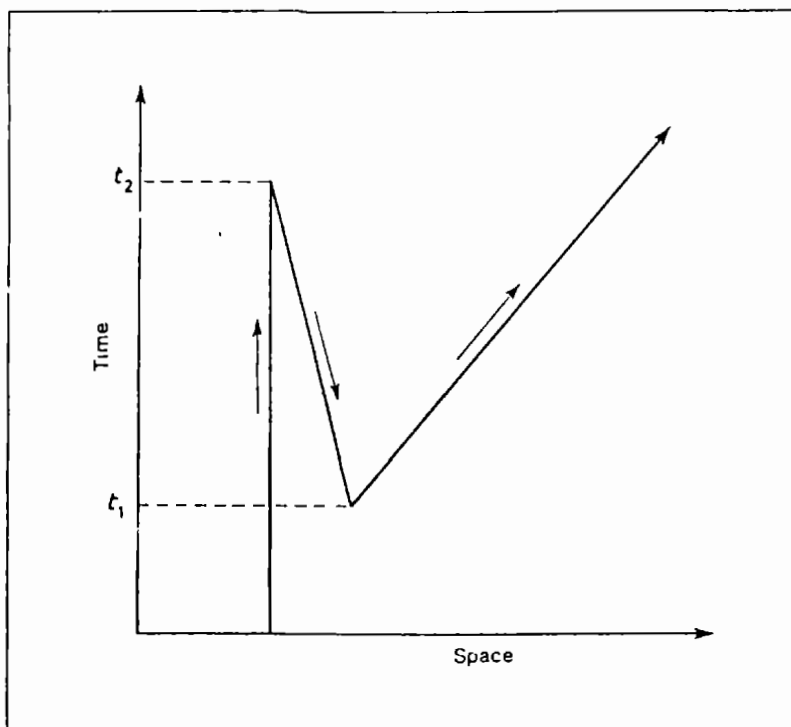
الحلقات الزمنية، والتواءات أخرى :

فى روايته All You Zombies يحكى روبرت هاينلاين Robert Heinlein عن شاب (اتضح فيما بعد أنه مسافر من زمن آخر) قد غرر بفتاة، فوضعت طفلة تُركت للتبنى. على أن الفتاة تعاني من مشاكل أدت إلى أن تتحول إلى رجل، يقوم بطل القصة بتشغيلها فى قضية السفر الزمنى، مبينا لها أنها هى نفسها ذاتة عند الصغر، وأن طفلتها هى بدورها ذاتهما معا عند الطفولة. إن انغلاق المنحنى له طرافته، وفى نفس الوقت لا يخالف شيئاً من قوانين الفيزياء (وإن كان قد يخالف قوانين البيولوجيا). ولكن ماذا لو أننا تجاهلنا هذه «المؤثرات الخاصة»، واقترضنا أيضاً أنه ما من أحد تصل به الحماسة أن يخلق تناقضاً، كقتل جدته فى طفولتها؟ كيف لنا أن نصف قطعة بسيطة من رحلة عبر الزمن بلغة العلم الحديث؟

أفضل وسيلة هى أن نستخدم مخططاً للزمن. تخيل مخترعاً منكباً على صناعة مركبة زمنية، وما أن ينتهى منها حتى يقفز فيها ضاغطاً زر التشغيل، ثم يقوم بالسفر إلى الماضى، ويوجه نفسه خلال الفضاء إلى أن يلتقى بنفسه طفلاً، ثم يوقف المركبة ليتبادلا عدة كلمات ينطلق بعدها فى رحلته. إن المخطط المناسب لتصوير هذه الأحداث هو المبين فى (شكل ٧-١)، والذى فيه قام ريتشارد فاينمان بإجراء تعديل طفيف على مخطط مينكوفسكى ليبين سريان الزمن^(١) فلو أنك قطعت نافذة صغيرة فى قطعة من ورق مقوى، ثم وضعتها على المخطط بحيث لا ترى إلا المحور السفلى، فإنك تكون مشاهداً لموضع المخترع عند بدء رحلته. وبتحريك الورقة لأعلى تتابع الخط الكونى للمخترع يمتد مع الزمن، ولكن فى نفس الموضع، وفجأة، لا تدرى من أين، تجد الصورة القديمة من المخترع قد أطلت عليك، جالسا فى مركبته. ومنذ تلك اللحظة،

(١) لتسهيل تتبع (الشكل ٧-١)، الخط الرأسى هو السهم إلى أعلى يمثل حياة المخترع من الطفولة إلى لحظة الانتهاء من صناعة الآلة، فالزمن «١» هو زمن معين فى طفولته، والزمن «٢» هو لحظة انتهائه من صناعة المركبة، الخط المتجه إلى أسفل هو رحلته للماضى، ثم ركن حرف ٧ هى لحظة التقائه بنفسه وهو طفل، وبعدها ينطلق للمستقبل، ممثلاً بالخط الصاعد لأعلى - المترجم

تشاهد ثلاثة مخترعين، أحدهم، الأصغر عمراً، منكب على صناعة المركبة، ثم يتبادل كلمات مع نفسه الأكثر تقدماً في العمر، والثاني، وهو الأكثر تقدماً في العمر، منطلق في رحلته، أما الثالث فهو في مرحلة بينية، جالس في المركبة. ليس هذا فقط، ولكنك بالتحرك لأعلى (يمثل ذلك مرور الزمن) تجد المخترع ينقص عمراً، فلو كان يدخن سيجاراً لرأينا ذلك السيجار يزداد طولاً. إن ما فعلته آلة الزمن أنها قلبت مسار الزمن فيما داخلها، ويمثل هذا التأثير بالخط المنتكس نازلاً من أعلى إلى أسفل، معاكساً للخط الكوني الأصلي.



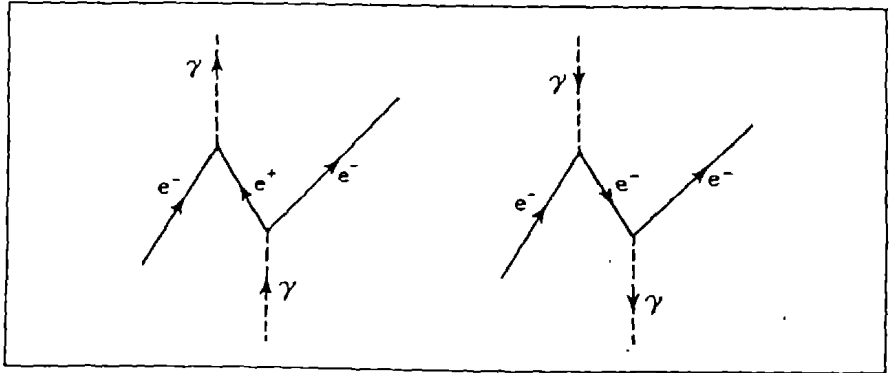
(شكل ٧-١) وضع ريتشارد فاينمان تعديلاً لمخطط الزمكان. في هذا المثال تبين الخريطة كيف أن مسافراً عبر الزمن يكمل مركبته عند الزمن t_2 ، ويرحل راجعاً في الزمن إلى الزمن t_1 ليلتقى بنفسه عند الطفولة، ثم يعود راجعاً إلى المستقبل.

لقد وضعت مخططات فاينمان في الواقع لتصف تصرفات الجسيمات في العالم دون الذري. فمخطط مثل (شكل ٧-١) يستخدم عادة لوصف ظهور زوج من جسيم

ونقيض جسيم (كالكترون وبوزترون) عند نقطة الالتقاء السفلى للخطين (الركن الأسفل من حرف الـ γ) ولقد سبق أن ذكرت أن مصيرهما المعتاد هو للفناء اللحظي، ولكن من الممكن أن يفنى أحد الزوجين مع نقيض له من العالم الواقعي، ومن ثم يترك الفرصة لقرينه للبقاء. ففي حالة كهذه يمكن للبوزترون التقديرى الناشئ عند ركن حرف الـ γ أن يلتقى مع إلكترون (يمثل هذا اللقاء باللقاء الخط المائل اليسار مع الخط الرأسى)^(١) تاركاً قرينه منطلقاً فى الكون الرحب (ممثّل بالخط المائل إلى اليمين).

وقد أثار فايينمان ضجة فى الأربعينات حين أعلن أن هذا المخطط يمكن أيضاً أن يعبر عن خط كونى لإلكترون يسير أولاً قُدماً فى الزمن^(٢)، ثم راجعاً فيه، ثم قدما فيه مرة أخرى. فالبوزترون، من وجهة النظر هذه، ليس إلا إلكتروناً مرتدداً فى الزمن!

ولست فى الواقع بحاجة إلى أن تستثير الجسيمات التقديرية للوصول إلى هذه الخدعة، فآزواج الجسيمات الحقيقية يمكن أيضاً أن تخلق من الطاقة الخالصة، لو وُجد القدر الكافى منها. فعندما يتفانى جسيم ونقيضه، تنطلق الطاقة على صورة أشعة جاما، وبصورة عكسية فإن قدرأ كافياً من هذه الأشعة يمكن أن يتسبب فى خلق زوج متناقض من الجسيمات. ومن ثم فإن صورة أخرى من مخطط فايينمان تكون على (شكل ٧-٢).



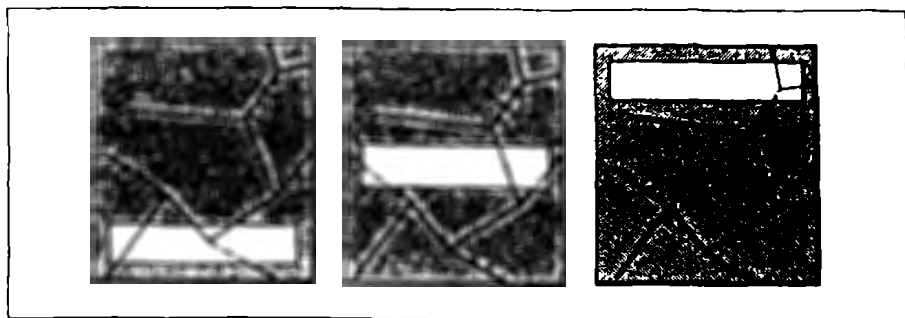
(شكل ٧-٢) حين ينتج إلكترون وبوزترون من أشعة جاما، يمكن للبوزترون أن يتفانى مع إلكترون آخر، تاركاً الإلكترون الأول حراً. وقد بين فايينمان أن هذا مماثل

(١) كان المفروض أن يشير المؤلف إلى انعكاس السهم للخط الأوسط، فهو يعتبر فى هذا الموقف صاعداً لأعلى ليلتقى بالخط الرأسى - المترجم

(٢) يقرأ الشكل فى هذه الفقرة فى صورته الأولى، أى السهم للخط الأوسط نازلاً لأسفل ليعبر عن إلكترون هابط إلى الماضى بدلا من بوزترون صاعد إلى المستقبل، لاحظ أن هذا المعنى موضح بدرجة أكبر فى (الشكل ٧-٢) - المترجم

تماماً لإلكترون وحيد ينبعث من أشعة جاما ثم يرتحل مرتداً في الزمن إلى الماضي ليصطدم بشعاع جاما آخر (قبل الاصطدام الأول؟) ثم ينطلق عائداً للمستقبل.

إن مضمون ذلك هو أن كافة الجسيمات بمدلول معين في انطلاقتها وتفاعلها فيما بينها يمكن أن تكون ثابتة في هندسة الزمكان، وأن كل ما يشاهد فيها من حركة وتغير إنما هو خداع ناتج من تغيير إدراكنا للحظة «الآن» (شكل ٧-٣). وقد أصبح الفيزيائيون متقبلين حالياً لهذه الفكرة، على الأقل فيما تمثله مخططات فاينمان من أداة هامة في دراسة الجسيمات. ولكن ما من أحد يعتقد حقيقةً في أن البوزترون هو إلكترون مسافر في ماضيه. إن قولاً كهذا ينظر إليه على سبيل التصوير البلاغي أكثر من كونه معبراً عن حقيقة علمية. ومع ذلك فإن قوانين الفيزياء تقرر صراحة أنه ما من وسيلة للتمييز بين إلكترون منطلق إلى المستقبل وبين بوزترون مسافر في الماضي. وإن إمكانية استخدام نفس المخطط لوصف رحلة مسافر عبر الزمن يعنى أن قوانين الفيزياء تسمح بمثل هذا الشطط في الخيال (وإن شئت، فإن المسافر في الماضي يعتبر نقیضاً للمسافر الأصلي).



(شكل ٧-٣) هل الزمن خداع؟ لو أن الخطوط الكونية للجسيمات كانت بصورة ما ثابتة في الزمكان، وأن ما يتحرك حقيقة هو إدراكنا الذي ينزاح إلى «أعلى الصفحة» مع مرور الزمن، فإنه ما يزال بإمكاننا أن نرى التفاعل المعقد بين الجسيمات، حتى ولو لم تكن هناك حركة ما.

ولكن إذا كانت أشعة جاما قادرة على إنتاج جسيم ونقيضه، فأين هي الطاقة الكافية لخلق مسافر ونقيضه؟ إن قدرنا من الطاقة بهذه الكمية لن يتحصل عليها بمجرد توصيل المركبة بمصدر التيار (أو حتى من صاعقة)، الأمر الذي قد يعنى أن يكتفى في البداية بكميات ضئيلة من المادة في مشروع السفر عبر الفضائي، بدلاً من الطموح إلى

مستوى كائن بشرى. ولكنها ليست إلا عقبة فنية، بل وأقل صعوبة من مشكلة التعامل مع الأوتار الكونية. إننى لم أقل إن السفر عبر الزمن أمر يسير، إنه فقط ليس محالاً من وجهة قوانين الفيزياء!

لنصرف النظر مؤقتاً عن سفر البشر عبر الزمن، ونركز على الجسيمات المسافرة فى الماضى . هذه، على عكس قضية مقتل الجدة أو المسافر عبر الزمن، يمكن أن تكون مشكلة حقيقية فى المستقبل غير البعيد. ذلك لأنه طبقاً للنظرية النسبية ذاتها - ودعك من مخططات فاينمان - فإنه لا شئ البتة فى كون الجسيمات سابحة فى الماضى. لكنها فى هذه الحالة تكون مسافرة بأسرع من سرعة الضوء. ولقد أعطيت مثل هذه الجسيمات اسم «تاكايونات tachyons»، على الرغم من أن أحداً إلى الآن، ولحسن الحظ، لم يتوصل إلى اكتشاف جسيم منها.

التاكيونات المسافرة عبر الزمن :

للوهلة الأولى تمنع النظرية النسبية السفر بأسرع من سرعة الضوء، فكلما زادت سرعتك زاد إبطاء الزمن بالنسبة لك، فإذا ما وصلت لسرعة الضوء يتوقف الزمن^(١). إن سرعة الضوء تمثل حاجزاً لا يمكنك تجاوزه، فلو أنك أردت فلن تجد لك زمناً تفعل فيه ذلك.

ولكن فى الجانب الآخر من ذلك الحاجز تماماً، طبقاً لما تقوله النظرية، يقع العالم العجيب للزمن المعكوس. معنى ذلك أنك لو اجتزت هذا الحاجز فسوف تجد نفسك متحركاً فى الماضى، وكلما زادت سرعتك فى ذلك العالم التاكيونى، زاد الزمن بك سرعة فى اتجاه الماضى، وكلما زادت طاقة حركة الجسيم المنطلق بهذه الصورة، قلت سرعة انطلاقه (بمعنى أن الطاقة تدفع بالجسم إلى حاجز سرعة الضوء من أى من الاتجاهين). معنى ذلك أن التاكيون حين يفقد طاقة تزداد سرعته، منطلقاً فى الماضى

(١) للدكتور مصطفى مشرفة تشبيه طريف يوضح هذه النقطة، تخيل نفسك تنظر لساعة جامعة القاهرة عندما تدق الثانية عشرة ظهراً تماماً. إن ما تراه هو فى الواقع شعاع الضوء سقط على عينيك من لوحة الساعة. تخيل أنك ركبت شعاع الضوء هذا فانطلق بك، سوف تظل عينك متأثرة بهذا الشعاع بالذات، فيتوقف الزمن عند هذه اللحظة - المترجم

أثناء ذلك. ومن عجب أن تظهر هذه الفكرة الغريبة قبل أن توضع النظرية النسبية. ففي مطلع القرن العشرين توصل أرنولد سومرفلد Arnold Sommerfeld، (كان وقتها أستاذا بمعهد آخن التقنى، وقد حاز شهرة عريضة فى ميونخ كرائد من رواد النظرية الكمية) إلا أن نظرية ماكسويل عن الموجات الكهرومغناطيسية تنص على أن الجسيمات المتحركة بأسرع من سرعة الضوء تزداد سرعة كلما فقدت طاقتها، وقد نشر بحثه عام ١٩٠٥ وحيث إن النظرية النسبية المنشورة عام ١٩٠٥ مؤسسة بدورها على نظرية ماكسويل، فإنه ليس من عجب أن تصل لنفس النتيجة. ولكن هذه الفكرة لم تلق اهتماما إلى الستينات، بل حتى فى ذلك الوقت كان ينظر إلى الفكرة كتلاعب بالمعادلات أكثر من كونها ذات أساس عملى. إن الوجود النظرى للتايكونات هو دليل على تماثل السالب والموجب الذى نلاحظه فى كثير من المعادلات الرياضية، مثل التماثل الذى أتاح وجود نقيض الجسيمات. فهذه الفكرة لم يأخذها أحد على محمل الجد^(١)، بينما تزخر معجلات الجسيمات بالأجسام ونقائضها اليوم. ولكن التايكونات ليست نقيضا للجسيمات التى نعرفها، بل هى، بفرض وجودها، عالم من الجسيمات قائم بذاته.

كيف يمكن لأحد أن يلحظ تايكونا؟ إن المكان المرشح هو الأشعة الكونية التى تنهمر على الأرض قادمة من الفضاء، فحين تصطدم هذه الجسيمات بطبقات الجو العليا، فإنها تنتج جسيمات أقل طاقة (والحقيقة أن البوزترون قد اكتُشف بهذه الطريقة). فلو أن جسيماً قد نتج عن تايكون، فإنه سوف يكون راجعاً فى الزمن، ويصل إلى الكاشفات الأرضية ليس فقط قبل أغلب الجسيمات الأخرى، بل قبل أن تصطدم الأشعة الأصلية ذاتها بطبقات الجو.

ولم تنبئ الكاشفات عن أية بادرة لوجود مثل هذه الجسيمات، عدا أنه فى عام ١٩٧٣ أعلن عالمان من استراليا عن اكتشاف شىء من هذا القبيل، ولكن لم يعترف أحد من العلماء بذلك، حيث لم يتأكد الكشف بصورة قاطعة، ويعتقد أغلب العلماء أنه لم يكن سوى إشارة خاطئة من الكاشفات لسبب ما. ولكن هذا ليس نهاية القصة فيما يتعلق بالكشف عن التايكونات.

(١) يرجع الفضل فى اكتشاف نقيض الجسيمات إلى بول ديراك Paul Dirac، وقد تنبأ بها من وجود تماثل فى نظرية النسبية بين السالب والموجب (كما أشار المؤلف فى المتن فى موضع آخر من نفس الفصل)، ويتأكد تنبؤه باكتشاف البوزترون، وقد حاز جائزة نوبل عن ذلك (مشاركة مع شرودنجر) عام ١٩٣٣ - المترجم

إن طريقة أخرى يمكن بها الإحساس بالتايكونات لو كانت مشحونة (أو على الأقل البعض منها). إن حاجز سرعة الضوء الذي قال به أينشتاين يشير إلى سرعته في الفراغ، ولكن الضوء نفسه قد يسير بأقل من هذه السرعة، خلال وسط كالزجاج، فالجسيمات العادية يمكنها أن تسير بأسرع من الضوء، في الماء مثلاً دون أن تتجاوز ذلك الحاجز. فإذا ما قام جسيم مشحون كالألكترون بذلك، فإنه يشع ضوءاً، إن ذلك يقابل صدمة تجاوز سرعة الصوت لدى الطائرات. وقد اكتشف هذه الظاهرة العالم السوفييتي بافل تشرنكوف Pavel Chaerenkov عام ١٩٣٤، وسمى ذلك «إشعاع تشرنكوف» تكريماً له.

وفي حالة جسيم تايكون ينطلق بأسرع من سرعة الضوء، فإنه سوف يشع هذا الإشعاع، طالما أن لديه طاقة تمكنه من ذلك. وتفترض الحسابات أن الجسيم يفقد كل طاقته حرفياً في هذا الإشعاع، فينطلق بسرعة الضوء وبطاقة تساوى الصفر، ومن وجهة نظر معينة يكون في كل مكان من خطه الكوني في نفس اللحظة. ولو أن الخط الكوني هذا تقاطع مع جسيم آخر، فإن التايكون يحصل على طاقة من ذلك التصادم، فيشع نبضة إشعاع أخرى. بكل أسف لم تكشف خزانات الماء المحاطة بالكشافات، على كثرتها، عن أية نبضة توحى بوجود هذه الجسيمات.

إن الإجماع منعقد على عدم وجود التايكونات، فهي طبقاً للتفكير المنطقي التقليدي، ليست إلا صنيعة معادلات نظرية بحتة، يمكن دون أية خطورة التجاوز عنها باعتبار أنها تفتقد أى أساس فيزيقي.

لقد رأينا أن الثقوب النودية هي مفتاح السفر عبر الزمن، على أن ذلك له احتمال آخر ، بل هو بمنظور معين أيسر، ذلك لو كنا نعيش في كون دوار، فلو أن الكون برمته في حالة دوران، فإنه يكون بذاته آلة زمن، بمعنى أنه سوف يحتوى على مسارات زمنية مغلقة.

كورت جوديل :

إن من جاء بهذه الفكرة هو عالم رياضيات له شهرة ذائعة في الوصول إلى الجديد من الاكتشافات الرياضية المثيرة. إنه العالم كورت جوديل Kurt Gdel المولود عام ١٩٠٦ في برن Brunn التي كانت تابعة للنمسا آنذاك، وحالياً تابعة

لتشيكوسلوفاكيا، وقد التحق جوديل بجامعة فيينا، ومنها حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٠، وبعد ذلك بعام فقط فجر قنبلة مدوية، اعتبرت أعظم ما اكتُشف في علم الرياضيات البحتة في القرن العشرين. لقد بين في إيجاز أن علم الحساب علم غير كامل، فلو أن أى نظام من القواعد قد وضع ليصف الحساب البسيط (وأعنى بسيط بمعنى الكلمة، أى على مستوى اثنين زائد اثنين)، فلا بد أنه يتكون من عبارات معينة. وقد أثبت جوديل أنه لا يمكن إثبات صحة عبارات ذلك النظام أو خطئها، باستخدام نفس القواعد. ويعرف ذلك باسم نظرية عدم الاكتمال لجودل - Gdel Incompletes Theo- rem. ولا يضع ذلك أية قيود على الاستخدام اليومي لقواعد الحساب، فلا تزال قواعد الجمع والطرح وغيرها سارية تماماً، بالضبط كما كانت قبل عام ١٩٣١، ولكن النظرية تزج الفلاسفة وعلماء المنطق بشدة، فهي تعنى أنه من المحتمل أن يوجد شيء في الحساب لا يمكن إثبات صحته من خطئه.

ولك أن تشعر بما يعنيه ذلك بالنظر إلى لغز قديم يتعلق بالألفاظ، وضعها الفيلسوف الإغريقى إبيمنديس Epemindes لقد لفت النظر إلى عدم التناسق المنطقى الكامن في العبارات التى تمثل الرجوع لذاتها مثل:

هذه العبارة خاطئة

فبافتراض صدق العبارة، فمعنى ذلك أنها صحيحة، وهو ما يتناقض مع منطوقها، ولو كانت العبارة كاذبة، فمعنى ذلك أنها صحيحة، وأيضاً تكون متناقضة مع منطوقها. إن عبارة كهذه لا يمكن أن تكون صحيحة ولا خاطئة^(١) إن أحجية كهذه لا تمنعنا من استخدام الألفاظ في حياتنا اليومية، وإن الكثيرين من الناس العاديين سوف يرفضون مناقشة جدل كهذا على أنه شرخ في المنطق. ولكن النقطة الهامة في جدل إبيمنديس وفي نظرية عدم الاكتمال لجوديل أن حلقة المنطق المنغلقة على نفسها في النظم ذاتية المرجعية تؤدي كثيراً إلى تناقض في المنطق^(٢). وقد اتخذ هذا الجدل

(١) مثال ذلك أن يقول شخص عن نفسه: «أنا لا أقول الصدق أبداً»، فهل هو صادق أم كاذب؟ يطلق على هذه العبارات أحياناً «أنصاف الحقائق» وهى تحتوى دائماً على تعميم لتقرير سالب. - المترجم
(٢) على المستوى الأخلاقى، يرفض القرآن الكريم فكرة ذاتية المرجعية باعتبارها سبباً لضلال الإنسان، وتعتبر الآية الكريمة التالية عن ذلك «أرأيت من اتخذ إلهه هواه»، صدق الله العظيم - المترجم

أساساً للقول بأن الذكاء البشرى لن يتاح له أن يفهم العقل البشرى، لأننا فى محاولة فهمنا لأنفسنا نواجه على الدوام بمثل هذه الحلقات.

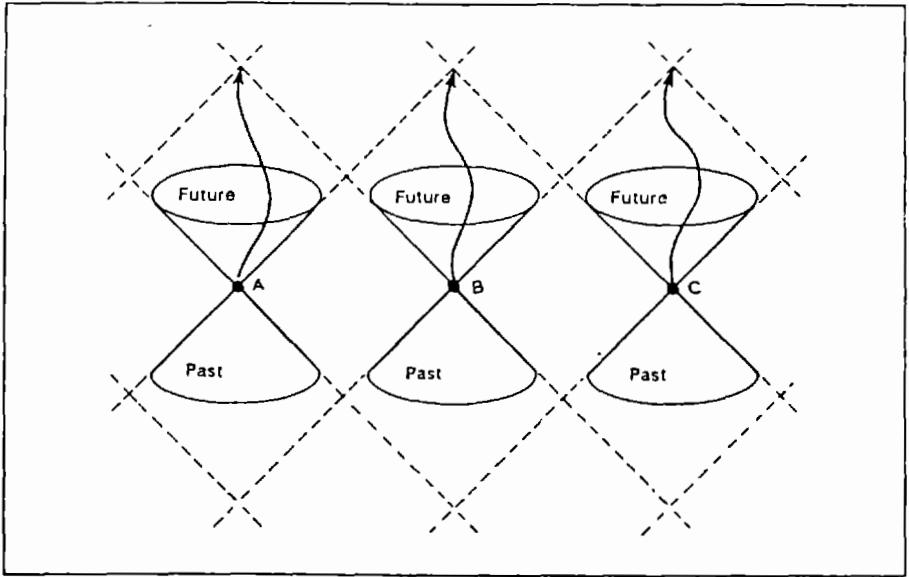
وقد مثل كل ذلك أساساً لكتاب دوجلاس هوفشتاتر Douglas Hofstadter الرائع Gdel, Escher, Bach. وفى حين أنه ليس بإمكانى أن أتابع استخلاص المضامين الشيقة من هذا الموضوع، فإننى أشير إلى أن وجود عبارات فى الرياضيات لا تعبل إثبات صحتها من خطأها تردد - بمغزى معين - الألفاظ التى تضعها حلقات مسرات الزمن المغلفة، كمعضلة أن تكون الجدة مقتولة وغير مقتولة، ومعضلة قطه سرودب التى لا هى بالحية ولا بالميتة.

وبعد استيلاء النازى على النمسا هاجر جوديل إلى الولايات المتحدة. حيث عمل أستاذاً ببرنستون، متزاملاً مع ألبرت أينشتاين، وبالنسبة لرجل أثبت عدم اكتمال الرياضيات، لا بد أن النظرية النسبية كانت بالنسبة له مجرد تسلية ذهنية بسيطة. ويتشجيع من صديقه أينشتاين، عالج جوديل النظرية مستخرجاً حلولاً لها. أهم هذه المساهمات الفكرة التى خرج بها عام ١٩٤٩، وتذهب إلى أن الجاذبية التى تعمل على انهيار الكون بأن تجمع المادة بعضها إلى البعض يمكن أن تواجه بقوة طاردة لو كان الكون دوّاراً. مثل هذا الكون الدوّار لا يلزم أن يكون له مركز دوران، بالضبط كما أن الكون المتمدّد ليس له مركز تمدد. ففى الكون الذى نراه من حولنا تجد أن أى مراقب، مهما كان موضعه، سوف يرى تمدداً منتظماً من كافة الأنحاء من حوله. وبالمثل، فإنه فى كون جوديل يرى كل مراقب، مهما كان موضعه، الكون ظاهرياً دائراً من حوله، ولكن ليس هذا كل ما سيراه.

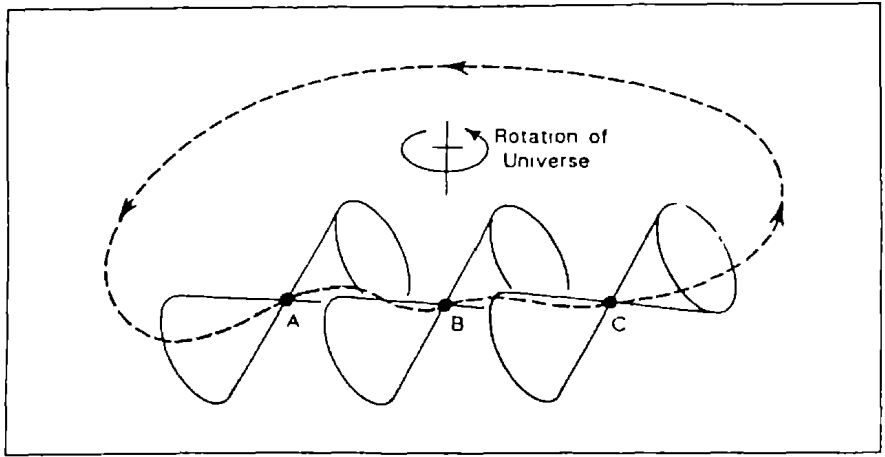
حينما تدور الأجسام ذات الكتلة، فإنها تجر الزمكان من حولها، بالضبط كما تفعل القهوة حين تدار فى الفئجان. ويحدث هذا بعنف فى كرة الطاقة حول الثقب الأسود الدوّار، ويرجع إليه سبب الظواهر العجيبة التى تتيج لنا (من حيث المبدأ) أن نقتنص منه الطاقة، ومن الطبيعى أن الفكرة تسرى على أى جسم دوار مهما كانت كتلته. الأمر فقط أنه لحدث جر ملموس للزمكان يجب أن يكون للجسم كتلة ذات قيمة ملموسة.

ربما يكون من الصعوبة بمكان قياس مثل هذا التأثير لكوكب كالأرض، ولكن فى حالة دوارن الكون بأكمله، فإن هذا التأثير سوف يكون هائلاً. وأفضل طريقة لتصوّر

هذا الأثر هو عن طريق مخروطات الضوء التي تبين العلاقة بين نقاط الزمكان المختلفة بالنسبة لنقطة ما على مخطط مينكوفسكي (وليس فاينمان هذه المرة). يبين (شكل ٧-٤) ثلاثة مخروطات ، خاصة بالنقاط «أ»، «ب»، و«ج». هذه النقاط لا تعرف عن بعضها البعض شيئاً، وليس ثمة من تأثير متبادل فيما بينها، ذلك لأنه لكي تنتقل أية إشارة من نقطة للأخرى عليها أن تخرج خارج المخروط الخاص بها، وهو ما يعنى التحرك بأسرع من سرعة الضوء، ولكن مع دوران الكون فإن الزمكان وما يترتب عليه من جر للزمكان، تلاحظ أن المخروطات (فى كل مكان فى الكون) قد مالت عن مواضعها. فإذا كانت سرعة الدوران كبيرة بدرجة كافية، فإن الميل يكون بحيث يمكن لمسافر من النقطة «أ» أن يصل للنقطة «ب» مباشرة من المخروط الخاص به، أى دون تخطى سرعة الضوء، كما هو مبين بالشكل (٧-٥). ولكن لا تنس أن هذا هو مخطط للزمكان، فالنقطة «أ» تمثل موضع فى الزمن والفضاء على حد سواء فى لحظة معينة. ففى كون جودل، يمكن أن يبدأ شخص من نقطة معينة من الزمكان، ثم يدور عبر الكون فى مسار مغلق ويعود لنفس نقطة البداية زماناً ومكاناً، حتى ولو استغرقت الرحلة عشرات الآلاف من الأعوام طبقاً للتوقيت القائم بها.



(شكل ٧-٤) مجموعة من مخروطات الضوء تنتمى إلى ثلاث نقاط «أ» و«ب» و«ج»، من المستحيل على أى مسافر أن يصل من أية نقطة للأخرى.



(شكل ٧-٥) لو كان الكون دواراً، فإن مخروطات الضوء سوف تميل بحيث يمكن للمسافر أن ينتقل من نقطة لأخرى فى رحلة حول الكون، ثم يعود لنقطة البدء، مكاناً وزمناً، بدون أن يتجاوز سرعة الضوء.

هنا بالضبط مربط الفرس، فلكي تنشئ مساراً مغلقاً بهذه الطريقة، على الكون أن يكون دواراً بسرعة مرة كل ٧٠ بليون عام. إنها سرعة من البطء بمكان، بحيث أنه لكوننا الذى لا يزيد عمره عن ١٥ بليون عام يكون المقدار المقطوع من الدوران غير محسوس بالمرّة. ولو كان الكون يدور بالفعل بهذه السرعة، فإن أقصر رحلة مغلقة بهذه الطريقة تبلغ مائة بليون من الأعوام. معنى ذلك أن شعاع الضوء يستغرق مائة بليون عام للعودة لنفس النقطة التى بدأ منها.

بكل تأكيد توجد صعوبات عملية لاستغلال هذه الوسيلة لبناء مركبات زمنية، ولكن حل جودل لمعادلة أينشتاين يبيّن مرة أخرى أن السفر عبر الزمن ليس محالاً طبقاً للنظرية النسبية. كما يبين أيضاً أن الدوران وميل مخروطات الضوء المترتب عليه يمكن أن ينتج مسارات زمنية مغلقة. وفى ١٩٧٣ أدرك باحث من جامعة ماريلاند أنه بالإمكان الوصول لنفس الحيلة دون اشتراط دوران الكون بأكمله، شريطة وجود مادة مكثسة بالقدر الكافى، وأن سرعة الدوران عالية بما فيه الكفاية.

آلة تبلى الزمنية :

يعمل فرانك تبلر Frank Tipler حالياً، والذي قدم هذه الفكرة الثورية، بجامعة تولان Tulane فى نيو أورليانز. ويعتبر إلى حد كبير عالماً غير تقليدى فى مجال

رياضيات الفيزياء، قام بالإضافة إلى شغفه بحسابات بناء آلة زمنية بالتفكير فى احتمال وجود شكل من أشكال الحضارة الذكية فى الكون (وقد توصل إلى أنه لو وجدت حضارة أكثر تقدماً من حضارتنا بقدر يسير لكانت قد استعمرت الكون برمته، وإن عدم إحساسنا بهذه الحضارة لأنّ هو دليل على كوننا الحضارة الأكثر تقدماً فى الكون). كان أول اتصال بيننا عام ١٩٨٠، حين صغت أفكاره عن السفر عبر الزمن فى مجلة New Science التى كنت أعمل بها، ودام الاتصال بيننا منذ ذلك الحين، وقد أكد لى أن حساباته التى أجراها فى السبعينات لا تزال سارية. وقد ظهر وصفه الرياضى للآلة الزمنية فى عام ١٩٧٤، فى مجلة Physical Review (العدد ٩، صفحات ٢٢٠٣-٦) تحت عنوان «الاسطوانات الدوارة واحتمال خرق عام لقانون السببية (Rotat-ing cylinders and the possibility of global causality violation) بالنسبة لى ولك، فإن خرقاً عاماً لقانون السببية يعنى ببساطة السفر عبر الزمن. وحين سألتها عما إذا كان يعتقد حقاً فى إمكانية تحقيق ذلك أجاب: «يوجد فى الحقيقة إمكانية نظرية لخرق قانون السببية فى سياق النظرية النسبية فى ثوبها الكلاسيكى».

وقد وضع تبلر لنفسه ثلاث مسائل كخطوات منطقية من الوجهة الرياضية للوصف الأولى لهذه الآلة، تولى الرد عليها واحدة بعد الأخرى: أولاً، ما إذا كانت المعادلات تسمح نظرياً بأن يقوم مسافر بالعودة إلى نقطة البدء، بما يعنى ذلك السفر راجعاً فى الزمن لجزء من الرحلة، وقد رأينا بالفعل أن الإجابة على هذا التساؤل من منظور النظرية النسبية هو بالإيجاب. وفى الواقع فقد بين براندون كارتتر Brandon Carter عام ١٩٦٨ أن حل كبر لمعادلات أينشتاين التى تصف الزمكان بالقرب من ثقب أسود دوار تحتوى أيضاً على مسارات زمنية مغلقة حين يدور بسرعة عالية. وكان تبلر يعلم بذلك خلال عمله، ولكنه عالج المسألة بنفسه من جديد زيادة فى الحرص. ثم ، ما إذا كان للظروف المطلوبة للرحلات حول مسار زمنى مغلق أن تتحقق بصورة طبيعية، مرة أخرى وجد أن الإجابة بالإيجاب. وأخيراً، ما إذا كان تحقيق هذه الظروف ممكناً بصورة اصطناعية، على الأقل من ناحية المبدأ، وأيضاً بينت حساباته أن الإجابة بالإيجاب.

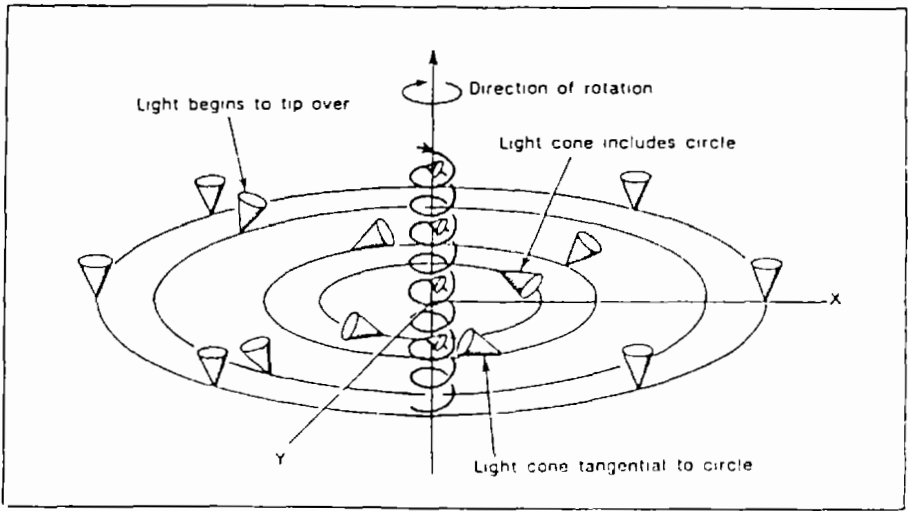
والخصيصة الجوهرية فى حسابات تبلر، والتى قدمها فى بحث عام ١٩٧٤ ، هى الدوران. ولكنه أيضاً وجد أن آلة الزمن التى هى من هذا النوع (صناعية كانت أم

طبيعية) لا يمكن أن تخلق من المادة المعتادة تحت الظروف المعتادة. فالدوران يجب أن يكون لمفردة عارية لكى تحصل على مسار زمنى مغلق، وفيما يختص بالناحية الطبيعية، فقد رأينا أن هذا الاحتمال قائم بدرجة كبيرة، فالمفردات العارية قابلة للتكون سواء كنتيجة لانفجار الثقوب السوداء، أو لتجمع غير متمائل للمادة. وفى هذه الحالات فمن المستبعد تماماً ألا يكون البعض منها دواراً. على أن وجه الإبداع فى عمل تبلر هو وصوله لكيفية خلق المفردة العارية الدوارة اصطناعياً.

إن استخدام فكرة ميل مخروطات الضوء لتصميم آلة زمنية مبينٌ فى (شكل ٧-٦) . وفى هذا التعديل لمخطط مينكوفسكى يوجد بعدان للفضاء، «س» و«ص»، مع البعد الرأسى المعتاد للزمن «ع». ويمثل البعد الرأسى أيضاً الخط الكونى لمفردة عارية فائقة الكتلة، سريعة الدوران ملتوية على نفسها فى مجال جذبى شديد، وتلاحظ أن الجزء العلوى المتعلق بالمستقبل من مخروطات الضوء هو المبين فقط تبسيطاً للرسم.

إن تأثير المفردة على مخروطات الضوء واضح فى الشكل، فعلى البعد، حيث المجال الجذبى ضعيف، تقف المخروطات معتدلة كما فى الفضاء المسطح المعتاد، وكلما اقتربنا من المفردة زاد ميل هذه المخروطات، وفى نفس اتجاه الدوران. وبالنسبة لمراقب فى وضع كهذا، لا يوجد أى شئ غير عادى، فمثلاً، لم تزل قاعدة عدم تجاوز سرعة الضوء سارية. ولكن بالنسبة لمراقب على البعد السحيق فى الفضاء المسطح، يشاهد الأحداث فى هذه المنطقة ذات الفضاء الملتوى، يمكن لقواعد الفضاء والزمن أن تتبدل ، فالزمن فى حد ذاته يعانى التواء حول الجسم المركزى.

واللحظة الحاسمة لميل المخروطات الضوئية، من وجهة نظر السفر عبر الزمن، هى حينما يبدأ الميل فى الزيادة عن ٤٥ درجة. إنها اللحظة التى يهبط فيها أحد أحرف المخروط المستقبلى عن المستوى المحدد بالإحداثيين «س» و«ص»، وهو المستوى المعبر عن الفضاء.



(شكل ٧-٦) إن اسطوانة كثيفة الكتلة سريعة الدوران سوف تجر الزمكان من حولها بما يسبب ميل مخروطات الضوء في منطقة الحقل الجذبى الشديد. هذه هي الفكرة الأساسية لآلة تبلر الزمنية، إنك حين تدور فى نفس اتجاه الدوران، سوف تتحرك راجعاً فى الزمن، كما هو ممثل باللولب المركزى.

إن هبوط المخروط المستقبلى تحت المستوى المذكور يعنى أن جزءاً منه يقع فى الماضى! طبقاً لما يراه مراقب من منطقة الفضاء المسطح ذى الجاذبية الضعيفة. ولتتذكر أن المسافر عبر الفضاء يمكنه، من حيث المبدأ، أن يذهب إلى أى مكان خلال مخروطه الضوئى. ففي الحالة المتطرفة من ميل المخروط، يمكن لهذا المسافر أن يختار مساراً يبدو - من وجهة نظر المراقب الخارجى - أنه يتكون فقط من دائرة حول الفضاء، دون أى تحرك مع الزمن على الإطلاق (أى إلى أعلى الصفحة)!! فبمعنى معين يكون هذا المسافر فى كل مكان فى الكون فى نفس اللحظة!

كما يمكن للمسافر إذا ما أراد، أن يوجه مركبته مائلة ميلاً خفيفاً أسفل ذلك المستوى، وأن يهبط بالتدرج إلى أسفل الصفحة فى المسار اللولبى المركزى المبيّن بالشكل، راجعاً فى الماضى. بهذه الطريقة تعود المركبة دائماً إلى نفس موقعها من الفضاء، بينما يهبط المسافر تدريجياً سلم الزمن. وينفس الطريقة يمكنه أن يعود أدراجه إلى المستقبل. ويقول تبلر عن ذلك:

إن مسافراً يمكنه أن ينطلق من منطقة جاذبية خفيفة، بالقرب من الأرض مثلاً، ثم يذهب إلى منطقة المخروطات المائلة، ويهبط سلم الزمن، ثم يعود أدراجه دون أن يغادر مخروطه المستقبلي بالمرّة. وبذلك يمكنه أن يسافر إلى أى زمن من الماضى يشاء.

فى الواقع، ليس إلى أى زمن ماضٍ يشاء، فكل التأثيرات التى ذكرتها تتعلق بنقطة معينة من الزمكان، تقع فى مستقبل لحظة إنشاء المركبة الزمنية. فلو أننا صنعنا المركبة اليوم، فلن يكون بإمكاننا أن نستخدمها للعودة إلى زمن قدماء المصريين، ذلك لا يحدث إلا لو كانوا هم قد صنعوها، ووجدناها نحن وعرفنا طريقة تشغيلها للغوص بها إلى زمانهم. ويرتكز البعض على هذه الحقيقة لتبرير لماذا لم يزرنا أحد من أبناء الحضارات المتقدمة فى الكون. فهم لا يعزّون ذلك لاستحالة السفر عبر الزمن، بل لأن المركبة الزمنية لم تكن قد بُنيت بعد. على أن العزاء يوجد فى حقيقة أن مركبة الفضاء هذه تفتح أبواب المستقبل بلا نهاية، إذا ما وجدت فقط للحظة خاطفة. ولكن السؤال الجوهرى يكون: كيف يمكن أصلاً البدء فى بناء تلك المركبة؟

إن أفضل تصوّر لذلك هو أن نجد جسماً دوّاراً ذا كتلة فائقة التكّس، قد تولد طبيعياً فى الكون، ثم نقوم بتعجيل سرعة دورانه إلى أن تتكون حوله مسارات زمنية مغلقة. إن أفضل شيء يُبحث عنه هو نجم نيوترونى، فهى أكثر الأجرام المعروفة اكتتاراً، كما أن البعض منها يدور بسرعة خرافية، فعلى الأقل قد عثر على نجم نابض يدور حول محور مرة كل ١,٥ ميلى ثانية! (تُعرف على سبيل المبالغة بنافضات الملي ثانية)، ومما يدعو للدهشة أن هذه السرعة قريبة لما تتطلبه حسابات تبلر.

إن حسابات تبلر تتطلب أسطوانة لا تقل عن ١٠٠ كيلومتراً طولاً، وعرضها لا يزيد عن ١٠ إلى ٢٠ كيلومتراً، تحتوى على الأقل مقدار كتلة الشمس، وبكثافة نجم نيوترونى. فلو أن أسطوانة كهذه دارت بسرعة دورة كل نصف ميلى ثانية، أى ثلاثة أضعاف سرعة النجم النيوترونى المشار إليه فقط، فإن مفردة عارية ستكون بداخله.

فلو أننا جمعنا عشرة نجوم نيوترونية، ووصلناها قطباً فقطباً، وأعطيناها السرعة المطلوبة، لتمكّنّا من بناء آلة تبلر الزمنية. مما لا شك فيه أن مشروعاً طموحاً كهذا تكتنّفه العديد من الصعوبات، ليس أقلها العثور على عشرة نجوم نيوترونية على سبيل البداية.

إن ما يريد تبليق قوله فى هذا الخصوص، شأنه فى ذلك شأن زملائه النسبويين، هو أن معادلات النسبية تسمح بالسفر عبر الزمن من حيث المبدأ، وأن المسألة متوقفة على إمكانيات تحقيق ذلك. على أننى أجد فكرة النجم النيوترونى جذابة للغاية، فلعل نجماً يصلح لأن يكون آلة زمنية طبيعية بالمفهوم الذى قال به تبليق يكون موجوداً بالفعل فى الكون منذ أمد بعيد، مما يمكن أحفادنا من استغلاله، ليس فقط موفراً عليهم العناء، بل أيضاً سيتيح لهم الغوص فى الماضى إلى لحظة منشئه.

من جهة أخرى فإن الإشارة إلى احتمال تمزق آلة تبليق، والاحتياج إلى طاقة هائلة لتماسكها، يعيد إلى الأذهان فكرة الثقوب الدودية والأوتار الكونية. فلو عُثر على وتر كونى فإنه يكون الشئ الملائم تماماً لتأدية هذا الغرض، بالضبط كما أفاد فى عدم غلق البوابة النجمية للثقب الدودى الاصطناعى. فكما بين ثورن ونوفيكوف وزملائهم، بمجرد بناء ثقب دودى يعمل كمعبرٍ نجمى، فيقدم وسيلة الاتصال عبر الكونى، فإنه يكون من اليسير تحويله إلى آلة زمنية.

الثقوب الدودية وآلات الزمن :

إن الطلب الذى قدمه ساجان لثورن حول التفكير فى آلة معقولة لإمتاع قرائه، قد تسببت فى إثارة بالغة، سرعان ما دبت فى الوسط العلمى بأسره. لقد كان نوفيكوف مشغولاً لعدة سنوات بقضية المسارات الزمنية المغلقة، وحينما بدأ فريق كالتك يقدر أن البوابة النجمية التى صمموها لإرضاء لساجان تنفع أيضاً فى القيام بوظيفة السفر الزمنى، كان طبيعياً أن يتصل ثورن بنوفيكوف، ليسأله عما إذا كانت قوانين الفيزياء تسمح بإنشاء تلك المسارات «بصورة معقولة» على حد قول ثورن. وعلى الفور نشط الجميع لدراسة الموضوع، مكونين ما أسماه ثورن «كونسورتيوم» كان يتكوّن وقتها من سبعة من العلماء، موزعين على القارتين. ثم إن هناك آخرين، مجموعة نيوكاسل، إيان ردماونت ومات فيسر. وأغلب ما سيعرض إلى نهاية الفصل مبنى على أعمال «الكونسورتيوم» السوفيتى الأمريكى، بدءاً من التقنية التى اتبعوها لتحويل بوابة نجمية إلى آلة زمنية.

فبمجرد أن يكون لديك بوابة نجمية لثقب دودى، لن تحتاج حتى للنظرية النسبية العامة لكى تعرف كيف تُحيلها إلى آلة زمنية، فالنسبية الخاصة ملائمة تماماً للغرض.

تذكر أنه لو كان لدينا توأمان، انطلق أحدهما فى رحلة فضائية بسرعة محسوسة بالنسبة لسرعة الضوء، فإنه يعود أكثر شباباً من توأمه المقيم على الأرض، فالتحرك يُبطئ من عمل الساعات. فإذا ما أعطيت إمكانيات حضارة متقدمة، فيمكنك تخيل تمكّنك من ناصية فتحة ثقب دودى بطريقة أو بأخرى، ثم الانطلاق به فى رحلة كتلك الرحلة. بالطبع ليس من السهل تخيل تملك ناصية شىء مهول كفوهة الثقب الدودى، ولكن هناك طريقتان لتصور ذلك.

أولاً، يمكنك أن تستخدم جرماً ضخماً الكتلة، وليكن كوكباً مثلاً، تضعه أمام فوهة الثقب ذى الجاذبية الهائلة. فلو أنك سحبت الكوكب، لتبعه الثقب بقوة التجاذب بينهما، كما يجر الحمار عربته. الحل الثانى أن تضيف للفوهة شيئاً من الشحنة الكهربائية، ثم تستخدم مجالاً لجرها. وبالتأكيد سوف يكون لدى الحضارة المتقدمة المزيد من الأفكار حول هذه المشكلة، ولكن هاتان الوسيلتان تفيان بالغرض.

فما أن دبّرت طريقة لجر فوهة الثقب، فما عليك إلا الانطلاق بها بسرعة محسوسة بالنسبة لسرعة الضوء لمسافة ما، ثم تعيدها بجوار الفوهة الساكنة، إن من شأن ذلك أن يخلق فرقاً زمنياً بين الفوهتين، تجعل إحداهما فى ماضى الأخرى.

فبسبب الطريقة التى يرتبط بها الزمكان عن طريق هندسة الثقوب الدودية (طبولوجيا الزمكان المصاحبة للثقوب الدودية) فإن ذلك يعنى أن الثقب الدودى سوف يعمل كآلة زمنية. فالمسافر الذى يقفز فى الفوهة التى قد تحركت سوف يخرج من الأخرى الساكنة عند الزمن المقابل للأولى. لنفرض أن الفرق بين الفوهتين زمنياً هو ساعة واحدة، وأن المسافر قد يبدأ من الفوهة الساكنة الساعة ١٢ ظهراً، ثم استغرق عشر دقائق مثلاً لى يعبر إلى الفوهة التى تحركت، سوف يصل إليها طبقاً لساعته وتوقيت الفوهة الساكنة الساعة ١٢ وعشر دقائق. ولكنه لو قفز فى الفوهة التى تحركت، فعندما يخرج من الساكنة (لحظياً تقريباً، طبقاً لتوقيت المسافر) سيجد الساعة ١١ وعشر دقائق. يمكن للمسافر أن يعود القهقرى بسرعة، ثم يخرج مرة أخرى من الفوهة الساكنة الساعة ١٠ وعشر دقائق، ويمكنه أن يكرر ذلك إلى ما شاء الله، عائداً كل مرة إلى المنطقة التى يوجد فيها فرق الزمن.

وكما هو الحال فى آلة تبلر، تتيح هذه الوسيلة الإغراق فى الماضى فقط إلى وقت بناء الآلة، وكمثل الأولى أيضاً تفتح باب السفر فى المستقبل بلا حدود، فعندما تعبر من

الفوهة الساكنة إلى المتحركة بعد لحظات بتوقيتك، تكون قد قفزت ساعة للأمام بتوقيت مراقب خارجي.

العقبة الأساسية هنا هي أنه يتحتم عليك أن تمضي بعيداً حتى تنشئ فرق زمن ملموس، فلو فرضنا أنك انطلقت بسرعة تعادل ٩٩,٩ بالمائة من سرعة الضوء، ولمدة عشر سنوات قبل أن تتوقف، فإن ذلك لن يعطيك أكثر من تسعة أعوام وعشرة أشهر من فرق الزمن بين فوهتي الثقب الدودي. ولكن هذه التفاصيل ليست ما يهم الفيزيائيين الذين يدرسون النظرية المتعلقة بالسفر عبر الزمن اليوم، فكما يقول كب ثورن: «حتى ولو سمحت معادلات الفيزياء ببناء آلة للسفر عبر الزمن، فإن احتمال بناء واحدة في الألف عام القادمة لا يزيد عن الصفر». إن الهدف من عمل الكونسورتيوم هو كيفية وضع اتساق بين المعادلات بحيث تُزيل التضارب الناتج عن مثل هذا التصور، كقضية الجدة مثلاً. فلو أن المعادلات سمحت بالسفر عبر الزمن، فكيف نتفادى خرق مبدأ السببية؟ أو بعبارة أخرى، كيف لنا أن نعالج التضارب؟

معالجة التضارب :

إن أسلوب عمل الكونسورتيوم يتميز بخصيصتين جوهريتين. أولاً: أنهم لا علاقة لهم بالمشاكل الناتجة عن السلوك البشري، كتردد المسافر وتغيير رأيه أو الكذب حول نواياه في قتل جدته. وهذا فرض عادل تماماً، حيث إن عملهم مرتبط بالمعادلات الفيزيائية وهي على درجة من التعقيد كافية في حد ذاتها، لا مجال لأن تزداد بمشاكل النفس البشرية، فسوف يكون الوقت متاحاً تماماً لأخذ مثل هذه الموضوعات في الاعتبار بعد إنجاز المهمة الأصلية، وهي فهم المبادئ الأساسية للفيزياء فهماً جيداً. ففي قضية التركيز على وجه الصدق في المعادلات يعامل البشر المتصلون بمثل هذه العمليات أقرب إلى كرات البلياردو منهم كمخلوقات بشرية.

الخصيصة الثانية في أسلوب عمل الكونسورتيوم في مواجهة قضية السفر الزمني هي افتراض أن الكون لن يسمح إلا بالحلول المتناسقة فيما بينها. مرة أخرى، فرض معقول، وذلك لسببين: أولاً: لو أننا سمحنا بحلول متضاربة، فإنه لا معنى أصلاً من دراسة علم الفيزياء. ومن جهة أخرى، فإن كثيراً من الحلول الصحيحة رياضياً لا معنى لها فيزيائياً، ويتفق ذلك بصورة أوضح مع المعادلات التي تحتوي على جذور

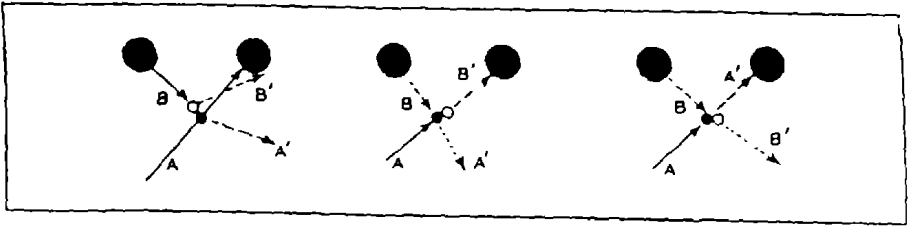
تربيعية. خذ نظرية فيثاغورث مثلاً، إن بعضاً من إجاباتها قد تعطى طول ضلع سالب، ولكنه حل مرفوض من الناحية الفيزيائية. وعلى ذلك، فمن المعقول جداً أن يفترض رجال الكونسورتيوم أن المقبول فقط من الحلول هو ما يحظى «بتناسق ذاتى عام».

يُمكننا أن نرى المغزى وراء كل ذلك، وكيف يعطى رؤية جديدة لعمل الكون، وذلك بالنظر فى الوجه الخاص بقتل الجدة من وجهة نظر كرات البلياردو. سنفعل ذلك بتخيُّل نفق زمنى ذى فوهتين متجاورتين، فلو أن كرة بلياردو أطلقت فى الفوهة المناسبة من النفق بالطريقة الصحيحة تماماً، فهي ستخرج من الفوهة الأخرى فى الماضى. ثم لتتصور أن هذه الكرة اصطدمت بنسختها القديمة، فلو أن هذا الصدام كان بحيث تزاح عن طريقها، فمعنى ذلك أنها لن تدخل النفق من البداية، ومن ثم لن تصطدم بنفسها، وهكذا. وعلى ذلك فإن هذا الحل مرفوض من قبل الكونسورتيوم لتناقضه الذاتى، فالكون ببساطة لا يمكن أن يعمل بهذا الأسلوب.

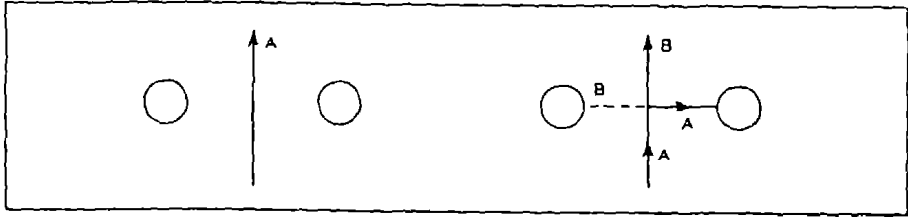
والسبب فى ثقتهم بعدالة رفض الحلول المتناقضة ذاتياً هو أن لديهم على الدوام خياراً آخر فى حلول تتميز بالاتساق الذاتى مؤسّسة على نفس الشروط الأولية. فعودة لمثال نظرية فيثاغورث، لو أن الحل المتضمن بعداً سالباً كان هو الحل الوحيد لقبلائه رغماً عنا، ولكن لأن المسألة احتمالاً آخر متفق مع الواقع الفيزيائى كما نعرفه، فإنه بإمكاننا أن نعتمد عليه ونطرح الآخر. وبنفس المنطق، فإن الكونسورتيوم يقبل الحلول المتسقة ويرفض ما عداها.

يمكن تصور حل لا يوقعنا فى هذا التناقض، أن يكون الصدام بين الكرة ونسختها القديمة بحيث يوجهها إلى مكان الفوهة. وحل آخر، أن يكون هذا الصدام هو الذى وجه الكرة للفوهة فى المقام الأول. ثم حل ثالث، أن يتبادل الكرتان المواقع، فتتطلق النسخة القديمة فى طريق الفوهة، وتتحرف الجديدة، فبالنسبة لمراقب على البعد، لن يلحظ شيئاً غير عادى.

الحقيقة أن الحلول التى لا تتناقض مع نفسها لا نهائية العدد. يبين (شكل ٧-٧) بعضاً منها، كما يبين (شكل ٧-٨) كيف أن تبادل الأوضاع بين الكرتين يبدو لمراقب خارجى كأن شيئاً لم يحدث، وأن الكرة الأصلية منطلقة فى طريقها.



(شكل ٧-٧) (أقصى اليسار) النسخة المقابلة لتضارب الجدة بالنسبة لكرات البلياردو: لو أن الكرة «أ» دخلت الثقب الزمني، فخرجت منها «ب» في الماضي، فاصطدمت بنفسها الأصلية بحيث تحيدها عن مكانها، فكيف إذن دخلت في البداية؟ (وسط) ولكن إذا اصطدمت الكرة الثانية بالأولى بحيث وجهتها إلى الفوهة، زال التناقض (يمين) كما لا يوجد أى تناقض لو أن الاصطدام هو بداية توجيه الكرة للفوهة.



(شكل ٧-٨) فى الواقع يوجد عدد لانهاى من الحلول المتناسقة لحل التضارب، فيها تدور الكرة فى منحنى مغلق بطرق مختلفة، فمن البعد مثلاً تبدو الكرة فى المثال المعطى وكأنها ماضية فى طريقها دون أى اصطدام.

يذكرنا كل هذا بالطريقة التى يعمل بها الكون على المستوى دون الذرى حيث يوجد العديد من الخيارات، كما رأينا فى مثال قطة شرودنجر. فالكرة تبدو طبيعية تماماً قبل أن تدخل النفق، ثم تتفاعل مع نظامه بطرق مختلفة، مكونة تراكماً من الحالات، قبل أن تخرج منه مرة أخرى، فى هيئة طبيعية تماماً. فما يسميه ثورن «قيض» من الحلول المتناسقة لنفس مشكلة كرة البلياردو مع الثقب الدودى كان من شأنها أن تثير إزعاجاً شديداً لو لم يقم المنظرون الكمّيون بمعالجة كيفية تناول المسائل المتضمنة مثل هذه الحقائق المتعددة.

وقد وُضع التكنيك المطبق أول ما وضع فى الأربعينيات، ويعرف باسم طريقة «تجميع التواريخ» sum-over-histories approach لريتشارد فاينمان. ففى فيزياء نيوتن التقليدية ينظر لكرات البلياردو (أو أى جسم آخر) على أنها تسير فى مسار محدد، خط كونى وحيد، أو «تاريخ». أما فى الفيزياء الكمية فإننا لا نجد مثل هذا التحديد، بسبب مبدأ عدم اليقين الذى يحكم العالم الكمى، فميكانيكا الكم لا تتعامل إلا مع الاحتمالات، وتقول لنا بدقة كبيرة، ما هو احتمال أن يسلك هذا الجسم هذا الطريق أو ذاك، أما كيف يسلك الجسم هذا الطريق أو ذاك، فهذه قضية أخرى فالاحتمال الذى يبين لنا أى طريق يسلكه الجسم يحسب فى الواقع من جمع مساهمات احتمالات كافة المسالك المتاحة بين نقطتى البداية والنهاية. يبدو الأمر وكأن الجسم يدرك كافة هذه الاحتمالات، ويقرر أى طريق يسلكه^(١)، وحيث يطلق على كل مسار «تاريخ»، فإن أسلوب حساب كيفية تصرف الجسم بجمع المساهمات من كل مسار هو ما يبرر التسمية «تجميع التواريخ».

طبعاً ينطبق ذلك على المستوى الكمى، أى على مقياس الذرة فنانزلاً. وعدم اليقين الكمى ضئيل للغاية، ومن ثم فلا تأثير له يذكر على عالمنا الكبير، وهو ما يجعل كرات البلياردو تتصرف بالفعل متبعة مسارات محددة، ولكن الأنفاق الزمنية تخلق فى الحقيقة نوعاً جديداً من عدم اليقين بين فوهتيها، يعمل على مقياس أكبر. وقد وجد علماء الكونسورتيوم أن أسلوب تجميع التواريخ يعمل بنجاح تام فى هذا الموقف، واصفاً الحلول لمسائل كرات البلياردو حين تعبر هذه الأنفاق. فإذا ما بدأت من حالة أولية للكرة وهى تقترب من النفق من بعيد، فإن أسلوب تجميع التواريخ يعطيك مجموعة من الاحتمالات التى تخبرك فى أية لحظة وفى أى موضع يُحتمل للكرة أن تخرج من الجانب الآخر، متحررة تماماً من المنطقة المحتوية على المنحنيات الزمنية المغلقة. إنها لا تخبرك كيف ستنتقل الكرة من موضع لآخر، بالضبط كما لا تخبرك النظرية الكمية كيف تتحرك الجسيمات داخل الذرة، ولكنها تخبرك بكل دقة عن احتمال أن تجد الكرة فى موضع معين، وفى اتجاه معين، بعد التقائها بالنفق الزمنى. والأكثر من ذلك، فإن احتمال أن تبدأ الكرة بمسار تقليدى ثم تنتهى فى مسار آخر هو صفر، فكما يبين (شكل ٧-٨) فإنه بالنسبة لمراقب من بعيد لا يوجد حيود عن المسار بالمرّة، فهو لن يدرك

(١) راجع ما أوردهنا فى مقدمة الكتاب عن هذا التصور - المترجم .

ذلك مالم يكن قريباً من موضع الأحداث. يقول ثورن: «بهذا المعنى، فإن الكرة تختار أن تسلك طريقاً تقليدياً معيناً فى كل تجربة، ولكل حل من الحلول تنبؤه الخاص به» كما أن هناك ربها إضافياً. إننا لا نغفل كلية فى أسلوب جميع التواريخ الحلول غير المتناسقة، فهى متضمنة فيه، ولكنها لا تؤثر فى الحصيلة العامة إلا بقدر ضئيل.

كما توجد خصيصة أخرى غاية فى الغرابة فى كل ذلك، فلأن الكرة بمفهوم معين «مدركة» لكل المسارات المحتملة، أى كل التواريخ المستقبلية، المتاحة لها، فإن تصرفها فى أى موضع على خطها الكونى يعتمد بقدر ما على المسارات المتاحة فى المستقبل. وحيث إنه يوجد العديد من المسارات المتاحة للكرة خلال النفق الزمنى، فإن ذلك يعنى أنها تتصرف، من حيث المبدأ، فى حالة وجود النفق الزمنى بصورة مختلفة عما لو لم يكن النفق موجوداً. ورغم أنه من الصعوبة بمراحل أن تجرى قياسات لهذا التأثير، فإنه طبقاً لما قاله ثورن فإنه من الممكن من حيث المبدأ أن تجرى مجموعة من القياسات على كرات البلياردو تلك قبل أى إجراء لإنشاء آلة الزمن، وأن يدرس من واقع تلك النتائج احتمال نجاح إنشاء نفق يتضمن مسارات زمنية مغلقة فى المستقبل.

وتلخيصاً لأعمال الكونسورتيوم حتى الآن، يعلّق ثورن بأن تصرف قوانين الفيزياء فى وجود آلة الزمن يبدو معقولاً بدرجة كافية «ليسمح للفيزيائيين أن يستمروا فى مشروعاتهم العلمى دون تعديل كبير»، حتى ولو كانت الآلات الزمنية يبدو أنها تهب الكون «خصائص قد يجدها الفيزيائيون غير مستساغة». إنه من الممكن إنشاء آلات زمنية طبقاً لقواعد الفيزياء، وإنه من الممكن أن تُجرى رحلات زمنية دون أن تُخترق قاعدة السببية. وقد بين نيفوكوف فى لقاء بجامعة سسكس عام ١٩٨٩ أنه «إذا ما وجد حل غير متسق وآخر متسق، فإن الطبيعة تختار الأخير منهما».

وعلى الرغم من ذلك، فهذا ليس نهاية قصة الثقوب السوداء تماماً، فمن بين القلة من الفيزيائيين الذين لم يجدوا هذه الأفكار غير مستساغة من يدرس إمكانية وجود ثقوب دودية أصغر من أى شىء ذكرته إلى الآن، على صورة «زبد» زمكانى على المستوى الكمى. أحد الأسباب لكون هذه الثقوب الدودية «الميكروسكوبية» مغرية هو أنه لو وجدت حقاً فإنه يمكن إنشاء آلة زمن باقتناص واحدة منها ثم تضخيمها بطريقة أو بأخرى إلى الحجم الملموس، ولكن هذا السبب يتوارى بجوار سبب أهم، أنها قد تفسر نشأة الكون نفسه. مرة أخرى، يستخدم التفسير أسلوب «جميع التواريخ» لريشارد فاينمان .

الفصل الثامن

الاتصالات الكونية

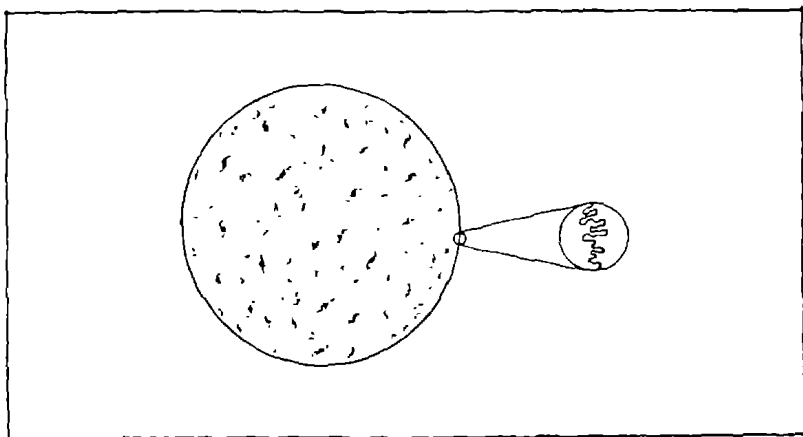
**الأكون الوليدة والفقاعات الزمكانية. نفخ فقاعة كونية. وداعاً
لثابت أينشتاين المخرج. الثقوب السوداء والمصير النهائي للكون -
نهاية الزمن، أم زمن بلا نهاية؟**

لا يُؤثر عدم اليقين الكمي في الجسيمات والطاقة فقط، بل يؤثر في هيكل الزمكان ذاته. الطريقة لتصوير ذلك هي تمثيل الكون بالون ينتفخ، على النحو المبين في (شكل ٨-١) هذه صورة تبدو من وجهة نظر علوية خارج الفضاء والزمن، وهو يبدو على هذا المقياس أملس منتظماً، ذا حدود قاطعة التحديد. ولكن لناخذ الآن نظرة أشد قرباً لجزء صغير من نسيج ذلك البالون، فلو أن جزءاً أصغر بكثير من نواة الذرة - إلى ١٠-٢٢ سم (حدود مقياس بلانك^(١))، فإن المراقب الخيالي سوف يدهش لما يراه من جيشان محموم لنشاط الفضاء، كمثل سطح البحر حين يتعرض لعاصفة هوجاء، فهو يتأرجح ويتلوى في كافة الاتجاهات بصورة عشوائية. إنه أثر عدم اليقين الكمي على الفضاء، بالضبط كما يجيش الفراغ بنشاط الجسيمات التقديرية.

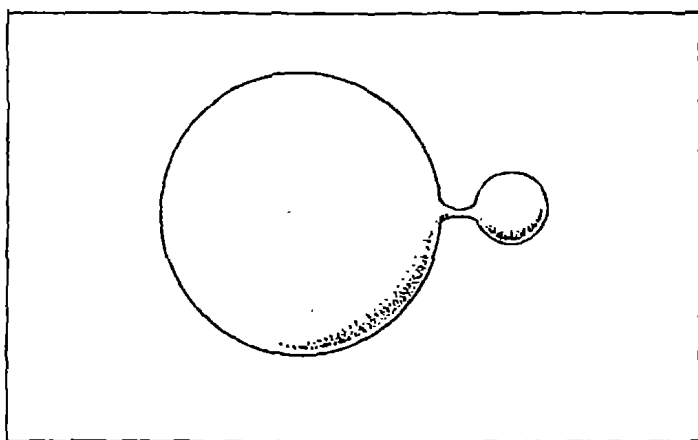
ومن الاحتمالات قوية الحدوث بدرجة كبيرة، طبقاً لما يقوله باحثون من أمثال ستيفن هوكنج، أنه في خضم هذا النشاط المحموم تتكون ثقوب لودية في نسيج الزمكان على هذا المستوى، ومن المحتمل أن تكون هذه الثقوب ذات فوهات داخل كوننا، مثل تلك التي تحدث عنها الكونسورتيوم، ولكن على مقياس أكثر دقة. ويشير العلماء المهتمون بقضية السفر عبر الزمنى إلى أنه في المستقبل البعيد قد يتاح حضارة متقدمة أن تقتنص إحدى هذه الثقوب، وتضخمها بطريقة تعرفها هي، لتنشئ

(١) لم تقتصر عملية الوحدات غير القابلة للتجزئة على الجسيمات الأولية ولا على الطاقة (ووجدتها الكم كما قال بلانك، وهي أصغر وحدة من الطاقة لا تقبل التجزئة)، بل تخطى ذلك إلى المسافة وإلى الزمن، انظر مسرد المصطلحات "مقياس بلانك" - المترجم

منها نفقاً زمنياً من النوع الذى سبق أن تحدثنا عنه فى الفصل السابق. ولكن يوجد أيضاً نوع آخر من الثقوب الدودية الكمية يسمح بها عدم اليقين الكمى - يُحتمل أن تكون قد نتأت من جزء دقيق من زمان كوننا، ثم تمددت مكونة كونا مستقلاً، ولكنه متصل بكوننا عن طريق الثقب الدودى الميكروسكوبى، على النحو المبين فى (شكل ٨-٢) .



(شكل ٨-١) بدلا من تصور نسيج الزمكان كسطح بالون أملس، يتصور كزبد متأرجح بالنشاط الكمى .



(شكل ٨-٢) يحدث أحيانا أن يتكون نتوء فى «نسيج» الكمى للبالون الأم.

يشير علماء الكونيات إلى هذا الاحتمال باسم «الكون الوليد»، ولا يصله بـ «الكون الأم» إلا ثقب دودى فوهته ثقب أسود قطره ١٠^{٢٢} سم، وهى مسافة لا قبل لنا بملاحظتها. ولكن احتمال حدوث الكون الوليد يغير من رؤيتنا لكوننا تغييراً جذرياً.

الفقاعات المتضخمة :

تتعلق الرؤية الهامة الأولى بالطريقة التى يبدأ بها الكون الوليد فى التمدد ، وتتصل هذه مباشرة بالطريقة التى بدأ بها كوننا فى التمدد من المفردة الأولى. تسمى هذه الطريقة «التضخم inflation» ، وهى مؤسسة على نظرية قال بها ألن جوث Alan Guth من معهد MIT فى الثمانينات. تشرح عملية التضخم كيف يتمدد كون من بذرة ليست أكبر من الاضطراب الكمى للفراغ، فى تفجر محموم كالانفجار العظيم فى أقل من جزء من الثانية، بالمعنى الحرفى للكلمة. لقد شرحتُ باستفاضة هذا التضخم فى كتابى In Search of The Big Bang ، ولست أنوى تكرار الموضوع بالتفصيل هنا، على أن النقطة المهمة هى أنه قبل ظهور نظرية التضخم كان الكونيون سعداء بتمكنهم من شرح كيفية تمدد الكون من الطاقة المستعرة للانفجار العظيم (اعتماداً على النظرية النسبية العامة بصفة أساسية)، ولكن لم تكن لديهم أية فكرة عن منشأ هذه الطاقة فى المقام الأول. وتعتمد نظرية التضخم على مفاهيم عريضة للنظرية الكمية لتصوغها فى آلية طبيعية تبدأ من بذرة ميكروسكوبية على مقياس بلانك، لتصعد بها إلى كرة مستعرة، تتناولها النظرية النسبية العامة بعد ذلك.

وقد وُضعت النظرية كمحاولة لتفسير وجود وطبيعة كوننا، ولكن لو أن هذه الحيلة قد نجحت مرة، فلا مانع من أن تتكرر مرات ومرات. فأى اضطراب كمى دقيق للفراغ كفىل بأن يتضخم مكوناً كوناً جديداً قائماً بنفسه، إلا أنه من المحتمل أن تنزوى بعض هذه التضخمات (كما تفنى الجسيمات التقديرية)، فى حين قد تصل البعض الآخر منها إلى مرحلة الكون الوليد، لتنمو إلى أكوان شبيهة بكوننا. وطبقاً لما يقوله باحثون من أمثال جوث وهوكنج، إنها عملية مستمرة خلال الكون الذى نقطئه.

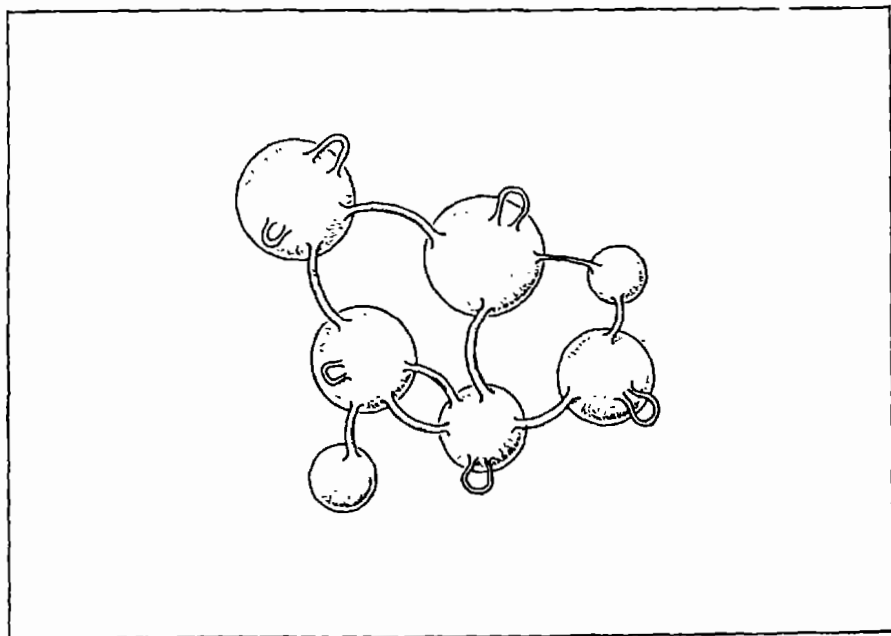
ويطرح ذلك سؤالاً جوهرياً مثيراً، أين بالتحديد يقع هذا كله؟!

تذكر أن سطح البالون فى (شكل ٨-١) لا يمثل «حداً» للكون، فالنسيج متناهى الصغرفى السمك لذلك السطح هو «كل الفضاء». معنى ذلك أن الاضطراب الكمى فى

نسيج الزمكان يسرى في الواقع في كل مكان من الفضاء بأبعاده الثلاثة. وعلى ذلك فحين يضطرب الزمكان إلى أن تنتأ بذرة الكون الوليد، ثم تتضخم مرتبطة بالكون الأم بالثقب الدودي، فإن هذا الكون تكون له أبعاده الخاصة به، وتكون أبعاده جميعها على تعامد مع كل أبعاد الكون الأم. يعنى ذلك أن الكون الوليد ليس له أى تأثير فيزيائى كائناً ما كان على الكون الأم، وليس له أن يُحس أو يُرى، عدا أن يكون ذلك خلال الثقب الدودي.

لعل كوناً جديداً قد تفجر وتطاير في فضاء حجرتك الآن وأنت تقرأ هذه الصفحة، إلا أنك لن تحس به على الإطلاق، ذلك لأن الدليل الوحيد على وجوده ليس سوى فوهة ثقب دودي، وثقب أسود أصغر من قطر البروتون، محدثاً تغضناً في نسيج الزمكان في حجرتك.

معنى ذلك بطبيعة الحال أن كوننا يحتمل أن يكون قد نشأ بنفس الطريقة، كتنوء لكون آخر، وأن نسيج الزمكان بأكمله قد يكون عبارة عن زبد من فقاعات كونية تنمو وتتفصل متصلة بالثقوب الدودية، ممتدة إلى اللانهاية في كافة الاتجاهات، أو تعود وتنوى في خضم ذلك الزبد. (شكل ٨-٣).



(شكل ٨-٣) يمكن في الواقع أن يكون كوننا أحد نتوءات لكون آخر.

على أن هذا كله لم يكن ليُعتبر سوى شطط خيال افتراضى للعلم، ينشُط خيال كتاب القصص الخيالية، لا يؤخذ بجدية بأية حال، لولا الاكتشاف المثير الذى حدث فى الثمانينات. فطبقاً لبعض صور نظرية الأكوان الوليدة، قد تتسرب معلومات من كون وليد إلى الكون الأم عبر الثقوب الدودية. فلو كان الأمر صحيحاً، فإن ذلك سوف يحل لغزاً طال أمداه فى علم الكونيات، ألا وهو الثابت الكونى cosmic constan كما وأنه لو صحَّت هذه الفكرة، فإن ذلك من شأنه أن يفسر قيم ثوابت علم الفيزياء، مثل ثابت الجاذبية وقيمة شحنة الإلكترون.

ثابت آينشتاين المتلاشى :

طرح هوكنج اقتراحه بآثر فكرة الثقوب الدودية فى تغيير مسار ميكانيكا الكم عام ١٩٨٧ . لقد ظن فى البداية أن هذا من شأنه أن يغير ثوابت الطبيعة بطرق لا يمكن توقعها، بما يجعل فهم الفيزياء على المستوى الأولى أمراً فى حكم الاستحالة المطلقة. على أنه بعد عام واحد فقط، أى فى عام ١٩٨٨ اقترح سيدنى كولمان Sidney Coleman من جامعة هارفارد أن الأمر قد يكون على العكس من ذلك تماماً؛ ففى بحثين رائدين ذهب إلى أنه بدلاً من أن ينظر إلى ميكانيكا الكم على أنها غير قابلة للتنبؤ على أكثر المستويات أولية، قد تكون الثقوب الدودية هى نفسها ما تعطى تلك الثوابت فى الواقع قيمتها.

وأفضل مثال لذلك هو تلاشى الثابت الكونى، لقد أدخل آينشتاين هذا الثابت لمنع الكون الذى تصفه نظريته من التمدد أو الانكماش، حيث إن النظرية فى ثوبها الأولى كانت تحتم أن يكون الكون غير ساكن بالمرّة، وهو ما يناقض الرأى السائد آنذاك. كان أول مطلب لتحقيق ذلك أن يكون الثابت معبراً عن قوة طاردة مضادة للجاذبية، فهى التى تؤدى بالكون إلى الانكماش. وبعد أن ثبت أن الكون يسير إلى التمدد بالفعل^(١) زالت الحاجة لذلك الثابت، إذ وافق التمدد تنبؤ النظرية تماماً. أما لو أبقينا على هذا

(١) يرجع الفضل فى هذا الكشف إلى العالم الفلكى الشهير هبل، والذى يسمى باسمه - تكريماً له - المرصد الفضائى - المترجم

الثابت فى النظرية رغم عدم الحاجة إليه، فإن من شأن ذلك أن يتمدد الكون بسرعة أعلى مما نراها عليه حقيقة، هذا لو أضفناه موجباً، أما لو أضفناه سالباً لتمدد الكون بسرعة أقل من سرعته الحقيقية.

على أن الاهتمام بهذا الثابت قد تجدد فى الثمانينات، بعد اكتشاف أن طبيعة التمدد الكونى تفسر بصورة أفضل بافتراض مرحلة التضخم التى ذكرناها سابقاً، والتى لا تستغرق إلا جزءاً من الثانية الأولى من تفجر المفردة. فهذا التمدد المهول، والذى أنتج كرة الانفجار العظيم المستعرة، يعتقد أنه قد استمد عنفوانه من حالة من الضغط السالب، تكونت بسبب طاقة هائلة متجمدة فى قطع من الأوتار الكونية سابحة فى الفضاء وقتها، إنها الأوتار التى وجد فيها مات فيسر Mat Visser بغية الحضارة المتقدمة لوضع دعائم لفوهة الثقب الدودى القابل للعبور.

وحين قدم جوث فكرة التضخم، لم يجد الفيزيائيون صعوبة فى مد الفراغ بالطاقة المطلوبة له، ولكن المشكلة التى واجهتهم هى ماذا حدث للثابت الكونى بعد ذلك؟ كيف تمكّن من التلاشى بعد انتهاء مرحلة التضخم.

ويمكن إدراك حجم المشكلة بالنظر إلى مقياس بلانك. إنه فى الواقع الطول الكمى، أصغر مسافة ذات معنى على الإطلاق، فعلى مسافة أصغر يحتدم تشويش نسيج الزمكان نتيجة عدم اليقين الكمى. إن هذه المسافة هى 1.0×10^{-33} سم، أى رقم 4 مسبقاً باثنين وثلاثين صفراً عشرياً!!

وقد تصادف أن كان بالإمكان وصف الثابت الكونى بمدلول المسافة أيضاً، لأنه (مثل الجاذبية) يعتبر مقياساً لكيفية أن قوة بين جسمين تتغير بتغير المسافة بينهما. وتبين الكيفية التى يتمدد بها الكون اليوم أن الثابت الكونى يجب أن يكون حالياً غاية فى الصغر بالمقارنة بمسافة بلانك ذاتها. ومن الصعب أن نرى كيف تكون قوة بهذا الصغر ولا تتلاشى كلية، وتفسر الثقوب الدودية كيف حدث هذا التلاشى.

يعتبر الثابت الكونى مثل الجاذبية، من خلق الهندسة، تذكر: «الفضاء يخبر المادة كيف تتحرك، والمادة تخبر الفضاء كيف ينحني». فلو أن لديك فهماً للهندسة العامة للكون، بمدلول انحناء الزمكان، فسوف يكون لديك فهم للتمدد، بما فى ذلك تأثيرات الجاذبية وطاقة الفراغ. ولكن طبقاً لفكرة الثقوب الدودية، فإن الهندسة التى عليك أن تفهمها ليست فقط هندسة كوننا، بل كل الأكوان المرتبطة ببعضها البعض بالثقوب

الدودية، وهو ما يسمى «الكون الفوقى. meta-universe» وليس من الممكن بطبيعة الحال دراسة طبيعة هذه الهندسة، ولكن بتطبيق قواعد فيزياء الكم إلى حسابات هندسة الزمكان، يعتقد علماء من أمثال هوكنج وكولمان أن بإمكانهم أن يعرفوا أى نوع من الهندسة مسموح بها.

وهنا يدخل أسلوب فاينمان؛ تجميع التواريخ، وفكرة الأكوان المتعددة فى الموضوع. فحينما نفكر فى جسيمات منفردة تتحرك من موضع لآخر، يدفعنا أسلوب فاينمان إلى تجميع كافة الاحتمالات للمسالك المتاحة، لكى نجد أقرب احتمال لطريقة انتقال الجسيم بين الموضعين. أما حينما نتعامل مع الجاذبية، فإن الكمية الهامة (والتي بمعنى معين تتعلق بموضع جسيم فى أية لحظة) تكون هى الهندسة الكلية للفضاء ثلاثى الأبعاد فى لحظة معينة. ويمكن وصف تاريخ الكون بمفهوم تطور الهندسة الكونية - التغير فى شكل الكون - من لحظة لأخرى، بالضبط كما يمكن وصف مسار جسيم يتغير فى موضعه من لحظة لأخرى. وعلى هذا الأساس، فإن الفكرة التى تقف وراء الجاذبية الكمية هى أنها يجب أن يكون متاحاً أن نصف التطور الفعلى للكون عن طريق تجميع كل الطرق - وبالمغزى الكمى الصحيح - التى يمكن بها أن يتطور الفضاء من هندسة إلى هندسة أخرى - متضمناً ذلك كل هندسات ثقوب الديدان التى تربط أجزاء الكون الفوقى.

والآن، لا يزال الأمر غاية فى الصعوبة، ولكن بوضع بعض الفروض التبسيطية (منها أن نتعامل مع المشكلة بمنظور هندسة رباعية الأبعاد بدلاً من ثلاثة أبعاد فراغية مضافة إليها بعد الزمن) يعتقد المنظرون أن بإمكانهم تحديد بعض الخصائص العامة تكون لأية فقاعة أثناء تمددها خلال الفضاء الفوقى. من ذلك مثلاً تسرب المعلومات بين كون وآخر (بما فى ذلك كوننا) عبر الثقوب الدودية. وإذا ما بدأت فقاعة بثابت كونى لا يساوى الصفر، فإنه قد اتضح أن التفاعلات التى تدور عبر الثقب الدودى تنتج تأثيراً يساوى ويضاد الثابت الأسمى، بحيث يتلاشيان.

يتصل هذا بخصيصة للعالم الكمى، تظهر أكثر قوة بصفة خاصة فى أسلوب تجميع التواريخ، وتسمى «مبدأ الفعل الأقل. least action principle» وبلغتنا الدارجة، يقول هذا المبدأ إن النظام الكمى سوف يتبع الخط الذى يمثل أقل مقاومة من حالة لأخرى، فالجسيم حين ينتقل من مكان لآخر مثلاً، سوف يجد الأمر أكثر يسراً حين يتحرك فى خط مستقيم، (أو بالأحرى فى مسار الجيوديسى)، ومن ثم يكون ذلك هو الأقرب احتمالاً، بالضبط كما ينحدر الماء من المرتفع إلى المنخفض، وليس العكس.

وفى حالة الثابت الكونى، فهو يمكن أن يتخذ أية قيمة، بما فى ذلك الصفر، وكما ينحدر الماء إلى أدنى مستوى للطاقة، ينخفض هذا الثابت - حين يجد الفرصة المتاحة إلى أدنى قيمة، إلى أن يتلاشى كلية. ولكن الكلمة الجوهرية هنا هى «أن يجد الفرصة المتاحة»، فهى لن تكون بالنسبة لكون منعزل، بمعنى أنها لا تُتاح إلا من خلال الثقوب الدودية، فبدون الثقوب الدودية ، يكون من المستغرب تماماً أن يكون الثابت صفراً، ومع الثقوب الدودية ، يكون من المستغرب تماماً ألا يكون صفراً.

الأكثر من ذلك أن نفس الحسابات تخبرنا بأن الثوابت الأخرى فى الطبيعة، مثل ثابت الجاذبية، يجب أن تتخذ لنفسها أقل قيمة متاحة، بسبب نفس التأثيرات المتبادلة خلال الثقوب الدودية، والتي تؤدي إلى سريان مبدأ أقل فعل. ليس معنى ذلك أن الحسابات تمكنا من معرفة ما يجب أن تكون عليه قيم هذه الثوابت، فلا يزال الطريق أمام خطوة كهذه طويلاً، ولكنها المرة الأخرى التى يتلمس فيها العلماء إشارة لتعليل سبب وجود الثوابت بقيم محددة. وليس من عجب والأمر كذلك أن يطلق كولمان على هذا «التحديد الأعظم The big fix» ، وأن يتأمل الكثيرون من المنظرين فى مضامين هندسة الثقوب الدودية. وأغلب هذه الأعمال تتخطى بمراحل نطاق كتابنا هذا، ولكن مضموناً معيناً يرجعنا إلى خطه الرئيسى، فلو أن الكون الفوقى هو بالفعل على صورة فقاعات كونية مرتبطة بثقوب دودية، فإن كل فقاعة، أى كل كون، يكون منغلقة تماماً على نفسه، بنفس منطق انغلاق الثقب الأسود على نفسه، حانياً الزمكان تماماً من حوله. وعلى هذا التصور، فإن كوننا منغلق تماماً على نفسه، ويعنى ذلك أنه سوف يعود للانكماش، عائداً مرة أخرى إلى المفردة، ويعتمد ما يحدث له عندئذ اعتماداً وثيقاً على طبيعة الثقب الأسود الذى يقبع حالياً داخل تلك المفردة.

هل الكون متذبذب ؟ :

بالطبع كوننا منغلق على نفسه بكل تأكيد، سواء أكان متصللاً بثقوب دودية أم لا. مرة أخرى تجد تفاصيل ذلك فى كتابى In Search of The Big Bang ولكن قضية نشأة الكون من لا شئ، على أساس أنه نتاج اضطراب كمى، تعتمد برمتها على كونه نظاماً منغلقة على نفسه، وإن فكرة أن الكون جميعه هو ثقب أسود تبدو غريبة للوهلة الأولى، خاصة إذا ما ظلت تنظر للثقب الأسود فقط على أنه جسم فائق الاكتناز فى الكتلة. ولكن تذكر أن الثقب الأسود هائل الكتلة الذى يكمن قابعاً فى قلب أشباه النجوم لا تزيد كثافته عن كثافة الماء، فكلما كان حجم الثقب الأسود كبيراً، قلت الكتلة المطلوبة له

لكى يحنى الزمكان من حوله. إن الحسابات مباشرة، وتشير إلى أنه لكى تحنى الفضاء فى شكل الكون بهذه الطريقة فإنك لا تحتاج لأكثر من ثلاث ذرات من الهيدروجين فى كل متر مكعب من الفضاء.

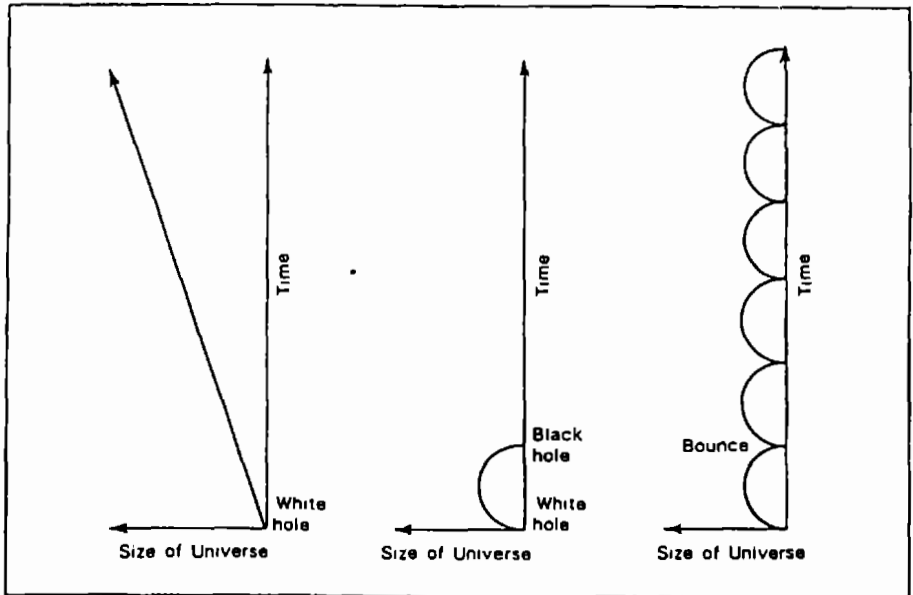
يُمثل هذا بطبيعة الحال القيمة المتوسطة، فلا مانع من أن تكس بلايين من الذرات فى كتلة نجم، طالما أن لدينا نجوما منتشرة عبر الكون بالقدر الكافى لتنفيذ المطلوب. إن كافة النجوم المتألقة داخل المجرات البرّاقة لا تمثل فى الواقع أكثر من واحد بالمائة من القيمة الحرجة للكثافة المطلوبة، ولكن يوجد دليل قاطع على وجود مادة تبلغ على الأقل عشرة أضعاف قدر تلك القيمة، من المحتمل وجودها على صورة نجوم خافتة (الأقزام البنية brown dwarfs)، يكشف عنها عن طريق تأثيرها التجاذبى مع النجوم البراقة. كما أنه يوجد دليل دامغ من دراسة طريقة تشكيل المجرات على وجود ما يبلغ أكثر من عشرة أضعاف للقيمة الأخيرة على هيئة تراب كونى بين المجرات. هذا الجزء المعتم الذى يشكل ٩٠ بالمائة من الكون يسمى «المادة الباردة المعتمة»، وهى على عكس النجوم والمجرات موزعة توزيعاً أقرب ما يكون للتساوى. فى هذه الحالة، من المحتمل أن يعبر حجرتك الآن عشرات من هذه المادة التى تساعد على تماسك الكون حول نفسه وتجعل منه ثقبا أسود. لن تكون هذه ذرات عادية، بل نوعا مختلفاً من البقايا المتخلفة عن الانفجار العظيم، وتصمم حالياً العديد من التجارب للكشف عن هذه الجسيمات، والأمل معقود على تنفيذ ذلك قبل نهاية القرن العشرين^(١)

لكى نرى ما يعنيه ذلك على مصير الكون، يمكننا العودة للفكرة القديمة لسرعة الهروب، نفس المفهوم الذى دفع جون ميثشل إلى التفكير فى الثقوب السوداء (وإن كان باسم مخالف) منذ عدة قرون مضت. تخيل واحداً من ثقوب جون ميثشل السوداء، له تلك الجاذبية التى تمنع أى شىء، حتى الضوء، من الإفلات من قبضته، لو أننا أطلقنا قذيفة من سطحه، فسوف ترتفع بقدر ما، ثم تسكن، ثم تؤوب راجعة إليه. تخيل نفس النجم وقد دب النشاط فى قلبه فجأة بطاقة هائلة لسبب أو لآخر، دفعته للانتفاخ بصورة غير عادية، إن كل ذرة فيه تكون مثل تلك القذيفة، يمكنها أن تنتشر عن مركز ثقل الثقب لفترة ما، ثم تسكن لتعود إليه. والآن، تخيل أن المادة السوداء هى الكون

(١) هناك احتمال معقود أيضاً على مساهمات فى الكتلة الكلية للكون من قبل أشياء غير عادية، منها مثلاً الأوتار الكونية المتخلفة عن الانفجار العظيم، ولكن الأمل معقود على المادة المعتمة الباردة أكثر من أى شىء آخر، انظر كتابي (The Omega Point (Bantam, Corgi, London, ١٩٨٨) .

بأسره، وأن الذرات قد حُلَّت محلها المجرات، فمع تمدد الكون تتباعد المجرات، ولكن مع مرور الوقت وبتأثير التجاذب بينها سوف تنخفض سرعة تباعدها، ثم تتوقف، ثم تعود للتقارب، إلى أن ينكمش للمفردة. إن التشبيه ليس قاطعاً، ولكن الصورة جيدة بالقدر الكافي. هذا فى الواقع هو مصير الكون، وإن احتمال أن يتصرف الكون بهذه الصورة كان قائماً منذ الأيام الأولى من علم الكونيات، حينما دُرست حلول معادلة أينشتاين.

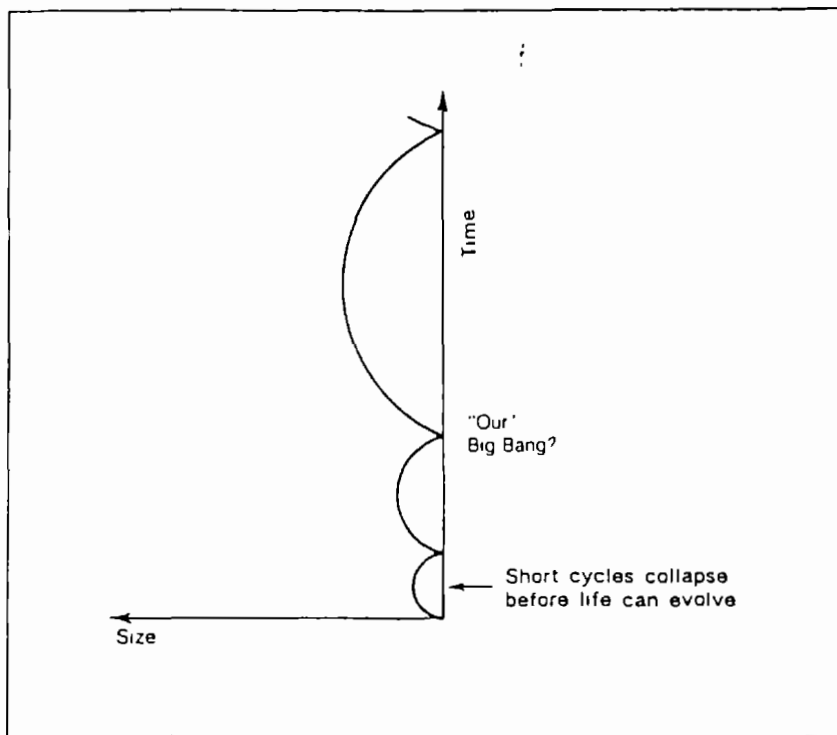
ومنذ ذلك الوقت، تساعل بعض الكونيين عما إذا كان من المحتمل أن ينعكس الانكماش بدوره والكون فى طريقه للمفردة. هل يمكن والكون فى حالة هائلة التركيز - ولكن ليس بصورة لانهائية - أن يحدث شئٌ ما يجعله يرتد فى دورات من التمدد والانكماش بصورة سرمدية؟ إن لهذه الفكرة جذبا لا ينكر (انظر شكل ٨-٤)، ليس أقلها أنها تزيل التساؤل عما حدث قبل تكون الكون، وعما يحدث بعد نهايته. ولكن إلى عهد قريب لم يكن النموذج المتردد للكون يعتبر ناجحاً، بداية لتعارضه مع نظرية المفردة لـبنروز-هوكينج، ثم إن هناك صعوبات أخرى.



(شكل ٨-٤) ثلاثة «تواريخ» محتملة للزمن، قد يكون ممتداً بلا نهاية، وقد يكون ممتدداً ثم منكمشاً إلى فناء تام، وقد يكون متردداً بين التمدد والانكماش بصورة سرمدية.

إنَّ ما بدا عقبَ كئوداً فى وجه نموذج الكون المتردد هى طريقة تنامى الانتروبيا من دورة للأخرى، والانتروبيا هى الخصيصة المرتبطة بعلم الديناميكا الحرارية، والتي تقيس مدى اللانظام فى الكون، وهى مرتبطة بدرجة الحرارة العامة فيه. فالانتروبيا فى تزايد دائم، وهى تعبر فى ذلك عن سريان الزمن. فلو أننى أريتكم صورة لقارورة فوق منضدة، ثم صورة أخرى للقارورة مهشمة على الأرض، فإنك تعرف على الفور أى الصورتين أسبق فى الالتقاط من الأخرى. إن حالة اللانظام (المهشمة) تأتى تالية لحالة النظام (السليمة).

فلو أن الكون كان بسبيله للانكماش، فإنه يصبح من الصعب أن ترى إلى أى مدى يؤثّر ذلك على سريان الزمن وتزايد الانتروبيا. وعلى الرغم من أن بعض العلماء قد اقترحوا أن تكون الفترة الانكماشية هى صورة معكوسة تماماً من التمددية، فيه يعود الزمن منعكسا تسير فيه القارورة من الحالة المهشمة إلى السليمة، فإن هذا الاقتراح لم يؤخذ بجدية من الكثيرين. فالاعتقاد أكثر شيوعاً بأن تزايد الانتروبيا سار فى المرحلة الانكماشية أيضاً. وقد سارت الحسابات فى هذا الاتجاه فى الثلاثينات بواسطة تولىان R.C. Tolman وتأكدت فى السبعينات بواسطة دافيد بارك David Park ولانديسبرج P.T. Landsberg ويتمثل تأثير التزايد المستمر للانتروبيا على النموذج الترددى للكون فى أنه يكون فى ارتداده أكثر حدة، فيعود للانفجار بقوة أكثر من المرة السابقة. ويترتب على ذلك أن يكون التمدد التالى أكبر من سابقه. بذلك تتزايد الانتروبيا بلا نهاية، مؤدية إلى استعار أكبر فى الانفجار العظيم فى كل مرة، ومطيلة زمن كل دورة عن سابقتها (شكل ٨-٥).



(شكل ٨-٥) أهو أفضل التصورات؟ قد يكون كوننا متردداً بين انكماش وتمدد، كل تمدد أكبر من سابقه، بادئاً من بذرة كونية على صورة اضطراب كمى فى اللاشئ تماماً.

على أن نقطة الضعف فى هذا كله هى أنه لا يحل مشكلة البداية، فلو أن الكون قد مرت به دورات من الانكماش والتمدد، لكنت درجة حرارته العامة أكبر من درجته الحالية، وهى ٣ درجات كلفن، بل يُحتمل أن تكون درجة حرارته أكبر مما يتيح الحياة التى ننعم بها. ولهذا السبب فإن أغلب الكونيين مرتاحون لفكرة الكون الذى بدأ من حادثة كونية هى الانفجار العظيم، وينتهى إلى حادثة مقابلة هى الانسحاق العظيم، دون أى ارتداد.

وقد تأكد الإجماع فى الثمانينات، حينما اقترحت الدراسة التى أجراها بنروز أنه قد لا يتصور للكون أن يكون نتيجة ارتداد من دورة سابقة، بسبب تزايد الانتروبيا إلى مستوى لم يدرسه أحد ممن سبقه. فقد وجد بنروز أن أحداً لم ينتبه إلى تأثير الثقوب

السوداء على الانتروبيا الكلية للكون فى المراحل الأخيرة من الانكماش. فانتروبيا الثقب الأسود تعتمد مثل درجة حرارته على مساحة أفق أحداثه، وهو ما يسهل حسابه. فالتمدد من المفردة عند الانفجار العظيم كان، كما نعرف من مشاهداتنا للكون، سلساً ومنتظماً، بمعنى أنه كان منخفض الانتروبيا. ولكن انكماش كون ككوننا إلى انسحاق عظيم سوف يكون مختلفاً. فهو سوف يحتوى على الكثير من الثقوب السوداء، كلٌ يملك كمّاً كبيراً من الانتروبيا، تندمج جميعها فى نسيج مشوّش تماماً (كما لو أنك سحقته قطعة من الكيك بحيث تداخلت ثمرات الزبيب فى بعضها البعض) ومن ثم فإن الانتروبيا تكون مرتفعة للغاية. فلو أن كوننا كان نتيجة ارتداد من دورة سابقة، فإن هذه الانتروبيا يلزم أن تُفقد خلال الارتداد بصورة ما.

كان هذا بمثابة إعلان وفاة للنموذج الترددى. ثم، فى واحدة من أكثر أحداث علم الكونيات درامية، أكد علماء كنديون فى أوائل التسعينات أنه حين تندمج الثقوب السوداء فى الانكماش فإن تسرب الانتروبيا لى تبدأ مفردة نظيفة تماماً يمكن أن يحدث.

ارتداد الثقوب السوداء :

نبح الاكتشاف المذهل من تفحص النظرية المتعلقة بما يحدث داخل الثقب الأسود الدوّار الواقعى عند انسحاقه. لقد قام بهذه الدراسة فرنر إسرائيل من جامعة ألبرتا فى إدمنتون بكندا مع كل من إريك بواسون وأ. إى. سيكيما. تذكر أن هندسة لمثل ثقب كـر الأسود تتضمن أفقى أحداث، الخارجى؛ حيث لا يمكن لضوء أن يفر من الثقب، والداخلى؛ وهو آخر موضع يمكن لمراقب سقط فى الثقب أن يرى ضوءاً من الكون الخارجى. إنه عند ذلك الأفق الداخلى يرى المراقب المستقبل الخارجى يمر لحظياً أمام عينيه، وحيث يوجد الانزياح الأزرق الشهير. ولكن ليس الانزياح الأزرق للموجات الكهرومغناطيسية فقط هو ما يجب أن تنشغل به.

حين يتكون الثقب الأسود الدوار الواقعى، لا يكون منتظماً تماماً، بل يسير الأفق الخارجى، كما يقول إسرائيل وسيكيما «مثل فقاعة صابون مرتعشة» إلى أن يستقر تماماً عند الحالة النهائية التى تمثل حل كر لمعادلة آينشتاين. هذا الارتعاش يسبب تذبذباً فى الزمكان، وهو المسمى بموجات الجاذبية التى تنتشر إلى الكون الخارجى

وإلى أفق الأحداث الداخلى، والموجات التى تنتشر فى اتجاه الكون تذوى، ومن ثم لا تعنينا فى شىء، ولكن تلك التى تتجه للداخل تعانى من انزياح أزرق، كمثّل الضوء أو أى إشعاع آخر. ولكن تذكر أن الطاقة مساوية للكتلة. فهذه الموجات المزاحة تجاه اللون الأزرق سوف تحمل طاقة تسبب زيادة غير عادية لكتلة الثقب الداخلية، ترفع من كتلة قدر كتلة الشمس خمس مرات فقط إلى رقم يعادل كتلة الكون الكلى بمقدار 10^{41} . إنه رقم لا يتصوره عقل، ولكنه من الشنوذ بحيث لم يشاهد له أية آثار بالمرّة. إن حدثاً كهذا لن يُقدَّر له أن يخرج من داخل الثقب، فبالنسبة لمراقب خارجى فإنه سوف يستمر فى مشاهدة البصمة الجاذبية الأصلية لكتلة تعادل مقدار الشمس خمس مرات، انسحقت إلى ثقب أسود.

وحيث إنه لن يتاح معرفة أى شىء يحدث داخل الثقب الأسود فى الكون الخارجى، فإن البحث كان من الممكن أن تنحصر قيمته فى كونه نوعاً من التوقعات الميتافيزيقية، لولا أن الكون مصيره إلى الانسحاق يوماً ما. فما الذى سيحدث لهذه الكتل الهائلة حين تندمج الثقوب السوداء، وتتفاعل المجالات الجاذبية المحبوسة بداخلها مع بعضها البعض؟

حتى نضع تصوراً لما يحدث، فإن المجرات تتداخل فيما بينها عند عام قبل الانسحاق العظيم، وعندها تكون درجة حرارة الإشعاع الخلفى أكثر ارتفاعاً مما فى قلب النجوم، فتتحطم وتنصهر فى خليط من الجسيمات والطاقة. وعند ساعة قبل الانسحاق العظيم، تأخذ الثقوب السوداء فى الاندماج، ويجعل ذلك الانسحاق مختلفاً تماماً عن كافة النماذج السابقة. يقول إسرائيل ورفاقه إنه بمجرد أن تندمج الثقوب السوداء بالكتل التى تضخمت بداخلها بالصورة المهولة السابق ذكرها، ويسبب المجالات الجاذبية الرهيبة المشتركة فى العملية، فإن الانهيار لا يستغرق بعد ذلك سوى لحظة خاطفة مقدارها 10^{-23} من الثانية، وهى الفترة المسماة «زمن بلانك» رغم أن الوقت الباقى على الانهيار هو ساعة كاملة، هذا الكون المنهار قبيل الوصول للمفردة بهذا القدر من الزمن، ينفجر بعنف مبتعداً عنها. بهذه الصورة يتفادى الكون الانهيار إلى المفردة، ويرتد موافقاً لنظرية بنروز - هوكينج فى آخر المطاف.

يقترب هذا من تفادى مشكلة تزايد الانتروبيا، وإن لم يكن كلية، لقد أزيلت بلا شك مشكلة الزيادة المهولة فى الانتروبيا فى ارتداد واحد، والتى أزعجت بنروز. ولكن لا

يزال تفاقم الانتروبيا بدرجة ضئيلة من دورة لأخرى قائماً، حتى ولو بدا الكون وكأنه يخرج بسلسلة من المفردة. ورغم ذلك، فإنه يبدو بالفعل ممكناً، بعد كل شيء، أن أصول الكون يمكن أن تنقصاًها إلى الوراء لعدة دورات تتقاصر بالتدريج حتى نصل إلى بذرة كونية أولية، كون وليد نتاج لاضطراب كمي في اللاشيء بالمعنى الحرفي.

ربما يكون لهذا المفهوم وقع غير طيب على قلب صاحب القداسة جون ميتشل، إذ قد لا يدع للرب فرصة لتدبير شئون الكون، ولكن قد تجذبه فكرة أن الكون الذي نقطنه بأسره هو ثقب أسود، مندمج ومتفاعل مع الدورات السابقة في انسحاق عظيم، وأن هذه الفكرة قد تُفسر منشأ الكون. إن الثقوب السوداء هي مفتاح فهمنا لكل من المصير النهائي للكون ومنشأ الزمان والفضاء.

أشعة اكس x-rays : أحد صور الإشعاع الكهرومغناطيسى، يقع طول موجته بين الأشعة فوق البنفسجية وأشعة جاما، أى يتراوح بين 10^{-12} و 10^{-9} مترا.

أشعة كونية cosmic rays : جسيمات دون ذرية، أغلبها بروتونات، ولكن الإلكترونات ونويات كافة العناصر توجد فيها بنسب أقل، تنطلق فى الكون بسرعة مقاربة لسرعة الضوء، أساساً مع انفجارات السوبرنوفاء، ولكن أيضاً مع البقع الشمسية.

ألفا (جسيمات، إشعاع) Alpha (particles, emission) : جسيمات مكونة من نيوترونين وبروتونين (نواة ذرة الهيليوم) تنبعث من المواد خلال التحلل الإشعاعى (ظ).

إرج erg : وحدة لقياس الطاقة.

إشعاع emission : إطلاق موجات (ظ: الإشعاع الكهرومغناطيسى) أو جسيمات (ظ: الأشعة الكونية)، وطبقاً للرؤية الحديثة فقد توحد المفهومان، حيث وجد للموجات خواص جسيمية (ظ: الفوتونات) وللجسيمات خواص موجية (ظ: الأشعة المادية).

إشعاع جاما gamma rays : الإشعاع الكهرومغناطيسى (ظ) الأقل من 10^{-12} مترا.

إشعاع كهرومغناطيسى electromagnetic rays : إطلاق موجات من مجال كهربى ومجال مغناطيسى متعامدين، وهو ينتشر بسرعة الضوء (الضوء نفسه صورة من هذا الإشعاع يقع بين ٤٠٠ نانومتر إلى ٧٧٠ نانومتر). ويمفهوم الجسيمات فهو إطلاق الفوتونات (ظ).

إنتروپيا entropy : اصطلاح يشير إلى الطاقة المشتتة نتيجة العمليات الحرارية أو الحيوية، وكذا إلى ميل النظم للتشتت والعشوائية (انظر الملحق)
إثير ether : وسط تخيلى كان يظن أن الموجات الكهرومغناطيسية تنتشر خلاله، وقد أثبت التجارب فساد هذا الرأى.

انحلال بيتا beta decay : انحلال النيوترون إلى إلكترون وبروتون.

انزياح أحمر red shift : أ- الانزياح الأحمر الكونى cosmological red shift
إزاحة خطوط الطيف (ظ) نحو اللون الأحمر إذا كان الجسم المشع يبتعد عن المراقب، وهو ما تلاحظ من رصد المجرات، مما تبين منه ظاهرة تمدد الكون (ظ: الكون المتمدد). ب- الانزياح الأحمر الجذبى gravitational red shift : مط الطول الموجى للضوء نتيجة مط الزمن فى تشوه الزمكان بفعل جاذبية النجوم كبيرة الكتلة.

انزياح أزرق blue shift : لو أن جسمًا متجهًا ناحيتك وهو يشع الضوء، فإن الأشعة تتداخل فى نفسها نتيجة للحركة، فتصير أقصر طولاً. ولأن الضوء الأزرق أقصر فى الطول من الأحمر، فإن الضوء يتغير لونه تجاه اللون الأزرق، ويسمى هذا التأثير انزياح أزرق (ظ: انزياح أحمر). يعتبر الانزياح الأزرق دليلاً على انكماش الكون، كما أن الانزياح الأحمر دليل على تمدده.

الانفجار العظيم big bang : انفجار من المادة والطاقة الإشعاعية نشأ خلالها الكون من مفردة (ظ) (أو من المحتمل من كينونة ذات بعد بلانك (ظ)) وذلك من حوالى ١٥ بليون عام.

ب

بلازما plasma : غاز مكون من نويات الذرات بعد تعرية الذرات من إلكتروناتها.
بيتا (جسيمات، إشعاع) beta (particles, emission) : الإلكترونات المنبعثة من المواد المشعة خلال النشاط الإشعاعى (ظ)

تأثير دوبلر doppler effect : التغير في خطوط الطيف بحسب تحرك الجسم المشع بالنسبة للراصد، فإذا كان مقترباً تَزاح الألوان تجاه اللون الأزرق، وإذا كان مبتعداً تكون الإزاحة تجاه اللون الأحمر (ظ: انزياح أحمر)

تحلل إشعاعي radio decay (نشاط إشعاعي): إطلاق نويات المواد الثقيلة لجسيمات ألفا (ظ) وبيتا (ظ) وأشعة جاما (ظ) لتتحول إلى عناصر أخف.

تسارع، انظر عجلة

تعادلية (مبدأ الـ) equivalence : مبدأ في النظرية النسبية العامة، ينص على أنه لا يمكن التفرقة بين الآثار المحلية الملحوظة لمجال الجاذبية وبين الآثار الناتجة عن الحركة المتسارعة لإطار الإسناد.

تفاعل متسلسل chain reaction : في الانشطار النووي (النشاط الإشعاعي الناتج عن قذف النواة بالنيوترونات) تتسبب جسيمات ألفا الناتجة من انشطار نواة في انشطار الأنوية المجاورة، مما يعطى الانشطار خاصية التضاعف المطرد.

تفسير كوبنهاجن (*) Copenhagen interpretation : المبدأ الذي أسست عليه ميكانيكا الكم، والذي يعطى الظواهر الكمية صفة الاحتمال وليس القطع طبقاً لمبدأ عدم اليقين (ظ)، ويقبل التعارض بين الظواهر الكمية كظواهر متكاملة طبقاً لمبدأ التكاملية (ظ).

تكاملية (*) (مبدأ الـ) complementarity : المبدأ القائل بأن الظواهر الكمية المتعارضة هي في الواقع متكاملة، كالنظر للإلكترون كموجة أو كجسيم .

تماثل (*) (مبدأ التماثل العام) covariance : مبدأ في النظرية النسبية العامة بمقتضاه يجب أن تُعامل كافة أطر الإسناد في الزمكان (ظ) معاملة واحدة، وبالتالي يجب أن تكون المعادلات معبرة عن هذا الحياد.

تنسور tensor : (ظ: موتر)

ثابت هبل Hubble constant : معدل زيادة سرعة المجرات بالنسبة لبعدها عن النظام الشمسى (من ٥٠ إلى ١٠٠ كيلومتر/ثانية لكل مليون فرسخ نجمى (الفرسخ النجمى parsec = ٣,٢ سنة ضوئية).

ثقب أسود black hole : منطقة فى الفضاء لا تسمح لأى شىء، بما فى ذلك الضوء، بالفرار منها. فالمجال الجذبى لها من القوة بحيث أن الضوء المنبعث للخارج يُعانى من انزياح أحمر لانهاى يفقده طاقته كلية.

الجاذبية gravity : قوة التجاذب بين الأجسام المادية.

جسم أسود black body : جسم مثالى افتراضى، يتصور أنه يمتص جميع الأشعة الساقطة عليه، ولا يعكس منها شيئاً، وعند تسخينه يفترض أنه يشع كل موجات الطيف، وكان لمخالفة التجارب لهذه الفرضية أساساً لوضع النظرية الكمية (ظ).

جسيم أولى elementary particle : الجسيمات التى تكون اللبنة الأولية لبناء المادة والطاقة، كالفوتونات واللبتونات (ومنها الإلكترونات) والبايونات (ومنها البروتونات والنيوترونات) وغيرها.

جيوديسى geodisic ظ: جيوديسى

جيوديسى geodisic : أقصر مسافة بين نقطتين على سطح معين، وهو يتأثر بطبيعة السطح، فبالنسبة للسطح المستوى يكون الخط المستقيم، ولكنه للكرة قوس دائرى، ولغير ذلك من الأسطح يأخذ أشكالاً أخرى.

الجيوديسيا geodesics : علم دراسة الأسطح، ومنها تحديد أقصر أو أطول مسار لجسم على سطح ما.

حائط أزرق blue sheet : الضوء الساقط فى ثقب أسود يعانى من انزياح أزرق لانهاى، ومعنى ذلك أن الطاقة تتراكم لتكوّن حائطاً حول الثقب يمنع أية محاولة لاستخدام الثقب كمنبر عبر الكون، ويكون على مصممي الآلات الزمنية التفكير فى وسيلة لثقب مثل هذه الحوائط . حد شاندراسيخار chandrasekhar limit : أثقل ما يكونه نجم قزم أبيض.

حركة براونية brownian motion : الحركة العشوائية للنباتات المجهرية داخل السوائل واستتبط منها تكون المواد من جزيئات.
الحضيض الشمسى perihelion : أقرب موضع لكوكب من الشمس.

الخط الكونى world line : منحنى يمثل مسار جسم فى الزمكان.
خط كونى world line : مسار جسم فى الزمكان

الدجاجة س-1 Cygnus X1 أقوى مصدر للأشعة السينية فى كوكبة الدجاجة، ولعله ثقب أسود
درجة الحرارة المطلقة absolute temperature : درجة الحرارة مقيسة بالنسبة للصفر المطلق (ظ)
الديناميكا الحرارية thermodynamics : فرع الفيزياء الذى يُعنى بدراسة العلاقات الكمية بين الطاقة الحرارية والأشكال الأخرى من الطاقة.

ذراع الجبار Orion arm : ذراع المجرة التى توجد به الشمس

ذرة atom : أصغر وحدة بنائية لعنصرٍ ما .

زمان spacetime : تصور رياضى لكون مبنى على أساس نظرية النسبية الخاصة يندمج فيه بُعد الزمن مع الأبعاد الفراغية الثلاثة .

س

سديم nebula : سحابة من الغاز والغبار الكونى

سديم الجبار Orion : أسطح مناطق هـ٢ فى السماء، تتولد النجوم بداخلها

سرعة الهروب escape velocity : أدنى سرعة مطلوبة لكى يتمكن جسم من الإفلات من جاذبية جرم سماوى .

سنة ضوئية light year : المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة (ظ: ضوء)

الشعرى الشامية Alpha Canis Minoris, Procyon : ثامن أسطح نجوم السماء فى كوكبة (الكلب الأصغر)

الشعرى اليمانية Sirius : أسطح نجوم السماء فى كوكبة (الكلب الأكبر)

ص

صفر المطلق absolute zero : - ٢٧٣, ١٥ درجة مئوية.

ض

ضوء، سرعة الـ light (speed of) : ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية.

ط

طيف spectrum : ترتيب الموجات الإشعاعية طبقا لتردداتها.

ظ

ظ: = انظر المادة

الظاهرة الكهروضوئية photoelectric effect : انبعاث الإلكترونات من بعض المواد عند سقوط الضوء عليها.

ع

عجلة acceleration : معدل التغير فى مقدار السرعة أو فى اتجاهها. ينص قانون نيوتن الثانى أنها تتناسب طرديا مع القوة المؤثرة، وعكسيا مع كتلة الجسم.

عطارد mercury : أقرب كوكب فى المجموعة الشمسية للشمس.

علم التفاضل والتكامل calculus : العلم الذى يبحث فى العلاقات بين معدل التغير بين الكميات المتغيرة. ويرجع الفضل فى وضعه إلى كل من نيوتن ولايبنز، كل على استقلال.

علم التفاضل والتكامل calculus : فرع من الرياضيات وضعه نيوتن.

ف

فوتون photon : جسيم الضوء أو الإشعاع الكهرومغناطيسى.

فوتونات photons : جسيمات الضوء طبقا لتفسير أينشتاين للظاهرة الكهروضوئية (ظ)، وهى تجمع بين صفتى الجسيمات والموجات.

قانون بقاء الطاقة law of conservation of energy : القانون الذى يقول بأن الطاقة لا تفنى ولا تخلق من عدم، بمعنى أن كمية الطاقة فى الكون ثابتة.

قانون بقاء المادة law of conservation of matter : القانون الذى كان يقول بأن المادة لا تفنى ولا تخلق من عدم، وذلك قبل اكتشاف إمكانية تحويل المادة إلى طاقة.

قرص تراكمى accretion disk : كل شئ فى الكون يدور، ويحين يسقط غاز أو غبار فى قبضة جرم مكتنز، كأن يكون ثقباً أسود أو نجماً نيوترونياً، فإن سرعة الدوران للمادة المتساقطة تجعلها تلف حول محور الجرم على هيئة قرص دوار، يسمى بالقرص التراكمى. هذا القرص هو مصدر طاقة إشعاعية متفجرة من مثل هذه الأجرام.

القصور الذاتى inertia : خاصية احتفاظ الأجسام بحالتها من حيث السكون أو الحركة فى خط مستقيم وبسرعة ثابتة حتى تتأثر بقوة تغير من حالتها إذ ينص القانون الأول لنيوتن على أن الجسم يظل على حالته من حيث السكون، أو السرعة المنتظمة فى نفس الاتجاه، ما لم تؤثر عليه قوة خارجية. ويطلق على هذه الظاهرة القصور الذاتى، ويقصد به أن الأجسام تعجز عن تغيير حالتها الحركية بذاتها. ويحس المرء بالقصور الذاتى حين تتغير سرعة المركبة التى يكون فيها، فيندفع إلى الأمام حين تقف فجأة، أو إلى الخلف حين تتحرك فجأة، ونفس الشئ إذا دارت بصورة مفاجئة.

قوانين الحركة laws of motion : القوانين الثلاثة لنويتن لدراسة حركة الأجسام تحت تأثير القوى.

كم quanta : أصغر وحدة من الطاقة.

كوكبة الدجاجة Cygnus A : أقوى وأول ما اكتشف من المجرات الراديوية.

كوكبة النهر Eridani

الكون المتردد oscillating universe : تصور للكون على أنه يتأرجح بين التمدد والانكماش.

مادة معتمة باردة **cold dark matter** : تبين كيفية الحركات الكونية (للمجرات مثلاً) تأثيراً تجاذبياً لكميات كبيرة من المادة غير المنظورة، وهناك العديد من النظريات حول ماهيتها .

مبدأ عدم اليقين **uncertainty princple** : مبدأ وضعه هايزنبرج يقول باستحالة تحديد كافة الخصائص لجسم كالسرعة والموضع فى نفس الوقت بدقة كاملة .

مترى **metric** : (كاسم وليس كصفة) دالة مسافية، الدالة التى تحدد أقصر مسافة (المتقاصر أو الجيوديسى، ظ) لسطح ما، كقانون فيثاغورث بالنسبة للهندسة الإقليدية ذات السطح المستوى.

متقارب **asymptotical** : اقتراب منحنى من مستقيم دون أن يتلامس معه. مثال ذلك أنه حين تتزايد سرعة جسم بلا نهاية، فإنه يتقارب بدرجة أكثر وأكثر من سرعة الضوء ولكنه لن يصل إليها البتة.

متقاصر **metric** ظ: جيوديسى

مسار زمنى مغلق **closed timelike loop CTL** : رحلة خلال الفضاء والزمن، يعود المسافر بعدها إلى نفس نقطة البداية زماناً ومكاناً، وهو ما يعنى ضرورة العودة فى الزمن فى جزء من الرحلة. هذه الرحلات ليست محظورة من وجهة نظر قوانين الفيزياء.

مستعر أعظم **supernova** : انفجار هائل لنجم محتضر يتولد عنه نجم نيوترونى.

مطياف **spectroscop** : جهاز قياس الطيف.

موجات الجاذبية **gravity waves** : شكل من الطاقة تبثه النجوم الضخمة المتسارعة، تنبأت به النظرية النسبية العامة.

موجات المادة **matter wave** : موجات تمثل سلوك الجسيمات تحت ظروف معينة، ينظر إليها أحياناً على أنها موجات احتمالية تمثل احتمال وجود الجسيم فى موضع معين.

النجوم النابضة pulsars : نجوم تعطي ومضات من الإشعاع، يعتقد أنها نجوم نيوترونية تدور بسرعة فائقة حول نفسها.

نشاط إشعاعي radioactivity : (ظ: تحليل إشعاعي)

نصف قطر الجاذبية gravity radius : ظ: نصف قطر شفارتزشيلد.

نصف قطر شفارتزشيلد Schwarzschild radius : أكبر نصف القطر لمادة متكورة يحدث عنده انفصال للفضاء نتيجة ذلك التكور.

نيوترون neutron : جسيم محايد الشحنة من مكونات نواة الذرة.

هـ

هندسة إقليدية Euclidean geometry : هندسة تتعامل مع الأسطح المستوية.

هندسة ريمانية (غير إقليدية) Riemannian geometry : هندسة تتعامل مع الأسطح غير المستوية.

و

وحدة مسافية فلكية astronomical unit : المسافة المتوسطة التي تقطعها الأرض في مسارها حول الشمس، وتساوي حوالى ١٥٠ مليون ميل (٩٣ مليون ميل).

مسرد مصطلحات إنجليزية - عربى

ترجمة اجتهادية من المترجم

absolute temperature	درجة الحرارة المطلقة
absolute zero	صفر المطلق
acceleration	عجلة
action	فعل
Alpha Canis Majoris	الشعرى اليمانية
Alpha Canis Minoris	الشعرى الشامية
atom	ذرة
Beta decay	انحلال بيتا
big bang	الانفجار العظيم
black body	جسم أسود
black hole	ثقب أسود
brownian motion	حركة براونية
calculus	علم التفاضل والتكامل
chain reaction	تفاعل متسلسل
complementarity	تكاملية
covariance	تماثل
Cygnus A	الدجاجة أ
Cygnus X-1	الدجاجة س-١

Doppler effect	ظاهرة دوبلر
elementary particle	جسيم أولي
entropy	انتروبيا
equivalence	تعادلية
erg	إرج
Eridani	كوكبة النهر
ether	الإثير
field	مجال
gamma rays	إشعاع (أشعة) جاما
geodesics	الجيوديسيا
geometry	هندسة
geometry, Euclidean	هندسة إقليدية
geometry, Riemannian	هندسة ريمانية
gravity	الجاذبية
gravity waves	موجات الجاذبية
Helium	الهليوم
Hubble constant	ثابت هبل
inertia	قصور ذاتي
inertia	قصور الذاتي
kinetic theory of gases	النظرية الحركية للغازات
law of conservation of energy	قانون بقاء الطاقة
law of conservation of matter	قانون بقاء المادة
laws of motion	قوانين الحركة

light	ضوء
light year	سنة ضوئية
magnet	مغناطيس
mechanical equivalent of heat	المكافئ الميكانيكى للحرارة
mercury	عطارد
nebula	سديم
nutrone	نيوترون
Orion	سديم الجبار، أسطع مناطق هـ ٢
	فى السماء، تتولد النجوم بداخلها
Orion arm	ذراع الجبار، ذراع المجرة التى
	توجد به الشمس
oscilating universe	الكون المتردد
perihelion	الحضيض الشمسى
photoelectric effect	الظاهرة الكهروضوئية
photon	فوتون
Pracyon	الشعرى الشامية
probabitity waves	موجات الاحتمال
Procyon	الشعرى الشامية، ثامن أسطع
	نجوم السماء فى كوكبة الكلب الأصغر
pulsares	النجوم النابضة
quanta	كم
radioactivity	نشاط إشعاعى

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتتكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندروس، جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد مقصم وعبد الجليل الأزني وعمر طي
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وإيرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب طوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إيوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيقي
١٦ - أثنية السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان ١
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صعد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب طوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصه إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

- ٣٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر
٣٨ - نقد الحداثة آلن تورين
٣٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت
٤٠ - قصائد حب آن سكستون
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية بيتر جران
٤٢ - عالم ماك بنجامين بارير
٤٣ - اللهب المزدوج أوكتايفيو باث
٤٤ - بعد عدة أصياف ألدوس هكسلي
٤٥ - التراث المغفور روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين
٤٦ - عشرون قصيدة حب بابلو نيرودا
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) رينيه ويليك
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا دوما
٤٩ - الإسلام في البلقان ه . ت . نوريس
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ
٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستي
٥٢ - العلاج النفسي التديمي بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل
٥٣ - الدراما والتعليم أ . ف . ألتجتون
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح ج . مايكل والتون
٥٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهوم
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسية لوركا
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسية لوركا
٥٨ - مسرحيتان فديريكو غرسية لوركا
٥٩ - المحبرة كارلوس مونييث
٦٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتين
٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميث
٦٢ - لذة النص رولان بارت
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) رينيه ويليك
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا
٦٧ - مختارات فرناندو بيسوا
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى فالتين راسبوتين
٦٩ - العالم الإسلامي في أول القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوخينيو تشانج رودريجت
٧١ - السيدة لا تصلح إلا الرمي داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مغيث
ت : منيرة كروان
ت : محمد عيد إبراهيم
ت : عطف لصد / إبراهيم قنحي / محمود ملجد
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تادرس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد على
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاتي
ت : عبد الوهاب علوب
ت : محمد براءة وعثمانى الليلود ويوسف الأطكى
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفي قطيم وعادل دمرداش
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصيلحي
ت : على يوسف على
ت : محمود على مكى
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : صبرى محمد عبد الفنى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعى .
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض .
ت : رمسيس عوض .
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى العجز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالِك فى مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التطيل النفسى
٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢
٧٨ - العولة: النظرية الجماعية والثقافة الكونية
٧٩ - شعرية التأليف
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميغيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالتغرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - وسم السيف (قصص)
٩١ - للمسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح
الإسباني وأمريكى المعاصر
٩٣ - محدثات العولة
٩٤ - الحب الأول والصحبة
٩٥ - مختارات من المسرح الإشباني
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة
٩٧ - هوية فرنسا (مع ١)
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مساطة العولة
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آيا
١٠٤ - أويرا ماهوجنى
١٠٥ - منخل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الأندلسى
١٠٧ - صرورة القدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر
- ت . س . إلويوت
چين . ب . توميكنز
ل . ا . سيمينوفا
أندريه موروا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رونالد روبرتسون
بوريس أوسبىنسكى
ألكسندر بوشكين
بنديكت أندرسن
ميغيل دى أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكى أقطاى
جمال مير صادقى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتونى جيدنز
تخية من كتاب أمريكا اللاتينية
باربر الاسوستكا
كارلوس ميغل
مايك فيذرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بورير بايخو
قصص مختارة
فرنان برودل
نماذج ومقالات
ديفيد روبنسون
بول هيرست وجراهام تومبسون
بيرنار فاليط
عبد الكريم الخطيبى
عبد الوهاب المؤدب
برتول بريشت
جيرارچينيت
د . ماريا خيسوس روبيرامتى
نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت . عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد القانمى وناصر حلاوى
ت : مكارم الفمرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شبيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم الدسوقى شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محبى الدين
ت . محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوى
ت . سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إيوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحو
ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكوى
ت : عبد العزيز شبيب
ت : أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الكلداني	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كرنجى وسكان المستنق	رول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمىة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأمرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - إمبراطورية الشائبة وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسنتر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	فولفجانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان ياسنيت	ت : أميرة حسن ثورية
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولوريس أسيس جارتو	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أنثريه جوندر فرائك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونهو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - منكرات ضابط في الصلة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريسقال	ريشارد فاچنو	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ.م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضيا لفتنر في البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولوننى	ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث كارلوس فوينتس
- ١٤٦ - الورقة الحمراء ميجيل دى ليبس
- ١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة تانكريد نورست
- ١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكي أنترسون إمبرت
- ١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأونس عاطف فضول
- ١٥٠ - التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
- ١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) فرنان برودل
- ١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى نخبة من الكتاب
- ١٥٣ - غرام القراءة فيولين فاتورك
- ١٥٤ - مدرسة فرانكفورت فيل سليتر
- ١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر نخبة من الشعراء
- ١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
- ١٥٧ - خسرو وشيرين النظامى الكنوجى
- ١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) فرنان برودل
- ١٥٩ - الإيديولوجية ديفيد هوكس
- ١٦٠ - آلة الطبيعة بول إيرليش
- ١٦١ - من المسرح الإسباني اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
- ١٦٢ - تاريخ الكنيسة يوحنا الأسوي
- ١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ جورون مارشال
- ١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) جان لاکوتير
- ١٦٥ - حكايات الثلج أ. ن. أفانا سيفا
- ١٦٦ - العلاقات بين اللتين والطائين في إسرائيل يشعياهو ليفمان
- ١٦٧ - في عالم طاغور رابندراناث طاغور
- ١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة مجموعة من المؤلفين
- ١٦٩ - إبداعات أدبية مجموعة من المبدعين
- ١٧٠ - الطريق ميغيل دالبيس
- ١٧١ - وضع حد فرانك بيجو
- ١٧٢ - حجر الشمس مختارات
- ١٧٣ - معنى الجمال ولترت . ستيس
- ١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء ايليس كاشمور
- ١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية لورينزو فيلشس
- ١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية توم تيتنبرج
- ١٧٧ - أنطون تشيخوف هنرى تروايا
- ١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث نخبة من الشعراء
- ١٧٩ - حكايات أيسوب أيسوب
- ١٨٠ - قصة جاويد إسماعيل فصيح
- ١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي فنسنت . ب . ليتش
- ت : أحمد حسان
- ت : على عبد الرؤوف البمبي
- ت : عبد القفار مكاي
- ت : على إبراهيم على منوفى
- ت : أسامة إسبر
- ت : منيرة كروان
- ت : بشير السباعي
- ت : محمد محمد الخطابي
- ت : فاطمة عبد الله محمود
- ت : خليل كلفت
- ت : أحمد مرسى
- ت : مى التمساني
- ت : عبد العزيز بقوش
- ت : بشير السباعي
- ت : إبراهيم فتحي
- ت : حسين بيومي
- ت : زيدان عبد الطيم زيدان
- ت : صلاح عبد العزيز محجوب
- ت : ياشراف : محمد الجوهري
- ت : نبيل سعد
- ت : سهير المصادفة
- ت : محمد محمود أبو غدير
- ت : شكرى محمد عياد
- ت : شكرى محمد عياد
- ت : شكرى محمد عياد
- ت : بسام ياسين رشيد
- ت : هدى حسين
- ت : محمد محمد الخطابي
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : أحمد محمود
- ت : وجيه سمعان عبد المسيح
- ت : جلال البنا
- ت : حصه إبراهيم منيف
- ت : محمد حمدي إبراهيم
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
- ت : سليم عبدالأمير حمدان
- ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحي العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إبنورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزْدُجْ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد القانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحته إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مخترعات من نقد الأنجلو - أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالتين راسيوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبورك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا روس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	أطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زلمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لوجى لوقا كافالى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيبولية تصنع علماً جيداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقي	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوربان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى القزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فرديتان نوسوسير	جوناثان ككر	ت : محمود حمدى عبد الفنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر عذبة بلبلين حتى رجل عبد القصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جبينة المنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جينز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحته نامه إبراهيم بيك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - عولة السياسة العالمية	جون بايلس وستيث سميت	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
٢١٨ - راويلا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانزو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى ياركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارشيا ماركت	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - للسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مازق البطل الوحيد	نورمان كيمن	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفقران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمتهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس التبريزى	جلال الدين مولوى روى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مديولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلاراف - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إميسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج١	لبنى بروقنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرشيا ماركت	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والدائى فى مصر	ولتر آرمرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	بومنيك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جورجون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رانثات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزد	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رسالة الدكتوراه	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	چون جرين	ت : على يوسف على

(نحت الطبع)

- الجينات : الصراع من أجل الحياة .
- الثقافة والعولة والنظام العالمى .
- مسرحيتان طبيعيتان .
- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى .
- ت. س. إليوت شاعراً ومفكراً وناقداً .
- الفربوس الأعلى .
- المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ١ ، ج ٢
- علم اللغة والترجمة .
- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١ ، ج ٢
- فنون السينما .
- البدايات .
- رحلة خواجه حسن نظامى .
- السهل يحترق .
- رحلة إبراهيم بيك ج ٢
- الأم والنصيب وقصص أخرى .
- السيدة باربارا .
- طبيعة العلم غير الطبيعية .
- سلطان الأسطورة .
- ديوان منجهرى الدامغانى .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٩٣٣٣ / ٢٠٠٠

UNVEILING THE EDGE OF TIME

JOHN GRIBIN

ستظل أفلام الخيال العلمي تفتن الأبواب ، طالما واصل العلم مفاجأة العقل البشرى ، بين الحين والآخر بنظريات تتناقض مع بديهياته ومنطقه . وفى كتابنا هذا يقدم المؤلف للقراء الأساس العلمى للعديد من الأفكار التى بنيت عليها أفلام الخيال العلمى ، ولكنه يبين - فى الوقت نفسه - أن ما فى جعبة العلم من نظريات خارقة للتصور البشرى تفوق أقصى ما يمكن أن يشطح إليه خيال الإنسان .

من ناحية أخرى ، يعرض هذا الكتاب أكثر ما أفرزه العلم الحديث من إثارة ، إنها الثقوب السوداء التى يثير ذكرها الذعر والهلع بقدرتها الهائلة على التهام كل من يقترب منها ؛ فهو يتتبع بزوغها كفكرة نظرية تأسست على نظرية نيوتن فى الجاذبية ، ثم أقل نجمها لتعود حقيقة علمية مؤسسة على نظرية أينشتاين فى النسبية ، ولن نسبق الأحداث حتى لا نصادر على متعة القارئ وهو يجول فى غرائب الخيالات العلمية التى يعرضها الكتاب ، كل ما نوصى به هو ألا ينسى أن الأمر لم يحسم بعد لصالح فكرة دون أخرى ، ولعله لن يحسم على الإطلاق ، فما من باب يفتحه الإنسان على الطبيعة بغية فهمها إلا وينفتح بدوره على أبواب من الأغااز ، وهو ما عبر عنه أحدهم بالقول : « كلما ازدادت علماً ازدادت جهلاً » .